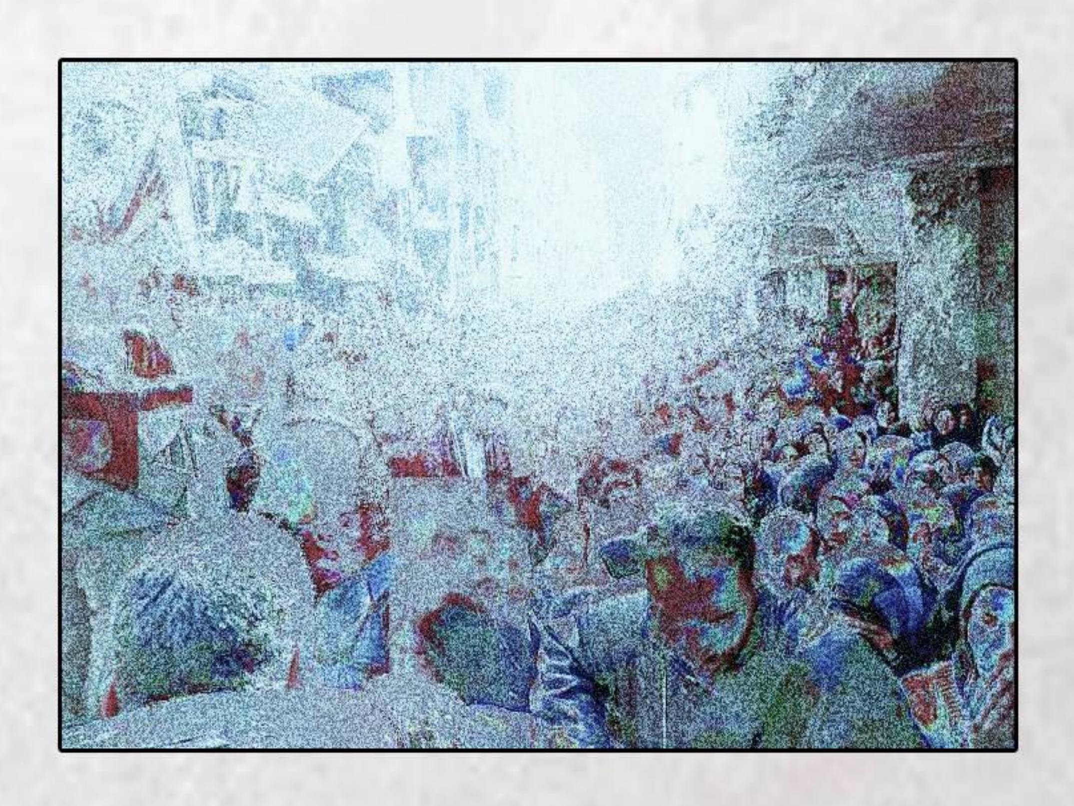
الخطر الإيراني "الفارسي"

فتحي رشيد



منتدى الحوار الوطني الديمقراطي الفلسطيني

الخطر الإيراني
"الفارسي"

فتحي رشيد

إصدار
منتدى الحوار الوطني الفلسطيني

مقدمة

الخطر لغة يعني: حالة يمكن أن تسبب ضرراً أو تؤثر سلباً على محيطها كونها بذاتها تحمل إمكانية إلحاق الضرر أو تؤثر سلباً على الغير. أو أنه الأمر الذي يؤدي إلى الهلاك أو التلف حتى لوكان ذلك مجرد احتمال.

استناداً لهذا التعريف يمكن اعتبار تركيبة وحكومات الدول والشعوب والقوى التي احتلت أو اعتدت أو ماتزال أو من المحتمل أن تحتل أو تعتدي أو تهدد بالاعتداء على أي بلد أو أي شعب في العالم، حالة تشكل بذاتها خطراً يمكن تعميمها على أي كيان يمكن أن يعرض أي بلد أو شعب في العالم، سواء تعرض سابقاً أو حالياً لإمكانية إلحاق ضرر به.

واستناداً لهذا الفهم للخطر تنشأ مشروعية فكرية وأخلاقية للبحث في أي كيان سياسي، شَكَّلَ أو يمكن أن يُشَكَّل بتكوينه وذاته خطراً على الأمة العربية. من هنا تنشأ مشروعية تتيح لأبناء هذه الأمة ونخبها وقادتها ضرورة فهم ووعي ذلك الخطر والتحوط له من أي طرف كان، بما يحول دون هلاكها أو إلحاق الأذى والضرر بها وبلدانها وشعوبها.

وكمثال على ذلك نجد أن تركيبة ما تسمى "إسرائيل" الاجتماعية وبنيتها الثقافية والسياسية تعتبر خطراً. كونها شكلت وما تزال تشكل بذاتها وتركيبتها خطراً على الأمة العربية. لذلك يفترض ويجب التحوط لها. وهذا ما يفترض أن يطّبق أيضاً. على دول كبيرة مثل أمريكا وروسيا وبريطانيا وفرنسا.. إلخ. ودول صغيرة مثل تركيا وإيران.

وبما أن إيران تحمل بذاتها وتاريخها مشروعاً توسعياً، وتثبت بسلوكها الراهن وجود واستمرار النزعة التوسعية العدوانية، والتي لا تقل عن النزعة التوسعية والعدوانية لإسرائيل. لدرجة يمكن تشبيه الطرفين بـ فكي كماشة يطبقان على الوطن العربي وشعوبه ويضيقان الخناق عليهما، واحدة من جهة الشرق والأخرى من الغرب.

وبما أنهما مستمرتان بذات النهج والسياسة ولا أحد يردعهما ويضع حداً لتدخلاتهما فإن خطرهما يفترض من الناحية العقلية والمنطقية أن يدرس ويبحث من قبلنا حتى يتم التحوط له لتجنب وقوع ضرر منهما.

وبما أنه لا يمكن لأي شخص أن يقدم لنا ما يثبت أن تركيبة إيران السابقة أو الحالية لا تحمل في ذاتها وتاريخها وفكرها وتوجهاتها ما يجعل منها لا تشكل خطراً. لذلك لا يجوز ولا يمكن من الناحية العقلية والمنطقية عدم اعتبارها خطراً أو نفي هذا الاحتمال عنها، ما يجعل من دراسة الخطر الذي تحمله على الأمة العربية والوطن العربي أمراً مبرراً ومطلوباً وحتى ملحاً وضرورياً كونها بذاتها وتاريخها السابق وسلوكها العملي الراهن تثبت يومياً، أنها كما كانت منذ أكثر من ألفي سنة لاتزال تشكل خطراً. كونها لا تزال تحتل وتعتدي وتدمر وتتدخل في شؤون دول عربية كثيرة.

وبما أنه لا يوجد ما يشير -حتى الآن- إلى أنها ستتخلى عن هذه السياسة التي اتبعتها سابقاً وتتبعها حالياً، لذلك فإن مشروعية البحث في خطرها المستقبلي تتضاعف.

وللرد على السؤال الذي قد يطرحه البعض: لماذا البحث في خطر تشكله أو قد تشكله إيران، ولا يتم البحث في أخطار أخرى تشكلها أيضاً كل من إسرائيل وأمريكا وروسيا وتركيا؟

أقول:

أولاً: أن خطر تلك الدول بات معروفاً وواضحاً كَثُرَ البحث فيه بينما تم تجاهل الخطر الذي كانت ولا تزال تشكله إيران -خاصة بعد أن تسمت بـ "الجمهورية الإسلامية" واعتبرت نفسها "ثورة" تسعى لأن تعممها على البلدان والشعوب العربية.

ثانياً: لأن أوجه الخطر الذي تشكله إيران يختلف عن أو جه الخطر الذي تشكله كلا من إسرائيل وأمريكا او تركيا. لذلك يتطلب بحثا خاصا بما يمكننا من معرفة أوجه الأخطار الخاصة التي تشكلها إيران، ولنبين كيف أن خطرها يتضاعف كونها تغلغلت في الداخل العربي أيديولوجيا وسياسيا أكثر من غيرها. مما بات يستدعي بحثاً خاصاً -دون أن يلغي هذا البحث- البحث في الأخطار الأخرى التي تكملها أو تغطي عليها أو أن نقلل من شأن خطورتها وضرورة رؤيتها ودراستها.

ثالثاً: لأن البعض تجاهل هذا الخطر لدرجة بات يعتبر إيران صديقاً وحليفاً للعرب، بل ومدافعاً عنهم وعن فلسطين مما أتاح المجال لمن يتحكمون بإيران منذ عام 1980 أن يُدخلوا في عقول البعض أنهم حلفاء وأصدقاء ما جعلهم يفتحون لها ولميليشياتها قلوبهم وعقولهم وبيوتهم وأوطانهم. ما أتاح لهم المجال للتغلغل في الوطن العربي بعمق وشدة، وأدى إلى إلحاق أشد أنواع الأذى والهلاك والدمار والضرر ببنية العرب الفكرية والنفسية والسياسية. وخاصة فيما تجلى ومازال فيما حدث ويحدث في العراق وسوريا ولبنان واليمن، عملياً على أرض الواقع الملموس والمحسوس.

رابعاً: كي نبين أن تسمية إيران لنفسها مسلمة وزعمها أنها تعادي وتحارب الغرب والصهيونية لا يمكن أن يتم الضحك به علينا أو استخدامه للتغطية على عمليات التمدد والنفاذ والولوج إلى داخل الوطن العربي والتأثير عليه من الداخل أكثر من غيرها من القوى الدولية والإقليمية. ولنبين أنها لذلك باتت تقوم بأعمال أخطر تعجز عن القيام بها أية دولة أخرى معادية لنا في العالم، ما يجعل من دراسة خطرها هماً أولياً.

خامساً: لأن هذا الأمر جعل القوى العظمى وإسرائيل تستفيد من وجود إيران وسياستها التوسعية بما يمكنها من استيعاب توجهاتها المعادية للعرب في سياستها الخارجية والداخلية، لتحقيق أهدافاً لم يكن من الممكن أن تحققها في البلدان العربية بدون إيران.

سادساً: لأن البعض منا هان عليه تدخل إيران وميليشياتها الفظة في شؤون بلاده الداخلية فهوّنوا من شأن هذا التدخل ومن تأثيره عليهم ومن الأذيَّة التي ألحقتها بهم وببلدانهم وشعوبهم وحكامهم، فهُمشُّوا وأُذلوا وأُهينوا حتى باتوا يتقبلون تدخلها وأعوانها في أصغر شؤونهم. فساءت أحوالهم حتى وصلت إلى الدرجة التي تجعل تقبله أمرا عادياً وطبيعياً ينطبق عليهم قول المتنبي: "ومن يهن يسهل الهوان عليه -ما لجرح ميت إيلام".

سابعاً: لإظهار أن خطورة ومدى وعمق التغلغل الإيراني القومي الفارسي في الوطن العربي باسم الدين وزعم معاداة الغرب والصهيونية، جعل الكثير منا يركنون وينامون ما يشير إلى أننا كي ننهض يفترض بنا أن نتخلص من الآثار السلبية التي خلفها علينا هذا الوهم من حيث الركون لها وعليها، وهو ما خلق حالة من العجز والتواكل باتت تمنعنا من النهوض، لدرجة بات التخلص من هذا الوهم والادعاء يتطلب البحث كيلا نهلك.

ثامناً: كي نبين أن الخطورة الناجمة عن هذا التدخل -خاصة في الجانب غير المرئي والنظري من حيث اتباعها -بشكل ممنهج- سياسة نشر التشيع والقيام بعمليات تهجير وتغيير تركيبة السكان كما فعلت أيام قورش بما سيؤثر مستقبلاً، على التركيبة السكانية والاجتماعية والفكرية والسياسية-للوطن العربي. لذلك سوف تشكل خطراً أشد فتكاً وضرراً بنا من الاحتلالات المباشرة التي قام بها الاستعمار القديم المباشر والحديث.

تاسعاً: كي يعلم من لا يعلم مدى خطورة ما قامت وما تزال تقوم به إيران وميليشياتها من تخريب فكري وإضعاف معنوي بما قد يجعله يصحوا ويعي ما يحيط به ويبحث في كيفية مواجهة شتى وجميع الأخطار والتحديات الخارجية والداخلية التي تحيق به، وبما يجعله يتسلح نظرياً ومعرفياً ويعرف كيف ينهض ويواجه ويغير هذا الواقع الذي انتهى إليه.

عاشراً: إذ نبحث في هذا الخطر وإذ نربط بينه وبين الأخطار الأخرى، فلكي يعلم -ذوي النظرة الأحادية- أو محدودي الأفق، أو ذوي الاحتياجات الخاصة- مدى وشدة وخطورة أمور أخرى، أبعدتنا المعارك الداخلية التي جرتنا إليها إيران عن رؤيتها وعن مواجهتها، بما جعل أغلبنا لا يرى الأخطار الخارجية. على أمل أن يكون هذا البحث دافعا لليقظة والتحرك قبل أن يفوت أوان الحركة والنهوض والتغيير.

فتحي رشيد

موتالا / السويد

تشرين الثاني 2022

توطئة:

إشكالية ما تسمى "الثورة الإسلامية في إيران"

مع أنه لا ولن يوجد أي اتفاق شامل إزاء تقييم أي ثورة حصلت في التاريخ من الناحية النظرية والعلمية، إلا أن عدم الاتفاق على تحديد وتقييم ما جرى في إيران عام 1979 وبعده كان ومازال وسيظل موضع خلاف بين المنظرين العرب والمسلمين أكثر من غيره.

هل ما حصل كان ثورة؟ وهل هي إسلامية أم بدعة ملفقة؟ أم ردة وثورة مضادة؟

هل مجرد إطلاق حكام إيران أو غيرهم شعار "ثورة إسلامية" سيجعلنا نصدق أنها هي فعلاً ثورة أو إسلامية كما زعم قادتها أو توهم كثير من المنظرين العرب؟ أم أنها يقظة قومية فارسية جديدة؟

هل مجرد إغلاق السفارة الإسرائيلية وفتح سفارة لمنظمة التحرير الفلسطينية، ومحاصرة واحتلال السفارة الأمريكية. ورفع شعار الموت لأمريكا وإسرائيل - والصراخ به ليل نهار، واعتبار أمريكا والغرب وإسرائيل شياطين وأعداء لإيران سيجعلنا نصدق أن إيران المعادية تاريخياً للعرب يمكن أن تتحول بين يوم وليلة من دولة معادية إلى دولة صديقة للعرب؟ وهل يكفي اطلاق الشعارات والصراخ حتى نقتنع بأنها تحولت إلى عدوة للغرب وأمريكا وإسرائيل والصهيونية وباتت فعلاً وبصدق صديقة للعرب ومدافعة عنهم؟ أم يفترض أن ندقق في أفعالها؟

هل ما حصل في إيران مع نهاية عام 1979 كان في مصلحة الشعب الإيراني حتى يكون في مصلحة الشعوب والدول العربية؟

هل يمكن أن تكون عملية تدمير الثورة الوطنية الديمقراطية الجارية في إيران منذ عام 1949 وعملية حرفها باسم الدين الإسلامي عن اتجاهها الصحيح وتحويلها إلى حركة ظلامية معادية لتطلعات الشعب الإيراني وجميع الشعوب المؤمنة بالإسلام؟ ثورة أم ردة رجعية؟

هل يمكن أن نشطب وننسى كل تاريخ إيران المعادي والمدمر للعرب والعروبة منذ أكثر من 2550 سنة ونصدق أن إيران باتت صديقة للعرب ومدافعة عنهم لمجرد أن حكامها أعلنوا عن ذلك في الكلام فقط دون الفعل؟

هل يجوز لنا أن ننسى كل ما ألحقته بنا إيران من أضرار بليغة خلال السنوات الأربعون الماضية وعلى جميع المستويات وأن لا يتذكر بعض النخب إلا ما يقوله قادتها والموالين لهم من مزاعم عن دفاع عن

العرب وفلسطين لم نر منه شيئاً؟

إذا كانت تلك الثورة الإسلامية المزعومة، خلال السنوات الأربعين الماضية لم تفعل شيئاً لمصلحة شعبها أو لمصلحة الشعوب العربية والإسلامية او لمصلحة جيرانها فهل من المنطق أن نظل نصدق أنها في المستقبل يمكن أن تعمل لمصلحتنا نحن العرب؟

كل هذه الأسئلة وسواها مما قد لا يخطر ببال ستكون موضوعا للبحث في هذا الكتاب. وبغض النظر عما إذا كانت إيران دولة معادية للعرب أم صديقة لهم أم لا، عميلة للغرب وأمريكا أم أداة بيدهم ويد الصهيونية أم لا؟ وبغض النظر عن جميع الأخطار العملية السابقة والحالية والمستقبلية التي يمكن أن تشكلها إيران. أرى أن تكوين صورة حقيقية عن إيران كدولة مجاورة للعرب وعما جرى فيها من أمور عبر التاريخ وحتى اليوم، وسواء كانت إيجابية أم سلبية هو أمر مطلوب. معرفيا وسياسياً، وسواء كانت تشكل خطراً أم لا، حليفاً أم عدواً أم صديقاً.

ويفترض أن تبدأ هذه المعرفة من إعادة البحث والتدقيق والتمحيص في كل ما جرى في إيران من تغييرات منذ بداية التاريخ حتى اليوم، والتدقيق جيداً في أسباب وجذور النزعة التوسعية والعدوانية للفرس. وهذا ما سوف نبحثه في القسم الأول من الكتاب.

أما في القسم الثاني فسوف يركز الكتاب على الواقع الاقتصادي والاجتماعي والفكري والسياسي الذي كانت تعيشه إيران قبل وخلال الثورة. وسوف يدقق جيداً في الثورة الوطنية الديمقراطية التي حصلت فيها عام 1949 وفي خلفياتها الأيديولوجية والسياسية والتي جعلت منها تستمر حتى عام 1979. ومن ثم سيبحث ويدقق في الكيفية التي تمكنت فيها "السافاك" والمخابرات المركزية بالتعاون مع الجيش والتجار وملالي "قم" في حرفها عن اتجاهها الصحيح في سياق التحولات الإقليمية والدولية المعادية للشعوب، والتي قادها اليمين المتصهين. وبدلاً من أن تكون في مواجهة مع الإمبريالية تم حرفها ووضعها في سياق وخدمة السياسة الإمبريالية الجديدة التي أوصلتنا والعالم معنا لما نحن فيه وعليه اليوم من تردي.

في القسم الثالث سوف يركز الكتاب على الأخطار التي يمكن أن تشكلها إيران على الأمة العربية، وإثبات أنها كما كانت معادية للعرب عبر التاريخ، ماتزال وستظل كذلك إن لم يتشكل لدينا وعي وحراك يوقفها عند حدها كما حصل عام 636 م.

في الخاتمة سوف يقدم الكتاب تصورات للأفكار والسياسات والمواقف التي إذا ما تم تبنيها من قبل القيادات والنخب العربية وتم اتباعها نستطيع تجاوز هذا الخطر وغيره من الأخطار الأخرى بما يمكننا وشعوبنا من النهوض والتقدم من جديد والعيش بسلام.

الباب الأول:
إيران عبر التاريخ

إيران والفرس:

أول ما يلفت نظر القارئ أو المتتبع لتاريخ ووضع إيران الحالي هو أن هذا الكيان أو التكتل البشري الجيوسياسي المعروف حالياً باسم "جمهورية إيران الإسلامية" تشكل أول ما تشكل ككيان منذ ما يزيد عن 2500 عام. باسم الإمبراطورية الأخمينية الفارسية. وذلك بعد نشوء وظهور الحضارة السومرية العربية بأكثر من ألفي عام. وأنه شكل منذ بداية ظهوره تحدياً وخطراً على سكان العراق وما كانت تعرف ببلاد ما بين النهرين (ميزو بيتيميا) وبالتالي على البلدان والشعوب العربية. وبأن هذا الأمر تكرر ثانية في عهد الإمبراطورية الفارسية "الساسانية" ويتكرر اليوم باسم الخمينية.

وإذا كان ماركس قد قال أن التاريخ يعيد نفسه مرتين الأولى على شكل مأساة والثانية على شكل مهزلة فإني أرى أنه يعيد نفسه اليوم مرة ثالثة باسم الإمبراطورية الخمينية على شكل فاجعة. لأن التاريخ يمكن يعيد نفسه أكثر من مرة استناداً لما قاله ونستون تشرشل: وذلك بسبب أن الحمقى (فقط) لم يفهموه أو لم يقرأوه جيداً أو لأنهم لم يتعلموا منه.

وثاني ما يلفت الانتباه له هو أن هذا الكيان المسمى اليوم إيران كان ولا يزال يتمدد ويتوسع في الوطن العربي أكثر من جميع الإمبراطوريات التي ظهرت في التاريخ. وهو أمر بذاته فقط يستدعي البحث.

وما يلفت نظر قارئ التاريخ أن حكام الفرس شكلوا في العصور القديمة عدة إمبراطوريات واسعة بخلاف جميع الشعوب أو الكيانات البشرية التي انقرضت أو زالت مثل الكنعانيين والاشوريين والبابليين والمغول والتتر. وأنهم كلما هزموا عادوا ونهضوا وتوسعوا كي يهزموا من جديد، ومن ثم يعاودوا النهوض والتوسع. لدرجة يمكن أن نقول أن تمسكهم بفارسيتهم وميلهم للتوسع والعدوان والإلحاق **يجعل منهم أقرب ما يكون إلى مستحاثات بشرية** أو مرض لا شفاء منه. وهو أمر بذاته يستدعي التعمق والبحث عن علاج له . بغض النظر عما إذا كان يشكل بقاءه أو توسعه خطراً علينا أم لا. وبغض النظر عما إذا كان البحث في تاريخ إيران القديم والحديث والمعاصر يقدم لنا فائدة معرفية أم لا. لأن إيران جارة لنا ولنا معها حدود مشتركة طويلة، وطبعاً علاقات - مهما كانت محدودة وضيقة، لذلك يفترض بنا من الناحية المعرفية والسياسية التعرف عليها من الداخل، وهذا ما سعى له الدكتور "فهمي هويدي" في كتاب حمل عنوان "إيران من الداخل والخارج" بشكل مجتزأ. ولذلك سوف نسعى نحن -أيضاً- إلى التعرف عليها من الداخل والخارج

أكثر. لكن من زوايا أخرى. لأن إيران شكلت فيما بعد وما تزال تشكل خطراً جدياً. لذا فإن العقل والمنطق يستدعي التعرف على تاريخ إيران البشري والجغرافي والاقتصادي والاجتماعي والفكري والسياسي. منذ نشأتها وحتى اليوم. عدا عن أن ذلك يشكل خلفية تاريخية وفكرية يمكن أن تساعدنا على بناء تصور حقيقي عما إذا كان ما يجري في إيران حالياً - كبلد مجاور لنا - يشكل خطراً أم لا؟ ثورة إسلامية جديدة مفيدة، أم ردة رجعية يمينية عنصرية؟ بعث للإسلام الصحيح أم لفرض مذهب أو بدعة وديانة جديدة؟

ولأن إقامة إيران مستقلة وقوية (كما روج البعض) يمكن أن يكون مفيداً لنا كعرب كما هو مفيد لشعبها والعالم. وحيث يمكن أن تقف إذا كانت كذلك فعلاً، أو إذا صارت إلى جانبنا ويمكن أن تساندنا. وهو ما تأمله كثير من المفكرين العرب العلمانيين مثل محمد حسنين هيكل في كتابه "مدافع آية الله الخميني" من تصور من أنها فقط كثورة دينية موجهة ضد الغرب، ستكون لصالحنا. أو كما ظن مفكرين إسلاميين مثل فهمي هويدي أو علمانيين مثل ناصر قنديل وأدونيس. أنها كثورة موجهة ضد الغرب وأمريكا وإسرائيل. ستكون حتما لصالحنا. وهذا كما سنبين تعميم صُوري وغير دقيق.

حيث وجد -على الضد من هؤلاء-كل من صالح محمد حسين - ورضوان السيد ووجيه كوثراني وعزمي بشارة في الوقائع ذاتها: أن ما جرى في إيران كان بعث جديد لحركة قومية عنصرية تسعى لاستعادة أمجاد الفرس الغابرة على حسابنا نحن العرب. كما فعل قورش والشاه محمد باسم حزب البعث الفارسي عام 1955. لذا فهي لم ولن تخرج عن كونها حركة رجعية وعدوانية، وثورة مضادة لشعبها ولشعوب العالم.

ومن المؤكد أن معرفة ذلك التاريخ بدقة عدا عن أنها تمكننا من معرفة ما جرى من أجل تبني موقف صحيح إزاء بلد لعب ومازال يلعب دوراً مميزاً في التاريخ القديم والمعاصر، فإنها حسب ما رأى كل من كسرو ومصطفى الفقي وفهمي الهويدي وعلي الأعظمي وعزمي بشارة. تشكل خلفية تاريخية ونظرية لابد منها للتعرف على التحولات التي مرت بها إيران عبر التاريخ وتمكننا من الربط بينها وبين ما يجري حالياً. حيث ستشكل هذه المعرفة - حتى لو كانت قاصرة وفي جميع الأحوال . معرفة بتاريخ بلد يلعب حالياً دور مميز وخطير في المنطقة والعالم كما قد تشكل إضافة معرفية عامة مفيدة.

لذلك سوف نبحث في الفصول التالية من هذا الباب جذور ونشأت الفرس وتكون الامبراطوريات الفارسية وصولا لما سميت ثورة إسلامية. ثم علاقة هذه الامبراطورية بالعرب والإسلام عبر التاريخ. ثم مناقشة ما جرى في إيران من الناحية الفكرية والسياسية على ضوء الحركات الكبرى والمهمة التي سادت في تاريخ العالم.

الفصل الأول:

العرب والفرس في التاريخ:

من المفيد للمواطنين العرب أكثر من غيرهم من الشعوب معرفة، أن أكثر مجموعة بشرية حاربت العرب وعملت على إخضاعهم وتدمير بلدانهم ونهبها عبر التاريخ تمثلت، وما تزال تتجسد في الفرس والمعروفين سابقاً بالمجوس (عبدة النار). وحالياً بما تسمى اليوم جمهورية إيران الإسلامية.

لذا نذكرهم بأن الفرس هم من دمروا الدولة البابلية ونقلوا اليهود إلى فلسطين قبل حوالي 2500 عام وأقاموا لهم هيكلاً وكياناً بشرياً. وذلك قبل أن يظهر اليهود والصهاينة وبريطانيا وأمريكا والغرب الاستعماري. وبأن الفرس قاموا بخمس غزوات للوطن العربي هيمنوا فيها عليه كله أو سيطروا على أجزاء واسعة منه لمئات السنين وكان لهم دور كبير في تدميره والحيلولة دون نهضته وتطوره عبر التاريخ، ولأنها أكثر من سواها من القوى العالمية. كما كانت في الماضي ما تزال -حتى اليوم- تحتل وتتوسع في أراضي واسعة من بلاد العرب، وتهيمن على حكومات وشعوب عربية فقط، وليس على أية شعوب أخرى في العالم.

لذلك أيضاً - سيكون من المفيد للمواطنين العرب أن يعرفوا أنه لم تقم بين الفرس وبين أي دولة أو شعب في العالم نزاعات دائمة ومتكررة إلا مع العرب. ولم يُحقَّروا ويَكرهوا شعباً في العالم بقدر ما حقروا العرب ونكلوا بهم - ولم تنشأ عداوات بينهم وبين أي قوم غير العرب.

وهذا أمر بذاته لا بد من أن يدفع الانسان العاقل إلى التساؤل: لماذا هذا العداء والكره والحقد؟ هل لأنهم مستخفين بالعرب، أم لحقد وكراهية متأصلة في نفوس الفرس للعرب دون سواهم؟ أم لسبب آخر؟ سبب علينا معرفته. لذا سوف نسعى من خلال الكتاب إيجاد جواب عليه.

ما يهمنا اليوم أكثر هو معرفة إن كان عداء الفرس الحالي دور في تردي أوضاع العرب الحالية. مع أننا لا ننكر ولا يجوز لنا أن ننسى - أنه كان لعداء الغرب للعرب وكذلك الغزوات الخارجية الأخرى التي قام بها الرومان والمقدونيين والتتر والمغول والصليبيين والاستعمار الغربي والصهيوني القديم والحديث إضافة لعداء الفرس، دور كبير في تردي أوضاع الدول والشعوب العربية قديماً وحديثاً.

ولأنه كان -كما سنبين- كان للفرس دور أكبر من الجميع في ذاك التردي، كونها امتدت لفترة طويلة عبر التاريخ، ولأنها كما كانت -ما تزال تعمل للسيطرة على العرب وتعمل على إخضاعهم وتتدخل في شؤونهم وتؤثر عليهم من الداخل بشكل سلبي.

لذلك كان يجب ويفترض أن يدرس هذا الدور ويبحث باهتمام خاص. بل المستغرب هو أنه لم يتم بحث هذا الخطر بشكل مستقل من زمن طويل. وبما أننا كذلك لا ننكر أنه كما كان، ما يزال للعوامل الداخلية والصراعات الداخلية بين العرب دور حاسم في البحث في شؤونها والأخطار المحدقة بها وفي تردي أو ضاع الأمة العربية وفي إضعافها وفي تمكين القوى الخارجية منها.

لهذا نؤكد على أن من أشد الأخطار وأكثرها تأثيراً على الوضع الداخلي للعرب، هو عدم تحديد ومعرفة وتقدير النخب والقيادات العربية (الطافية على السطح اليوم) من هو الصديق فعلاً ومن هو العدو، وبالتالي الأخطار التي تحيق بها من الداخل والخارج، وعدم تحديد نوعيتها ودرجة خطورتها، وطريقة التعامل معها. مما كان ومازال يتيح لمن يقفون وراء تلك الأخطار من النفاذ إلى داخل هذه الأمة بما يؤدي إلى تفتيتها و إضعافها وتردي أحوالها من الداخل، وبالتالي بما مكن الطامعين ومازال يمكنهم من السيطرة عليها من الخارج وحتى عن بعد.

وبما أن عدم رؤية هذه الأخطار الخارجية والداخلية جعل مفكري ونخب وقيادات الأمة العربية ومن ثم شعوبها غير قادرة على التوافق على رؤية موحدة تمكنهم من معرفة ذاتهم وتعريفها وتمييزها عن غيرها من الأمم، وبالتالي إلى عدم التمييز بين الصديق والعدو. خاصة الذي كان ومازال يلبس لباس الصديق. هو ما مكنه ويمكنه اليوم من النفاذ وجعل العرب يضيعون حتى كادوا يفقدون هويتهم القومية ويتلاشوا. وهو ما نراه يتجسد حالياً في واقعنا العربي وتحديداً فيما وصلنا إليه من تفتت وتشظي وضياع بسبب إيران وميلشياتها والموقف منها. لذلك كان لابد لمنظري هذه الأمة الساعين لنهضتها وإخراجها من كبوتها من العمل على تجاوز وتخطي هذه الحالة غير الطبيعية، من خلال تكوين رؤية شمولية، نقدية وكليه للواقع وللقوى الإقليمية والدولية المسيطرة على ضوء رؤية جميع الأخطار التي أحاقت وتحيق بهذه الأمة. وهذا ما قام به ومازال يقوم به كثير من المفكرين العرب الأحرار.

لذلك سوف نسعى في هذا القسم من الكتاب تعريف المواطنين العرب بجذور عداء وكره الفرس للعرب من خلال التعرف على الطريقة الأقرب للصحة والتي تكونت بها المجموعات والمجتمعات والحضارات البشرية الأولى، ومن ثم التعرف على ميزات الفرس والعرب؟ وكيف نشأوا في التاريخ.

من هم الفرس ومن هم العرب:

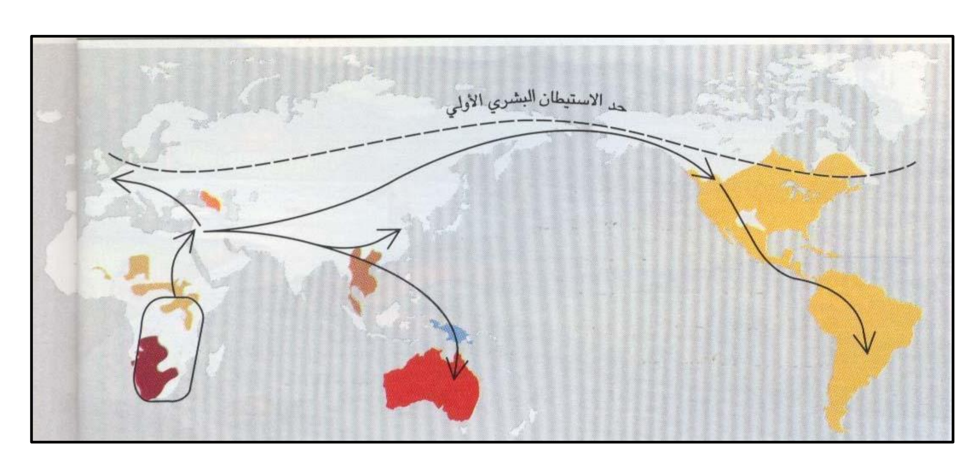
كي لا يلتبس الأمر على حلفاء إيران نتيجة لاستخدامنا كلمة الفرس وليس الإيرانيين. نلفت نظرهم إلى أن أغلب الإيرانيين كانوا ومازالوا يعتبرون أنفسهم فرسا ويفضلون استخدام كلمة الفرس على كلمة إيران. ليس بسبب أن كلمة إيران هي حديثة جداً عليهم (كونها عممت عام 1935 من قبل الشاه رضا) أو لأن عقولهم ونفوسهم لم تألفها بعد، أو بسبب أنها لم تكن معروفة عبر التاريخ سوى بأنها بلاد الفرس. بل لأسباب عنصرية.

فكلمة واسم إيران وحدود إيران الحالية رسمها لهم وحددها رغما عنهم توافق تم بين كل من الإنكليز والروس والأتراك عام 1914. وهو ما أرغم الشاه رضا بهلوي على القبول بذلك بعد أن أدرك بأن دولة فارس القديمة لم يعد من الممكن إعادة بنائها وقيامها - وبأن من المحال أن تتشكل من جديد، فقبل واكتفى بضم إقليم عربستان (الأهواز) عام 1925 ورضخ للأمر الواقع ظاهرياً وقبل بتلك الحدود مع الدول المجاورة لإيران، باستثناء حدوده مع العرب وخاصة مع العراق. حيث ظل يرفضها ويسعى لتغييرها وتوسيعها على

حساب العرب. وهو ما واظب عليه ابنه الشاه محمد عام 1968 من خلال سعيه لضم الضفة الشرقية لشط العرب إلى إيران بعد أن خرج العراق من حلف بغداد عام 1958. وهو ما يتجلى وما زال مستمراً حتى اليوم بسعي الخمينيين وآيات الله ضم مساحات جديدة من العراق والوطن العربي لإيران باسم تصدير الثورة الإسلامية. مما أدى إلى نشوب ما عرفت بحرب الخليج الأولى (عام 1980 إلى عام 1988) ثم الثانية عام 1990. ثم المشاركة في حصار العراق ومن عام 1991 إلى عام 2003 حيث تم تدميره. وما تزال عمليات التدمير مستمرة حتى اليوم من خلال ما تقوم به إيران وأدواتها في العراق وسواها من البلدان العربية وهو ما يستدعي البحث في..

الجذور التاريخية الأبعد لتكون المجموعات البشرية:

مع أن هذا الموضوع مازال موضع دراسة وبحث من قبل عدد من العلماء في عدة علوم مثل علم الآثار والإنسان (الأنثروبولوجيا) والمناخ القديم واللغة والجينات والأديان والاجتماع والتاريخ إلا أن ما توفر من معلومات حالية -باتت أقرب إلى الصحة من غيرها - تشير (بناء لما توصل له باحثين في مركز مايو كلينك في فرجينيا وواشنطن عملوا من عام 2006 حتى عام 2012) إلى أن البنية الجينية للبشر الحاليين تتألف من عشرين نمطا وراثيا رئيسياً وكل نمط لعدة أنماط فرعية، ما يؤكد على إلى أن التباين والاختلاف الحالي بين البشر وبين فرد وآخر في ذات المجموعة أو الصنف يعود لأسباب قديمة أبعد مما كنا نتصور من قبل، (يعود لأكثر من نصف مليون سنة) وبالتالي توصلوا إلى أن البشر الأوائل هيومان سابينس (أجداد الحاليين) كانوا أساسا مكونين من مجموعات بشرية مختلفة؛ على الأقل عشرون أساسية ومئتين فرعية (وليس أربع عروق حسب النظريات العنصرية القديمة).



خارطة انتشار الإنسان

(نقلاً عن مجلة العلوم الأمريكية / العدد 9 و10عام 2009)

بما يفهم منه أن البشر الحاليين يعودون في أصولهم لجنس الإنسان "هومو" الذي ظهر قبل حوالي أربعة ملايين سنة في إفريقيا ثم تفرع - ونشأت منه عدة أنواع وضروب انتشرت في كافة نواحي الأرض انقرض

أغلبها وبقي منها قبل مئتي ألف عام نوع نياندرتال وسابيانس (منذ مئتي ألف عام).[1]

وبسبب البنية الجيولوجية والبيئية والمناخية المختلفة والمتباينة للأرض فلقد شكلت الحواجز الطبيعية مثل الغابات والسلاسل الجبلية والبحيرات في فترة العصور الجليدية المتتابعة (28 و24 و18 ألف عام). عوائق طبيعية عزلت تلك المجموعات عن بعضها آلاف السنين.

وبسبب تنوع البيئات والأحياء الموجودة والمناخ والغذاء فلقد تكيفت تلك المجموعات (كما تكيفت الأحياء الأخرى) مع تلك البيئات وتغيرت مورثاتها وبالتالي صفاتها الشكلية - وفي الوقت الذي انعزلت تلك الأقوام عن بعضها تقاربت مع أقوام وقبائل (مجموعات) أخرى سكنت في ذات البيئة أو المنطقة لفترة طويلة فشكلت مجموعات متشابهة ومتداخلة بنيوياً وشكلياً، نشأت بينها علاقات قرابة وتبادل قاربت بينها أو وحدتها أكثر من البعيدة عنها. ومن ثم تشكلت بين المتقاربة علاقات اجتماعية وتقاليد ولغات وثقافة مشتركة وموحدة أو متقاربة ميزتها عن غيرها. وهو ما يؤكد على أن التباين بين البشر يعود لعوامل بيئية وثقافية وليس جينية (كون ذات البنية الجينية هي واحدة لجميع بني البشر). وعلى أن الهويات القومية أو الوطنية المختلفة للإثنيات الأخيرة المعروفة في العالم هي ثقافية أكثر من كونها بيولوجية كون كل مجموعة لديها الكم والنوع نفسه من المورثات. ولذلك كانت وما تزال قابلة للتغير (التباعد والتقارب)، من خلال نوع الثقافة السائدة والمقبولة.

التمايز بين العرب والفرس:

بالعودة لما قدمه علم الجيولوجيا نجد أن الشكل الحالي للأرض تشكل منذ حوالي عشرين مليون سنة (مع بداية الحقب الثالث) نتيجة عوامل تكتونية ودوران الأرض والجاذبية.. إلخ. أدت إلى انفصال القارات القديمة وتشكل قارات جديدة نتيجة لتصادم الصفيحة العربية الغرانيتية القاعدية مع الصفيحة الهندية أدت إلى إخراج ما كان داخل المحيطات وترسب خلال 300 مليون عام فراح يطفو على سطح الصفائح الغرانيتية في المحيطات والبحار القديمة إلى سطح الأرض (اليابسة) فظهرت على شكل هضاب وجبال مثل جبال طوروس وزاغروس وهيمالايا وهضبة التبت والهضبة الإيرانية وهضبة نجد والرطبة والبوادي والقفار والصحارى والوديان والأنهار والسهول والغابات. بينما ظهرت على حواف السلاسل الجبلية الهضاب ومن ثم السهول والوديان الرسوبية الغنية والصالحة للزراعة أكثر مما هو عليه الأمر في المناطق الجبلية القاحلة والغابات كما في أكثر من سبعين بالمئة من مساحة الأرض اليابسة.

وبما أن الأقوام التي استقرت خلف جبال فارس وزغروس منذ حوالي ثمانية عشر ألف عام الماضية (بعد العصر الجليدي الثالث) وخلال الاثنتي عشر ألف عام الأخيرة حملت سمات وطباع وصفات مختلفة عن السمات التي تميز العرب (سكان البوادي والسهول) وطباعهم أبرزها التكيف مع البيئة الجبلية والحياة القاسية التي انعكست قسوة نفسية وتعصب لبعضها ورفضا لكل ما هو غريب عنها وبالتالي للآخر بصورة عامة، بينما تميز العرب بالانفتاح وتقبل الآخر؟

وقد يستغرب البعض أن يشكل هذا الواقع القاسي سبباً أعمق يفسر قدرة بعض الجماعات البشرية

---

[1]() وبما أن النوع المعروف بالعاقل والماهر (سابيانس) كان أكثر قدرة على التكيف مع البيئات المختلفة الموجودة على الأرض لذلك سادت مورثاته تدريجياً على مورثات الأنواع الأخرى السابقة والكثيرة وخاصة نياندرتال، ومنذ حوالي ثلاثين ألف عام سيطرت مورثاته بصورة نهائية على الأنواع والضروب الأخرى القديمة، ولذلك نتج عدة ضروب أو عدة مجموعات بشرية تحمل بنية جينية متشابهة (حوالي اربع وعشرين ألف مورثة) تكونت منها مجموعات مختلفة شكليا وبنيويا. انتشرت في جميع أصقاع الأرض.

مثل الأفغان والهزارة والهونزا (في الباكستان) والتبيتين والفرس على الصمود وتحدي وهزيمة أعظم قوتين في العالم (السوفييت والأمريكان).

(وهذه وجهة نظر تحتاج إلى مزيد من البحث والتحقق علمياً من خلال قراءة جديدة للعلاقة بين الطباع والعادات وبين البيئات المختلفة التي عاشت في الجماعات البشرية).

حيث تبين أن الحياة القاسية التي عاشتها تلك الجماعات في جبال تورا بورا وفارس والهضبة الأفغانية والفارسية آلاف السنين جعلتها تتكيف مع نمط من الحياة قاسي جداً (نشأت عن فروقات كبيرة في درجات الحرارة ونقص الغذاء) فخلقت لديها القدرة على تحمل الصعاب والثبات فيها وتحمل أقصى الصعاب والكوارث، وجعلها تتكاتف وتتلاحم وتساند بعضها بشدة. ما جعل ويجعل من الصعب على غيرها من الجماعات أن تغزوها أو أن تحتلها أو أن تطردها من أرضها فخلق لديها نوع من الاستقلال والميل العام للحرية وعدم تقبل الغريب والحديث، وهذا ما جعل من العرب رغم الإسلام غير قادرين على حكمهم لفترة طويلة.

وتشير الوقائع التاريخية أن العرب المسلمين لم يتمكنوا من احتلال أفغانستان إلا بعد أربعين سنة وبعد عدة حملات واسعة. وبأن هؤلاء لم يتقبلوا حكم العرب لهم إلا بعد أن تقبلوا ودخلوا في الإسلام.

وهو ذاته ما جعل الفرس والأفغان يرفضون حكم العرب على الرغم من إسلامهم لأكثر من سبعين سنة فقط. (وقد يكون تمكن العرب وحدهم من دون شعوب العالم من حكم الفرس من خلال الدين الاسلامي سبباً عميقاً لكره الفرس للعرب وللإسلام السني) حيث سعوا لطردهم وحكم أنفسهم بأنفسهم، بما يفهم منه أيضاً أن الحياة القاسية ساهمت في تمتينها كما سيتبين معنا ميل للغزو للحصول على الغذاء والتوسع وأنه كان لهذا وأصبح للعوامل الاقتصادية والسيطرة على طرق التجارة دور كبير في تعزيز روح القسوة والتوسع .وخلق ميلاً عاماً ل .الغزو والتوسع والسيطرة. وهوماً جعل سكان الهضبة الفارسية (الفرس اسماً وشكلاً) خاصة سكان تبريز وشيراز وأصفهان وطهران يعيشون باستقلالية تامة عن أي جماعات بشرية أخرى أو الخضوع لهم (عرب مغول تتر انكليز روس أمريكان وسوفييت) وجعل من الصعب إن لم يكن من المستحيل إخضاعهم. وجعل بالتالي القوميات أو الجماعات الأخرى المجاورة لهم (طاجيك وبشتون وأذريين وأفغان.. إلخ) ينضوون أو يتقبلوا الانضواء تحت الفرس لهم .بدولة اسمها بلاد فارس، وهو ما جعل كلاً من إيران وأفغانستان من الدول العصية على الاحتلال من قبل أي قوة ظهرت في التاريخ حتى لو امتلكت واستخدمت القنابل الذرية.

وبما أن الوطن العربي كان يتألف من هضاب وسهول وبوادي وصحاري مفتوحة على بعضها وتقع بين القارات الثلاث وتمتد وتنتشر منذ ثمانية عشر ألف عام في منطقة واسعة تمتد من الخليج العربي حتى المحيط الأطلسي ومن جبال طوروس وزغروس حتى الصحراء الكبرى وبحر العرب لذلك كان وما زال سهلا ومفتوحا ومنفتحا على غيره من الدول والشعوب القريبة والبعيدة، أكثر من بقية الشعوب وبالتالي أكثر تنوعاً وتقبلاً للمهاجرين من المناطق المختلفة، لذلك بات العرب متميزين بتقبل الآخر ومتسامحين أكثر - من غيرهم من الشعوب (الجماعات البشرية) خاصة عن الفرس وباتوا أسهل للغزو ويتقبلون حكم الغريب حتى لو كان غازياً.

إضافة لكون الوطن العربي يقع في المنطقة المعتدلة من العالم مما كان يدفع الشعوب التي تعيش في المناطق الحارة والباردة للهجرة إليها والإقامة فيها. وبما أنها تتوسط العالم وتمتلك خيرات مادية وروحية

كثيرة فلقد تقبلت كثير من الأمم وظهرت فيها أقدم الحضارات الإنسانية والأديان ولهذا أيضاً باتت محل أطماع كثير من الشعوب والقوى القريبة والبعيدة.

الحضارات القديمة:

يقسم علماء الأنثروبولوجيا والباليونتولوجيا وعلماء الإنسان القديم (الباليو انثر بيولوجيا) الحضارة البشرية إلى ثلاثة عصور وحقب. العصر الحجري القديم "الباليوليتي" (ما قبل 18 ألف عام الماضية) والعصر الحجري الوسيط "ميزوليتي" (إلى ما قبل تسعة آلاف عام) والعصر الحجري الحديث "النيوليتي" من أربعة آلاف عام قبل الميلاد إلى اليوم. ومن ثم قسموا العصر الحديث إلى عصور، فخاري وما قبل الفخاري وإلى نحاسي وبرونزي وحديدي (الف ق. م). واعتبار العصر الأخير الذي ظهرت فيه الكتابة عصر التاريخ وكل ما هو قبل الكتابة عائد إلى ما قبل التاريخ.

ويؤكد هؤلاء العلماء وأبرزهم عالم الأنثروبولوجيا الفرنسي "كلود ليفي شتراوس " على أن حضارة العصر الوسيط أساس الحضارة النيوليتية تجلت أول ما تجلت في الساحل الشرقي للبحر المتوسط في وادي اليرموك وحول البحر الميت في فلسطين بما عرفت بالثورة الزراعية (اول ثورة في تاريخ البشرية والتي انتقلت فيها من حالة الصيد والقطف والرعي إلى الاستقرار والزراعة قبل 14 ألف عام) ومن ثم انتقلت تلك المنجزات إلى أبي هريرة على نهر الفرات ومنها انتقلت قبل 12 ألف عام إلى بلاد ما بين النهرين ومن ثم اتخذت الحضارة النيوليتية قبل سبعة آلاف عام في جنوب العراق انطلاقتها الكبيرة فنقلت التجمعات البشرية من تجمعات إل مجتمعات متلاحمة ومتعاونة أكثر ومن ثم كونت حضارات - خاصة بعد انحسار العصر الجليدي الأخير قبل تسعة آلاف عام.

الحضارة السومرية:



الحضارة السومرية

تشير أبحاث انثروبولوجية كثيرة إلى أن قبائل عديدة ظهرت في جنوب العراق مثل العبيديين بينما

ظهر الجوتيون في الشمال (على سفوح جبال زاغروس وهضبة فارس) وبأنها وغيرها هاجرت إلى جنوب العراق - كونه كان ومازال أغنى مناطق العالم بالغذاء. بسبب وجود الأهوار الغنية بالأسماك وكل انواع الطيور وتعيش على حوافها الجواميس والخنازير والأبقار والأغنام والقصب والبردي. وفي أرضها توجد أكبر تجمع للنخيل في العالم ومن ثم بعد أن تمت زراعة الارز والقمح والخضار والاستقرار. فتشكلت فيها ما باتت تعرف

بالحضارة السومرية والتي تعتبر أقدم حضارة مدنية في التاريخ ومهد الحضارة الإنسانية النيوليتية (حسب رالف لينتون) حيث قدمت للعالم أهم لإنجازات البشرية مثل صناعة الفخار والكتابة على الطين (المسمارية) والانتقال من حياة الريف إلى إقامة التجمعات الكبيرة المتلاصقة أو ما باتت تعرف بالمدن (مثل اور والوركاء) وحيث تشكلت أول الحكومات والأديان والقوانين إضافة إلى اكتشافات كثيرة مثل الدولاب والمحراث والعتلة وطرق إقامة السدود وحفر القنوات وطرق الزراعة والصيد ومن ثم انتقلت تلك الابداعات إلى سوريا مصر ومن ثم إلى اليونان وأوروبا. وهكذا يكون السومريون قد أسسوا لأول حضارة مدنية عرفتها البشرية وأول ما يمكن اعتبارها أول إمبراطورية في التاريخ وذلك منذ خمسة آلاف عام ق. م. ومن بعد ذلك أخذت منجزاتها ومنجزات العرب الآخرين (الكنعانيين واليبوسيين والآراميين) تنتشر في بقية بلدان العالم.

الحدود الجغرافية للإمبراطورات القديمة والدول:



الإمبراطورية الأكادية والبابلية

من المؤكد أن البشر كانوا قبل إقامة الدول القومية في أوروبا يتنقلون في جميع الجهات خاصة من الشمال للجنوب دون عقبات ومن المؤكد أن فكرة الحدود بين الدول القومية لم تنشأ إلا بدءاً من القرن التاسع عشر. أما قبل ذلك فكانت الحواجز الطبيعية خاصة السلال الجبلية أو الأنهار الكبيرة أو البحار والبحيرات هي التي تفرض الحدود وتقيم الحواجز بين المجموعات البشرية المتجاورة (التي كانت قد استقرت عبر عشرات آلاف السنين في تلك المناطق)، ولهذا فإن السومريين امتدوا وانتشروا على طول الساحل الشرقي والغربي من الخليج العربي من جنوب العراق حتى مضيق هرمز. حيث كان ما باتوا يعرفون بالفرس يسكنون خلف جبال زغروس في الهضبة الفارسية وما خلفها ويعيشون على وبين الهضاب والجبال. بينما كانت مملكة سومر (المكونة أساسا من قبائل وعشائر عديدة) تمتد على كافة حواف ما يعرف اليوم بالخليج العربي، واستمر الأمر كذلك خلال فترة ظهور الأكاديين والبابليين بعدهم، حيث تبين الخريطة رقم 2 أن الخليج العربي كله كان تابعاً أو تسكنه قبائل من السومريين والأكاديين والبابليين.

العرب ورمزية هجرة النبي ابراهيم:

تشير هجرة نبينا إبراهيم (وسواء أكان حقيقة واقعية أو مفترضة أو متخيلة) من اور الكلدانيين شمالاً إلى ديار بكر ومن ثم نزوله إلى الرمادي وبادية الشام (لم يذهب شرقاً أو غرباً أو شمالاً بل اتجه نحو الجنوب) ومن ثم انتقل إلى فلسطين ومنها إلى مصر ومن ثم عاد إلى فلسطين وثم سافر إلى الحجاز وبنى البيت العتيق ببكة. وهو ما يشير إلى أن كل تلك المناطق التي جال فيها سيدنا ابراهيم كانت متقاربة وأنها كانت تتحدث لغة واحدة بعدة لهجات شكلتها تلك الحضارات والإثنيات القديمة (كلدانيين وآشوريين وأراميين وكنعانيين ومصريين وأنباط وحجازيين وسواهم) حيث كانت عاداتها ولغاتها المتقاربة عاملا مهما في جعلها متعايشة ومتفاهمة ومتوادة، فشكلوا ما يعرفون اليوم بالعرب، ويعتقد أو على الأغلب (كما يبين أستاذ اللغات القديمة في جامعة دمشق الدكتور محمد بهجت قبيسي - أن لغاتها القديمة كانت لهجات للغة واحدة (آشورية وآرامية) ممزوجة بالكنعانية القديمة (تطورت فيما بعد للنبطية ومن ثم للعدنانية والقرشية أي العربية الحالية). وهذا بحث آخر.

وهو ما يفسر سبب استقبال "أبيمالك" في نابلس فلسطين النبي إبراهيم وعشيرته في أرض فلسطين ولماذا أعطاه أرضا يقيم فيها بكل اريحية مع أنه قادم من جنوب العراق. وهو ما فعله معه كذلك فعل فرعون مصر، ما يشير إلى أن الكنعانيين والمصريين (الفراعنة) والحجازيين كانوا متقاربين ويشبهون الكلدانيين والآشوريين وآراميين والسريان والكنعانيين. وأنهم كانوا متعايشين مع بعضهم منذ أكثر من أربعة آلاف عام. ولهذا كانوا منذ ذلك التاريخ . أقرب ما يكونون لمجموعة بشرية واحدة تختلف عن غيرها من التجمعات المجاورة لهم مثل الفرس أو الروم أو الروس.

المنطقة العربية:

تؤكد الحقائق التاريخية المثبتة إلى أن الكنعانيين القدامى والسومريين ومن ثم الأكاديين والآشوريين والبابليين والحثيين والاراميين والمصريين، منذ حوالي تسعة آلاف عام حتى عام 2000 ق. م كانوا أقدم من سكن هذه المنطقة الواسعة. ولم يظهر أي أثر للفرس أو لليهود فيها أو في التاريخ قبل 2500 عام. حيث

تبين الوقائع أن الفرس أقاموا أول مملكة لهم عام 529 ق. م بعد السومريين بثلاثة آلاف سنة، ولما تسلم قورش الحكم تمكن الفرس من تدمير حضارة البابليين ومن ثم توسعوا غرباً حتى وصلوا مصر.

وتشير الدراسات الاقتصادية أن الدافع وراء هذه الغزوات وعمليات التوسع الفارسي كان السعي للسيطرة على المنافع المادية الناتجة عن نقل المواد المختلفة عبر طرق التجارة بين الشرق والغرب والتي كانت تمر من الهند والصين وجزرهما إلى أوروبا بطريقين الأول عبر الشريط الساحلي للخليج العربي مروراً بالموصل في العراق ومن ثم إلى حلب ومنها إلى انطاكية وأوروبا. والثاني المعروف بطريق الحرير المار من الصين والهند عبر أفغانستان وشمال إيران إلى تركيا ومن ثم إلى أوروبا. لذلك سعى الفرس اول الأمر إلى السيطرة على الطريق الساحلي الشرقي للخليج العربي فغزوه واحتلوه أولاً. وبعد أن توحدوا تحت قيادة "قورش " راحوا يقيمون المراكز التجارية في السواحل الشرقية للخليج العربي ويجنون المغانم المادية الكبيرة. فراحوا يتمددون رويداً رويداً غرباً في الامبراطورية البابلية. فاحتلوا الساحل الشرقي للخليج العربي من هرمز إلى شط العرب الشرقي. ومن ثم دمروا الامبراطورية البابلية ومن ثم تمكنوا من الاستيلاء على جميع الأراضي التي كانت تتبع لها. ومن ثم راحوا يتمددون غرباً فاحتلوا كل سوريا للسيطرة على طريق الموصل حلب وغرب تركيا) ومن ثم توجهوا جنوباً فدمروا الآراميين والحثيين والكنعانيين ثم انتقلوا إلى مصر.

وكما يؤكد فراس السواح (مؤرخ الأديان) فإن أكبر عمليات تهجير للشعوب مثل الأراميين والكنعانيين والموسويين والصابئة (اتباع النبي يحيى الذين كانوا يعيشون على حواف نهر الاردن ونقلوهم إلى العراق). ومن ثم نقلوا اليهود ليحلوا محلهم ولكي ينتشروا ويسطروا على خطوط التجارة العالمية فبنوا لهم هيكل كي يستقروا هناك ويكونوا أدوات لهم بهدف السيطرة على طرق التجارة العالمية. ولما توجهوا غرباً تجاه الأناضول واليونان تصدى لهم المقدونيين بزعامة الاسكندر الذي هزمهم ثم تابعهم واحتل ديارهم وعاصمتهم برسيوس والهضبة الفارسية كلها ومن ثم أقام المقدونيين أول امبراطورية لأوروبا في الشرق الأوسط.

اسم إيران:

مع أنه ما يزال لا يوجد حتى الآن اتفاق على سبب تسمية إيران حالياً بهذا الاسم بدلاً من بلاد فارس. إلا أنني اعتقد أن ذلك تم بسبب أن كلمة إيران القديم تشير لدولة وطنية تشتمل على قوميات واثنيات عديدة، كغيرها من دول العالم التي تضم تحت جناحيها مجموعات بشرية متنوعة وهذا ما سعى له الشاه رضا عام 1935. ما يفهم منه أن اسم إيران الحالي هو اسم وطني كان يتضمن نية للتحرر من النزعة العنصرية والتوسعية القديمة للفرس. لكن مع ذلك كما تشير كثير من الأبحاث إلى أن الفرس ظلوا متمسكين بكلمة فارس وبلاد فارس ليس لأنها أقدم من كلمة إيران. بل بسبب عنصريتهم وتعصبهم لفارستيهم.

وتشير أكثر الدراسات إلى أن أقدم ظهور لهذه الكلمة كان في كتابات المؤرخ اليوناني "هيرودوس" وذلك استنادا ل اسم عاصمتهم التي احتلها الاسكندر المقدوني (برسيوس المشتقة من كلمة بارس والتي تعني باليونانية المكان المرتفع والعالي أو القاسي "بارس"). ولسهولة النطق باتت تلفظ فارس وعلى البلاد كلها بلاد فارس وعلى الشعب الذي يسكن فيها اسم الفرس مع أنهم مكونين من أقوام وشعوب عديدة لكنهم تقبلوا هذا الاسم وظلوا يتسمون به، ومع أن اسم إيران بات يستخدم رسمياً منذ عام 1935 لكن

أغلب الإيرانيين مازالوا يتمسكون ويفضلونه على لفظ إيران.

أما بالنسبة للعرب فكلمة العرب -على الأغلب- كانت تطلق على سكان البوادي والقفار، حيث كان المقدونيين والرومان يطلقون (وهم أول من أطلق) كلمة "أرابيا" على الصحراء وبالتالي على البادية ومن ثم بات يطلق على سكانها لفظ الأرب. ومن ثم تحولت لاحقاً على لسان العرب وغيرهم لسهولة النطق (نطق حرف العين مميز للسان العرب) إلى عرب وبات يطلق على كل من يسكن البادية والصحراء اسم عربي. (حيث وردت في الكتابات السومرية لفظ "جندب العربي" كملك على العرب.

ومع أن بعض المؤرخين مثل وول ديورانت يرى أن اسم إيران مشتق من كلمة آريان المأخوذة من الآريين الذين هاجروا من أوروبا قبل ستة آلاف عام وأطلقوا تلك التسمية على تلك البلاد وشعوبها كلهم. لكن بما أن أغلب سكان إيران لم يكونوا من الآريين لذلك لم يتمسكوا بهذه التسمية. ومع ذلك يؤكد ديوانت (في كتب قصة الحضارة ج 13 ص 322) أن الشعب الذي سكن هذه البلاد مكون من عدة شعوب أو قبائل أو جماعات وإثنيات مختلفة "بدليل وجود 27 ملكا عليهم قبل ألف عام من الميلاد".

ومع كل ذلك لا يوجد -حتى اليوم- تفسير نهائي ودقيق وحاسم حول جذور وأسباب استمرار استخدام كلاً من الكلمتين وتغيرهما حسب الظرف القائم والغاية المبتغاة.

التمييز بين الفرس والإيرانيين:

حتى نتمكن من تقديم إجابة شافية وأقرب إلى الصحة، تمكننا من التمييز بين مدلولات هذين التكوينين والمفهومين المتداخلين والغاية منهما. أجد أنه لابد من تقديم إحاطة شاملة وسريعة تمكننا من الربط بين تكوين إيران البشري المكون من مجموعات بشرية طبيعية ومجموعات تشكل تياراً ذو نزعة عدوانية توسعية. تمكننا من الربط بين التحولات التاريخية التي مر بها والتي مكنت التيار الأخير من الهيمنة على إيران حتى وصلا إلى ما هم عليه اليوم من عداء مستحكم للعرب. لذلك نلفت النظر إلى:

1: أن استخدام كلمة الفرس كانت وماتزال تروق لنخب التيار الأخير (التوسعيين، القدامى والحاليين) أكثر مما تروق للديمقراطيين الإيرانيين ولنا نحن كعرب. بصورة عامة. حيث إن كلمة فارس تستخدم في كتبهم وخطاباتهم كثيراً وبأكثر مما نستخدمها نحن – وهذا أمر يعود لأكثر من ألفي سنة ونيف واستمرت في عهد الشاه محمد البهلوي. ونلفت النظر إلى أن الخميني واتباعه استمروا على خطا الشاه محمد بهلوي حيث ما زالوا يتغنون بالحضارة الفارسية ويطلقون اسم فارس على الهضبة والجبال التي يسكنوها وعلى ما يحيط بها من أراضي وبحار وعلى كل من يسكنها من قبائل وشعوب. كما يطلقون تسمية الفارسي على الخليج العربي وعلى الحضارات القديمة التي انجزوها في ظل حكم العرب، وما زالوا يتغنون بها ويمجدونها. ما يعني أننا..

2: إذ نستخدم كلمة الفرس (مع أن سيدنا محمد (ص) أطلق عليهم كلمة العجم) فليس انطلاقاً من نظرة قومية أو عنصرية أو للتقليل من شأنهم - بل على العكس تماماً للإشارة لحضارة عريقة. حيث أظهر كثير من مؤرخينا وكتابنا عظمة الحضارة الفارسية مثلهم وأكثر من خلال ما قدموه للعرب وللعالم في فترة حكم الدولة العباسية لبلاد الفرس - من إنجازات علمية وطبية وفلكية ورياضية وفلسفية لنا وللعالم. حيث إننا ما نزال نتغنى برباعيات عمر الخيام ومواقف وأقوال أبو حنيفة وأبو هريرة والنيسابوري وابن سينا

والخوارزمي والفارابي وسيبويه والزمخشري.. إلخ، ونتغنى بإنجازات علمية وحضارية كبيرة قدموها للبشرية خاصة في علم الفلك من خلال مرصد "مراغة" حيث كان الإيرانيين المسلمين سباقين ومتقدمين علينا وعلى العالم.

وهذا ما أكد عليه "ناصر بريتوار" ولذلك بين أيضاً أن الخلاف بين استخدام أي من اللفظين هو مؤشر على دلالات وأهداف سياسية قومية، بعضها راهنة ومعلنة لأغراض دعائية، وبعضها غير معلن لتحقيق أهداف القوى المتنفذة (غير الظاهرة) في إيران. وبين أهداف إنسانية وإسلامية.

3: من يدقق في الأمر جيداً يرى (وكما سنبين) أن ثمة مجموعة صغيرة من القوميين الفرس الإيرانيين المتشددين فيما تسمى اليوم "جمهورية إسلامية" والمتنفذين (لا يظهرون على السطح) هم الذين ما زالوا يصرون على استخدام كلمة الفرس لتحقيق الأهداف التوسعية القومية للمتعصبين الفرس. ويصرون على عدم التخلي عنها ويفضلون استخدامها على استخدام لفظ إيران.

مع العلم أن كلمة الفرس من وجهة نظر من يعتبرون أنفسهم إسلاميين وإيرانيين، تتناقض مع مفهوم وشعار الدولة الإسلامية. باعتبار أن الإسلام ضد التعصب القومي. لذلك يرى هؤلاء (كما رأى الشاه رضا وهو مسلم مثلهم منذ عام 1935) أنه يجب أن يتوقف تداولها ليحل محلها مصطلح جمهورية إيران الإسلامية فقط. وهذا ما يبرر لنا أن نستبق البحث بالتساؤل عن الأسباب التي تجعلهم يتمسكون بكلمة الفرس ويرفضون التخلي عنها إذا كان مسلمين فعلاً؟ أو فيما إذا كانوا يدعون لأن يصبح الإسلام ديانة عالمية؟ ولكي ينفوا عن أنفسهم صفة التعصب القومي أن يتخلوا عن استخدام مصطلح الخليج الفارسي على خليج مشترك بيننا وبينهم. ويعطوا لإقليم الأهواز العراقي ولمقاطعتي كردستان وأذربيجان أسمائها القومية ضمن الدولة الإيرانية - كما فعلت الحكومة العراقية مع أكراد العراق. من حيث إعاء تلك الشعوب حقها في التكلم بلغاتها وممارسة عاداتها وتقاليدها الخاصة وهو ما فعله العرب المسلمون في كل المناطق التي سيطروا عليها. بينما يصرون اليوم على الاستمرار باستخدام تسميات فارسية على هذه الأقاليم ويرغمون شعوبها على التكلم باللغة الفارسية كلغة رسمية ولا يعترفون بأية حقوق لغوية أو ثقافية أو اقتصادية لغير الفرس؟

4: من المفيد التذكير بأن إصرار الفرس على استخدام كلمة الفرس هو تأكيدهم على عنصرية فارسية مثل مفهوم العرب العنصريين. يسعى المتنفذين الفرس داخل إيران من خلاله أن يضموا تحت جناحيه قوميات واثنيات أخرى قديمة عاشت منذ القدم في إيران وما تزال تعيش معهم وبينهم. ولا علاقة لها بالفرس وعنجهياتهم. (كما فعل العرب في عهد الأمويين) حيث تبين الحقائق التاريخية أن من سموا أنفسهم بالفرس كانوا مجرد مجموعة اثنية صغيرة سكنت الهضبة الإيرانية (مثل العرب الأوائل الذين سكنوا هضبة نجد) وكما انضم للعروبة سكان الحجاز وأمارة حائل واليمن وشمال شبه جزيرة العرب ومصر وسوريا والعراق مصر والسودان وموريتانيا كونهم تكلموا اللغة العربية فتقبلوا هذه التسمية وباتوا يعتبرون أنفسهم عربا. كذلك فعلت الاثنيات الأخرى التي سكنت إيران.

ومن الملاحظ أنه لايزال كثير ممن يعيشون في إيران يتكلمون لغات أخرى غير فارسية ويرفضون اعتبار أنفسهم فرساً. على عكس السومريين والبابليين والأراميين والكنعانيين والفراعنة القدامى الذين اندمجوا مع عرب الجزيرة واعتبروا انفسهم عرباً وتقبلوا العروبة والانضواء تحت راية واسم العروبة لمواجهة كلاً من الفرس والروم وكل من سعوا لاستعبادهم. لكن الفرس على العكس فرضوا ذلك الاسم على القوميات

والاثنيات الأخرى وأجبروهم على اعتبار أنفسهم فرساً وعلى التكلم بالفارسية، بينما تحدث جميع أبناء الإثنيات والجماعات التي سكنت بلاد العرب اللغة العربية طوعا كونها مشتقة أساسا من لغاتهم القديمة أو لهجاتهم القديمة وجامعة لها، ولأن القرآن جاء باللغة العربية وليس بالفارسية)، لذلك تقبل كل العرب تسمية بلدانهم بأسماء وطنية عديدة مع أنهم كلهم يعتبرون انفسهم عربا. بينما يرفض الفرس إعطاء الأذريين والبشتون والعرب والكرد حق تقرير المصير والاستقلال وحق استخدام تسمياتهم ولغاتهم وثقافتهم الوطنية.

ولهذا كانوا ومازالوا يفرضون تعميم اللغة والثقافة الفارسية على شعوب حضارات واثنيات أكبر منهم وأقدم منهم. لذلك مازالوا يتحدثون بلغاتهم القديمة وهذا مالم يفعله الكلدان والسريان والمصريين والكرد والبربر. ولم يفعله العرب مع أنهم حكموا تلك البلدان والشعوب مئات السنين.

ومن يدقق في واقع إيران الحالي يجد أن الفرس كما سيطروا في الماضي على تلك الحضارات والأقوام كذلك اليوم يسيطرون فعليا وعمليا على مقدرات القوميات الأخرى التي تسكن هذه المنطقة المسماة إيران. حيث نجد أن حوالي 70% من القيادات السياسية والدينية والفعاليات الاقتصادية هم من الفرس. بينما لا يملك الأذريين والبشتون والعرب والكرد والطاجيك والتركمان.. إلخ، إلا بأقل من 30% منها (أصحاب الديانات والمذاهب الأخرى العديدة من مسيحيين ويهود وسنة وبهائيين وأحمديين مراكز هامشية. مع أن أعداد هؤلاء يزيدون عن 50% من سكان إيران. لكن بما أن أغلبية الفرس تبنت الإسلام ثم المذهب الشيعي لذلك اكتفى هؤلاء بالتمسك بتعاليمهم في بيوتهم وباتوا مغلوبين على أمرهم. خاصة بعد الثورة العميقة (كما سنبين) كان يقتل وقتل منهم ما يزيد عن المليون من البشر. وهو ما أرغمهم على تقبل الخمينية.

5: وهذا ما يشير أيضاً إلى أن الخلاف حول استخدام أي من اللفظين، أو تسميات قومية ليس ناتجاً عن استخدامنا نحن له. بل لوجود خلاف سياسي وفكري عميق داخل إيران ذاتها بين مكونات إيران الإثنية، وبين وداخل القوى الحاكمة في إيران حول استخدام الاستمرار باستخدام لفظ الفرس أو التخلي عنه. وهو ما يعكس سعياً يشير التمسك به إلى هيمنة الطرف الفارسي الشيعي على المكونات الأخرى المعتدلة. وهو خلاف يجب حله داخل إيران أولاً.

وبما أن الوقائع تشير إلى أن أي من تلك التسميات سوف يقود سلفاً وتلقائياً الحكومة القائمة في إيران إلى تبني نهج وسياسة مختلفة عن السياسة الحالية الاستبدادية والإقصائية القائمة حالياً. سياسة تعتمد الديمقراطية والتعددية. من خلال إعطاء هذه القوميات حقوقها القومية والذاتية أو في إقامة حكم لا مركزي.

وبسبب رفض الفرس والخمينيين لهذا الأمر فإن الخلافات ستظل قائمة ومستمرة بين مكونات المجتمع الإيراني- خلافات ثقافية واقتصادية واجتماعية وسياسية وتباين في التوجهات المستقبلية الفكرية والروحية. تنشأ حول استخدام أي من اللفظين إيران الديمقراطية أو إيران الفارسية. وقد تصبح كلمة الديمقراطية مُفجِرة لإيران من الداخل. ما يشير إلى أن الخلاف حول استخدام أي من اللفظين ليس شكليا فقط. وله علاقة غير مباشرة بطرق حل الخلافات القائمة بيننا وبينهم.

6: مع أن الكلمتين استخدمتا لفترة طويلة من قبل العرب والروم والإغريق. كما تستخدم اليوم من قبل الكثير من الإيرانيين للدلالة على ذات المكون البشري المتنوع دون تعصب لأي منهما. إلا أنني لذلك أرى أن التمييز بين مدلولات كلاً من اللفظين بالنسبة لنا نحن باتت اليوم مسألة بالغة الأهمية كونها تحمل

مؤشرات على توجهات حكام إيران المستقبلية. هل ستكون عنصرية وغير ودية ام ودية. فالتمسك بلفظ الفرس يعني التمسك بالنزعة الإمبراطورية التوسعية القديمة للفرس في بلادنا. بينما سيكون استخدام كلمة إيران مؤشر على تقبل كل القوميات الموجودة في إيران (خاصة العرب المقيمين في الأهواز والمحرومين من أبسط حقوقهم القومية) وتقبل التعايش مع الجيران بود وسلام.

ودليل على تخليهم أو توقفهم عن النزعة القومية والعنصرية والاستعلائية والتوسعية. من هنا كان البحث في الفروق بينهما مسألة مفتاحية للتعرف على النيات والأهداف ومضمون توجهاتهم الحالية والقادمة.

الفصل الثاني:
نشأة وظهور الإمبراطوريات الفارسية

أولاً: الإمبراطورية الميدية:

تؤكد كتب التاريخ العديدة (قصة الحضارة وشجرة الحضارة) على أن ما عرفت بالشعوب (أو الإمبراطورية) "الميدية" والتي ظهرت قبل أربعة آلاف عام على أرض ما عرفت سابقاً ببلاد فارس وتعرف اليوم بإيران. كونها كانت تتألف من مجموعات بشرية غير مستقرة ومن مناطق مختلفة لذلك لم تكن تملك لغة جامعة واحدة ولا ديانة واحدة، بل عدة ديانات وثنية وعدة لغات ماتزال قائمة حتى اليوم. وكونها كانت تؤمن بديانات وثنية وآلهة عديدة لذلك كانت متفرقة وغير موحدة. لذلك ظلت تلك المجموعات مع أنها تعيش على بقعة واحدة من الأرض متباعدة روحياً وفكرياً. ولم تتمكن أي مجموعة كبيرة توحيد المجموعات الأخرى خلفها. لذلك لم تشكل إمبراطورية واسعة. ولم تصبح حضارة متميزة. مع أن البعض يعتبر أن الديانة المجوسية التي سادت في الهند كانت أهم تلك الديانات. لكنها مع ذلك ولذلك اعتبرت الميدية من قبل بعض المؤرخين والمفكرين النواة الأولى والأقدم للحضارات الفارسية اللاحقة.

وبما أن لفظ المجوس كان يطلق سابقاً على كل من كان يعبد النار أو يقدسها. حيث كان تَجَّمع الناس حول النار يشعرهم بالدفء والوحدة الروحية (الروحانية والنورانية)، فتم اعتبارها أساسا للبقاء والوجود. لهذا باتت مقدسة وباتت عبادة النار مقدسة وديانتها ديانة جامعة وسائدة. وهو ما تؤكد عليه كتابات الإغريق والعرب القديمة. حيث تشير إلى أن لفظ المجوس (المجوش عند الإغريق (عبدة النار) حيث كان يطلق على الأقوام القديمة التي سكنت شمال وشرق إيران قبل أكثر من ألفي عام من ميلاد السيد المسيح. لأنها كانت تتجمع حول النار وتقيم حولها الطقوس والعبادات والمهرجانات (بقاياها ما تزال باقية في إشعال المشاعل والشموع في الكنائس والأضرحة والمقامات لدى كثير من الشعوب). ولهذا أطلق العرب في القرآن عليهم لفظ المجوس. وهو ما يؤكد عليه أيضاً الباحث المصري (مؤسس علم الأديان المقارن في الوطن العربي) الدكتور "أحمد الشلبي".

حيث أكد على أن لفظ مجوسي كان يطلق على (الكاهن الذي يطفأ ويشعل النار) والجرابذة على الكهنة الذين يحمون ويديرون المعابد التي توقد فيها النار ولفظ المجوس على كل من يؤمنون بهم. كما كان المصريون القدماء يطلقون لفظ كاهن آتون على من كان يعبد أو يقدس الشمس. (على الملك اسم "أخناتون" عبد آتون). مثل عبد الله على من يعبد الله. ويشير فراس السواح إلى أن "أهورا مزدا" أو الله او إله الخير وهو في الزرادشتية النور مشتق من عبادة النار. من هنا فإن المجوس كانوا عبدة النار والزرادشتية

عبدة النور.

وكما بين "محمد الجوهري" في كتابه المدخل لعلم الاجتماع (دار الثقافة. القاهرة عام 1984) أن علم الاجتماع الديني يركز على هذه العلاقة بين رجال الدين وبين مجالات الحياة الأساسية، (النار والنور والشمس والقمر والدفء) وبين انبعاث الحياة وبين الاجتماعية والسياسية.

وبما أن الدين كما ذكر يمارس إلى جانب ذلك وظيفة مهمة خاصة في المجتمعات البدائية من خلال تدعيم التماسك الاجتماعي وضبط سلوك الأفراد. من خلال نشر وتعميم القيم التي يؤمنون بها. ما أعطى للجرابذة (نظير الكهنة والمشايخ والملالي وآيات الله حالياً) الدور ذاته الذي كان يلعبه من يشعلون النار ويوقدونها ويسهرون على استمرارها - ويمارسون دوراً حاسماً في الحياة الروحية للناس. وهو ما أسس في جميع أنحاء العالم احترام وتقدير خاص، بل وتقديس للنور والضياء والشموع وللكهنة والأولياء (بما فيهم الدجالين).

ومن المؤكد أن عبادة النار لا تخلوا من أساس علمي وموضوعي أيضاً، وليست لأسباب اجتماعية ونفسية فقط. ولا أمراً ملفقاً أو بدعة، ولم تأت أو تنشأ من فراغ (مثلها مثل عبادة القمر والشمس) بل نشأت لأسباب موضوعية بسبب أن الأرض في بعض مناطق أذربيجان في إيران كانت تنز النفط كونه قريبٌ من السطح فيشتعل لأسباب عديدة فيصبح ناراً منيرة كالشمس تبعث على الدفء، فكان لابد من أن تعبد وتقدس. وهكذا انتشرت عبادتها في كثير من البلدان المجاورة لإيران مثل افغانستان وأذربيجان وامتدت إلى شمال وشرق سوريا والعراق ومناطق سكن الأكراد الإيزيديين (بقاياها ماتزال موجودة حتى اليوم في وحوالي جبل سنجار وحتى تل تمر). وبما أن هؤلاء الكهنة (كما هو حتى اليوم في إفريقيا وأستراليا ومينوليزيا) كانوا يضعون على أجسادهم العارية جلود الثيران وقرونها على رؤوسهم، ويدورون في حلقات دائرية حول النار المشتعلة وهم يصرخون أو يغنون أناشيد خاصة ويقومون بحركات مثيرة بما يخلق حالة من الرعب والهلع في قلوب الناس العاديين بما يجعلهم يرضخون لأوامرهم وينفذون طلباتهم. ولهذا أصبحوا يتحكمون بأعمال وحياة الناس العاديين وسلوكهم.

ثانياً: الإمبراطورية الأخمينية:

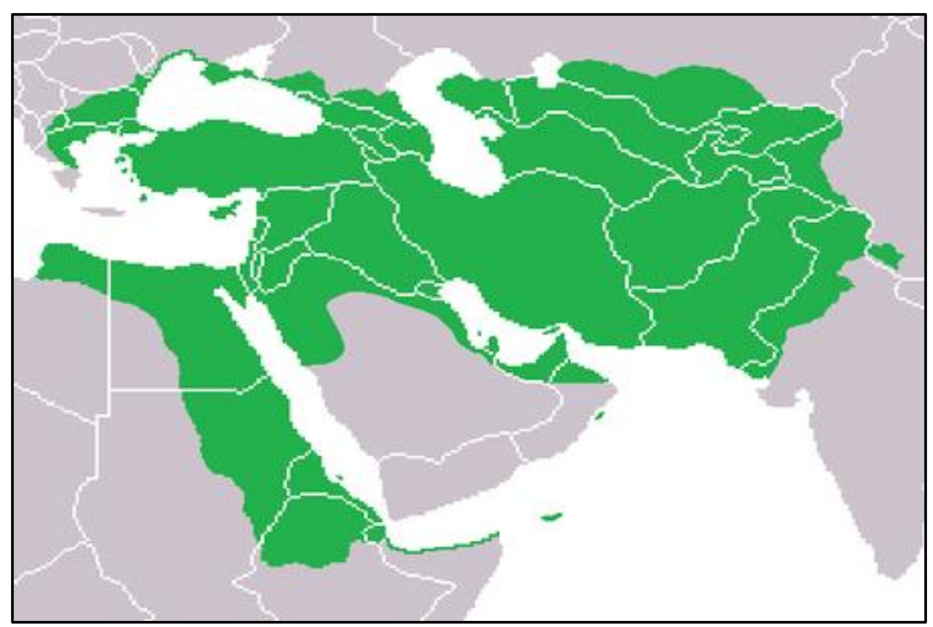
مع ظهور القائد العسكري الفذ "أخمينوس" في برسلييوس جوالي 600 ق. م توحدت كثير من القبائل الفارسية وخضعت لحكم العائلة الأخمينية التي ينتمي لها أخمينوس (كما توحد العرب حول قبيلة قريش حوالي 450 م). ومع بداية الألف الأولى قبل الميلاد ظهرت الديانة الزرادشتية كشكل متطور للمجوسية التي كان لها دور حاسم في توحيد كل من سكن الهضبة الفارسية ذهنيا وسلوكيا. ومن ثم تقبلت كثير من الشعوب والأقوام لتلك الديانة وبالتالي اللغة التي يتحدثون بها. وبالتالي أصبحوا خاضعين لحكمهم. (كما خضع العرب لقبيلة قريش) حتى باتوا يعتبرون أنفسهم فرساً أخمينيين. ومنذ عام 645 ق. م بدأوا بالتوسع شمال وشرق وجنوباً وغرب الهضبة. ومن ثم أطلقوا على تلك الإمبراطورية مصطلح الإمبراطورية الأخمينية. (أعظم امبراطورية ظهرت في تاريخ العالم القديم. حيث امتدت فيما بين بحري قزوين والأسود (منطقة القوقاز وتركيا واليونان (الأدرياتيكي) والمتوسط والخليج العربي والبحر الأحمر وبحر العرب. فقضوا على جميع الامبراطوريات العظيمة التي ظهرت في العراق (خاصة البابلية) واحتلوا كلاً من العراق ومن ثم بلاد الشام ومصر واليمن وحواف الجزيرة العربية والخليج العربي. فسيطروا على مساحة تزيد عن عشرة أضعاف

من مساحة الهضبة الفارسية (خمسة مليون ونصف مليون كم مربع) بينما مساحة إيران الحالية مليون وستمائة ألف وخمسون كم مربع. ومساحة الهضبة نصف مليون كم مربع). ولم يردعهم عن التوسع غرباً سوى الاسكندر المقدوني حوالي عام 333 ق. م. وهو ما حصل مع عرب قريش والجزيرة العربية حيث خضع كثير من الشعوب التي تبنت الإسلام للعرب.

الامبراطورية الأخمينية الفارسية في قمة توسعها

(صورة الدولة الفارسية في قمة توسعها)

ومما لا شك فيه أن الفرس الأخمينيين خلال هذه الفترة نقلوا إلى العالم - إنجازات عظيمة نقلوها من السومريين والبابليين وطوروها في بلادهم، مثل الدولاب والعجلات التي تجرها الخيول والعتلة والمنجنيق والقوس والسهام والرماح والسيوف كما التنجيم والفلك والشعر والتنظيم والإدارة المحكمة والدواوين. لكن هذا لا يجب أن يمنعنا من معرفة أن كثيراً من هذه الإنجازات (إن لم يكن أغلبها كما بين كثير من الباحثين. كان السومريين والكلدانيين والبابليين القدامى (الذين ظهروا في تاريخ العالم في العراق – قبلهم بألفي سنة) هم الذين أنجزوها. حيث قام الفرس بتعلمها ثم نسخها ومن ثم تطويرها ونشرها. وظلوا مسيطرين على هذه المنطقة الواسعة طوال ثلاثمائة سنة حتى هزمهم المقدونيين عام 330 ق. م ومن ثم



خضعوا للمقدونيين والسلوقيين ومن بعدهم للرومان حيث حكمهم السلوقيين والبارتيين والرومان حوالي 500 سنة. لكن العزة القومية وروح الغزو والتوسع المغروسة في أعماق الفرس لم تمنعهم من التفكير والعمل على استرجاع كل الأراضي التي احتلها أجدادهم. وهكذا ظهرت..

ثالثاً: الإمبراطورية الساسانية حوالي 225 ب. م:

بعد أن ضعف السلوقيين كونهم راحوا يتنعمون بما قدمه أجدادهم المقدونيين من مغانم – مكن الميتانيين (الأرمن) من التوسع في شمال إيران والعراق والأناضول على حساب السلوقيين منذ 90 عام ق. م وبذلك فسحوا المجال للأسرة الساسانية في إيران للظهور والتمكن من الهضبة الفارسية. وهنا كان للديانة المانوية (جمع بين الزرادشتية والمسيحية) دور حاسم في توحيد الفرس وهو ما قام به الكاهن الزرادشتي

"ساسان، جد أردشير الأول" عام 224م) من ثم راح هو وأحفاده مثل كسرى وهرمز ويزدجرد وشابور فعهم للتوسع في جميع الجهات لاسترداد أغلب ما فقده أجدادهم من أراضي خاصة في أفغانستان وأذربيجان وتركستان وطاجكستان والقوقاز ثم راحوا يتوسعون شرقاً في العراق وشمال شبه جزيرة العرب ومصر واليمن وحواف جزيرة العرب وهكذا اصدموا مع العرب ومن ثم مع الرومان، فتقاسموا مع الفرس حكم العالم القديم وخاصة العربي حوالي أربعمائة عام. حتى توحد العرب في ذي قار ومن ثم بعد أن ظهر الإسلام تمكن العرب المسلمين بقيادة النبي العربي محمد (ص) من التوحد مما مكن سعد ابن أبي وقاص في معركة القادسية عام 636 من هزيمتهم واخضاعهم لحكم العرب.







حكم الفرس لعرب الشمال بشكل غير مباشر:

بعد أن برزت في بلاد فارس الأسرة الساسانية التي حكمت بلاد فارس (نتيجة لغياب قوة عربية وضعف السلوقيين) قام الفرس بضم كل الساحل الشرقي للخليج العربي بما فيه شط العرب الشرقي ثم تمددوا غرباً فاحتلوا العراق حتى الموصل وشمال شبه جزيرة العرب. ولما توجهوا غرباً وشمالاً نحو حلب وأناضول اصطدموا بالرومان الذين كانوا قد احتلوا الوطن العربي عام 67 ق. م. وكذلك تصدت لهم القبائل العربية البدوية والاراميين والحثيين. وهنا وجدت قياداتهم كما رأى الشيخ صفي الدين المبارك في كتابه (الرحيق المختوم) الطبعة 21 الصفحة 32.

أنه لما عادت القوة ثانية للفرس في عهد "أرد شـير" حوالي عـام 226 ب. م. وجد أن حكم العرب (القحطانيين الذين هاجروا للمنطقة خلال حكم السلوقيين لم يعد مناسباً لأنهم تمتعوا باستقلالية كبيرة حيث كان جذيمة الوضاح يحكم الحيرة والانبار برضى القبائل العربية.) بصورة مباشرة بات صعب جداً - عدا عن كونه سيكلفهم كثيراً "وأنه يستحيل حكم العرب مباشرة كما كان يحصل في السابق" (ص 21) حيث كانت عمليات الغزو والكر والفر التي كان يقوم بها العرب البدو والتي تشبه حرب العصابات اليوم مرهقة

لهم. لذلك وجدوا أن من الأفضل لهم كسب العرب لجانبهم من خلال تسليم الحكم لرجل موالي لهم يصبح بمثابة ملك عليهم. (كما فعل اليوم حزب الدعوة).

ولما توفي أميرهم جذيمة القحطاني راحوا يساعدون "عمر بن عدي اللخمي" على تسلم حكم العرب الشماليين من مدينة الحيرة. فقدموا له كل المساعدات المطلوبة لمواجهة الروم البيزنطيين الذين كانوا يسعون للتوسع في العراق. وهكذا كان اول ملوك اللخميين حليفاً إن لم نقل عميلا للفرس (يذكرنا اليوم بالمالكي في العراق). ومن بعده تسلم الحكم المنذر بن ماء السماء ثم تولى الحكم بعده "الحارث بن عمر الكندي" وفي الفترة التي تسلم فيها الحكم كسرى أنو شروان. أعاد الحكم للمنذر فولاه على الحيرة بدلاً من عدي. وهنا دبر "زيد بن عدي العبادي" الموالي للحارث الكندي مكيدة للنعمان بن المنذر. حيث مدح أمام كسرى بنات النعمان وجمالهم. وشجعة على تزويج واحدة منهن لابنه، فبعث للنعمان رسالة يطلب منه



فيها أن يرسل بناته وخالاتها وعماتها لكسرى لينتقي منهن واحدة لابنه. فرفض النعمان ذلك (واعتبره إهانة للشرف العربي) فغضب عليه كسرى وطلبه إليه. لكنه هرب وقام بتسليم سلاحه وبناته وعائلته وديعة عند هاني ابن مسعود الشيباني، ومن بعد أن قبض عليه كسرى من خلال إياس الطائي قتله كسرى وعين "إياس ابن قبيعة الطائي" ملكا على الحيرة والعرب، وطلب منه أن يجلب من هاني ابن مسعود الوديعة التي اودعه إياها المنذر. فرفض هانئ الطلب مما اوغر قلب كسرى عليه وأرسل قوة عسكرية من جنوده لاحتلال قصر هانئ. وهنا استنفر هانئ ابن مسعود القبائل العربية التي لبت النداء وتجمعت لفك الحصار فحصلت معركة كبيرة في ذي قار (بالقرب من كربلاء حالياً) انتصر فيها العرب على الفرس.

وهي المعركة التي حدثت على الأغلب عام 622 م في عهد الرسول محمد (ص) والتي قال فيها "يوم انتصر فيها الله للعرب على العجم".

لكن يا للأسف تمكن الفرس بعد ذلك من قتل ابن مسعود وأعادوا إياس بن قبيعة الطائي لحكم الحيرة ومن خلالها حكم اللخميين دويلة المناذرة ثانية. وظل الأمر كذلك حتى يوم هزم الفرس في القادسية على يد العرب المسلمين عام 636 / م.



ومن المفيد التذكير هنا بالخلاف الذي جرى عام 632 / م. داخل الأسرة الحاكمة في إيران. حيث سعت زوجة كسرى شيرين المسيحية لوقف الصراع مع البيزنطيين إلى التحالف مع اليهود فالتف حولهم دهاقنة الفرس (كما اليوم ملالي العراق) وهو ما لم يكن يريده كسرى. فوقف ابنه "خسرو" وبعض قادة الجيش ضده وأطاحوا به وقتلوه وأولاده الـ 16 وتسلم الحكم "خسرو" الذي تحالف من البيزنطيين بزعامة هرقل. لذلك انقلب أغلب الفرس على خسرو فضعفت عزيمتهم وتفرقوا. وفي هذا الوقت كان الرسول العظيم محمد (ص) قد انتصر على الارستقراطية القرشية في معركة بدر وسيطر من بعدها المسلمون على الحكم في الحجاز. ومن ثم راح الرسول العظيم يعمل على توحيد القبائل العربية كلها تحت راية (لا إله الا الله محمد رسول الله) كنقطة انطلاق لوحدة العرب وتوحدهم لتحرير بلاد هم وبلاد العرب الأخرى في الشام والعراق من حكم الروم والفرس وأدواتهم الغساسنة والمناذرة. وهذا ما تحقق فعلاً بعد وفاته على يد خالد بن الوليد في معركة اليرموك، وفي معركة القادسية بقيادة "سعد بن ابي وقاص" تحت زعامة خليفة رسول الله عمر بن الخطاب عام 636 م. ومن بعدها سيطر العرب على عاصمة الفرس فانهارت الإمبراطورية الفارسية إلى الأبد. وكان من الطبيعي في تلك العصور أن يحكم المنتصر العربي الجديد كل البلاد التي كانوا يحكموها. وهو ما فعل معهم من قبل المقدونيين والسلوقيين. وهنا نكون قد طوينا صفحات كثيرة من تاريخ المنطقة وبدأنا صفحة جديدة. سوف نتناولها بالبحث في الفصل التالي لكننا نذكر بـ:

دور اليهود في صناعة الامبراطوريات الفارسية:

يرى الباحث الإيراني الإسلامي "ناصر بوربيرار" في كتابه 12 قرن من السكوت، على أن السلالات الثلاث التي حكمت بلاد فارس هي سلالات غريبة عن محيطها الجغرافي وعن السكان الأصليين في هضبة إيران. بدليل أنه لم يبق لهم أثر في هذه الأرض بعد هزائمهم حيث يقول: "لم يبق من هذه السلالات الثلاث أي أثر حضاري في البلاد التي احتلتها، وسواء في نجد أو العراق وحتى داخل إيران. لأنها حكمتهم تم بقوة

السيف والعنف والاستبداد والتدمير، ولذلك لم يترك الفرس أي أثر حضاري يذكر قياسا بما تركه اليونانيين والرومان وحتى العرب الجاهليين والمماليك – ما عدى ذكريات عن إتقان استخدام الرمح الفارسي والسيف لمحو الشعوب التي حكمتها في إيران وما يحيط به وغير فتح أراضي الغير وإغراق الشعوب الأخرى (الهنود والمصريين والعرب واليونانيين) ببحور من الدماء".

ويؤكد على أنهم لم يتمتعوا بأي ثقافة أو فن أو اقتصاد أو سياسة "ثابتة" ويرى وهذا ما يلفت النظر: أنه كان لليهود دور كبير في إعلاء شأن الفرس (وحتى في تنصيب قورش وشابور الثاني وهو في بطن أمه ملكا على الفرس). وهذا كما يرى يؤكد على أنه كان للفرس الإخمينيين الدور الحاسم في إعادة اليهود إلى فلسطين عام 450 ق. م. ومن ثم على تثبيت وجودهم في المنطقة. لذلك يؤكد أيضاً، بناء على وثائق ووقائع مثبت، على أن تسعين بالمئة من المؤرخين الفرس كانوا من اليهود. واستنادا لذلك يتوصل لفكرة مفادها: أن اليهود هم الذين ضخموا هذه الحضارة وخاصة الأخمينية كون ملكهم "قورش" أعاد أجداد اليهود المزعومين من بلاد فارس ونقلهم لفلسطين. لذلك صوروا "قورش" كمنقذ وبطل عظيم. كونه قضى على البابليين وأعاد اليهود (أو نقلهم) إلى فلسطين.

كما يشير "ناصر" إلى أن الفرس بقيادة ملكهم "قورش " دمروا بابل وسرقوا حضارتها. ويؤكد على أنهم تعاونوا مع المغول بقيادة جنكيز خان لتدمير بغداد عام 1256 (كما تعاونوا مع جورج بوش عام 2003 لتدمير العراق) ومن تعاونوا مع الصليبيين والتتر والمماليك لاحتلال وتمزيق كل من العراق وسوريا وشمال مصر وجميع حواف شبه الجزيرة العربية بما فيها اليمن (وهم ما يفعلونه اليوم). كنوع من الانتقام من العرب الذين أنهوا امبراطورياتهم القديمة.

كما يؤكد على أن الإسلام هو الذي نقل الفرس من الهمجية للحضارة وحررهم من كثير من عناصر النزعة القومية الانعزالية حيث سادت روح الانفتاح فجعلتهم يقدمون للحضارة الإنسانية أثناء حكم العرب المسلمين إنجازات عظيمة.

لكن الفرس المتعصبين -خاصة الذين كانوا ومازالوا يرون أنفسهم أفضل من العرب ومتفوقين عليهم .لم يتقبلوا الإسلام السني كونه ساوى بينهم وبين العرب من خلال تأكيده على أنه (لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى) فقبلوا الدين على مضض وتظاهروا بتقبله لكنهم في العمق ظلوا متعصبين لفارسيتهم ويعتبرون أنفسهم أفضل وأرقى من العرب وظلوا يصرون ويعملون على رفض مساواة أنفسهم بالعرب.

الفصل الثالث:

العنصرية والنزعة التوسعية للفرس:

تشير الوقائع التاريخية المدونة إلى أن النزعة العنصرية والتوسعية للفرس لم تنطفئ بعد سقوط الساسانيين، بل ظلت مشتعلة من خلال السعي ليس للتحرر من حكم العرب بل من أجل إعادة حكمهم لهم، كما كان عليه الأمر قبل أربع مئة عام. فراحوا يعملون على التتر من والقضاء على الدولة الأموية. وهكذا وجد أبو مسلم الخراساني في المظلمة التي وقعت على شيعة (اتباع) علي كرم الله وجهه) وفي حق آل البيت من بعده ممثلين بشيعة الحسين بالحكم، ذريعة لمحاربة الأمويين. فتحالف مع العباسيين لإسقاط حكم الأمويين. وهكذا شكلت الدعوة لرفع المظلمة التي حلت بآل البيت من قبل الأمويين غطاء أيديولوجياً وسياسياً يمكن الفرس من نشر روح العداء للأمويين ومن ثم للعرب كلهم وبالتالي العمل من جديد لاستعادة الفرس لإمبراطوريتهم القديمة ومجدهم المسلوب فوجدوا في كره بني العباس والعلويين للأمويين ما يمكنهم من الانتقام من العرب الأمويين ومما فعلوه بآل البيت بل وأكثر.

حركة أبو مسلم الخراساني (قيامة الفرس الثالثة):

وكما عمل الفرس الساسانيين (القيامة الثانية للفرس) في عهد المقدونيين والسلوقيين على تحرير بلادهم والنهوض من جديد. وهو ما تطلب العمل على التحرر والاستقلال من العرب لكن بطريقة مختلفة
.

ففي عام 720 ب.م ظهر في ظل حكم العرب لشمال بلاد فارس في خراسان شاب اسمه عبد الرحمن بن أحمد الساساني كأحد أحفاد ملوك الساسانيين من خلال دراسة الدين والفقه والتاريخ عرف بأبو مسلم الخراساني .كون حوله جماعة كبيرة من أتباع سيدنا الحسين .خاصة من الذي شعروا بالذنب لأنهم خذلوه. ولما سعى الأمويين لقتله فر إلى شيراز وبدء يجمع حوله الأنصار. وبعدأن أصبح قويا راح يتقرب من الأمويين ويترقى حتى غدى والياً على خراسان ومن ثم استقل بها وراح يعمل على تحقيق ما عجز عنه الإمام الحسين (رض) في كربلاء حيث استطاع فعلا أن يستقل بحكم خراسان منذ عام 755م والدعوة لآل البيت.

وفي ذات الفترة ظهر في الكوفة داعية اسمه "محمد بن عبد الله ابن العباس" (ابن ابن عم الرسول) كان يسعى لتجميع الناس حوله ويدعوا لعودة الحكم لآل البيت . ولما تجمع كثير من الناس حوله وتوسعت حركته، ارسل له "مروان ابن الحكم" (المعروف بالحمار) جيشاً لقتله مما جعله يهرب ويستعين بأبو مسلم

الخراساني الذي بعث معه جيشاً تمكن به من هزيمة جيش الأمويين في العراق ومن ثم التوجه للشام وتمكن من القضاء على الدولة الأموية. ومن ثم أقاما في بغداد مركزا جديدا أصبح عاصمة لما عرفت بالخلافة العباسية بدلاً من الخلافة الأموية في دمشق .

ولما تسلم أخوه "أبو جعفر المنصور" الخلافة ووجد أن أبو مسلم الخراساني كان قد استقل بحكم إيران وما ورائها ولم يعد يعير الخليفة اهتماماً فدبر له مكيدة جعلته يحضر لبغداد ومن ثم قتله. ومع ذلك ظل الفرس يعملون على استعادة مجدهم الضائع من خلال زعامات جديدة . حيث تمكن البرامكة من خلال ابو جعفر البرمكي شقيق زوجة هارون الرشيد من أن يدخلوا قصر الرشيد ويعملوا على احتواء الخليفة والخلافة من داخل القصر العباسي.

ولما انتبه لهم الرشيد. دبر لهم مكيدة قضى فيها عليهم. لكن ذلك لم يوقفهم فعمل البرامكة على إزاحة وقتل الأمين وتعيين أخاه المأمون.

الدولة البويهية (القيامة الرابعة للفرس):



لم ييأس الفرس بعد ماحل بهم بل ظلوا يتحينون الفرص التي تضعف فيها العصبية العربية وتزداد الخلافات القبلية بين الأمويين والهاشميين وبين العلويين والعباسيين وبين السلاجقة والعرب. فلما قويت شوكة الجند الترك في بغداد اضطر المستعين بالله (عام 912) أن يستعين بـ "عبد الله بن بويه" الفارسي الذي كان والياً على خراسان للتخلص من تحكم الجند السلاجقة (أجداد الأتراك) بأمور الخلافة. وهكذا جاءت الفرصة المواتية التي تمكن البويهيين الفرس من خلالها بالقضاء على سيطرة الجند الترك، وبالتالي من الانفراد بحكم إيران وبلاد ما وراء النهر أولاً كما كانوا سابقاً، وتركوا الخلافة الشكلية للعباسيين في بغداد. ومن ثم راحوا (يا للأسف) يتلاعبون بالخلفاء والدولة. ما يعني أن تركهم الخلافة للعرب في بغداد لم يكن منة منهم ولا عن طيبة - بل لأنهم كانوا يعرفوا أن الناس في جميع الأقطار الإسلامية لا تقبل بغير خلافة المسلمين العرب ولا تقبل بحكم الفرس لهم. ولأن الشرعية الدينية والأخلاقية للحكم باسم الإسلام مرتبطة بالعرب الذين نزل القرآن بلغتهم ولأن الرسول كان منهم. لذلك تقبلوا الأمر على مضض واكتفوا بالإمساك بالأمور الفعلية للدولة وتركوا الأمور الشكلية للعرب العباسيين، ولما جاءتهم الفرصة تحالفوا مع المغول وعملوا من خلال وجودهم في قصر الخليفة من خلال "العلقمي" بالقضاء النهائي على الدولة العربية العباسية عام 1258 م.

حيث تؤكد الوقائع التاريخية المثبتة أن حكم العرب قد تفكك وانتهى وباتت الأقوام الأخرى مثل المماليك والترك والروس والجراكسة والقوزاق والحمدانيين والإخشيديين.. إلخ، ينفردون بحكم المنطقة حتى ظهر العثمانيين فهزموا المماليك وسيطروا على الوطن العربي كله بدءاً من عام 1506 حيث تنازل الخليقة العباسي" المستعصم بالله" عن الحكم طواعية للسلطان سليمان.

الدولة الصفوية (القيامة الخامسة للفرس):

بما ان "اسماعيل الصفوي" كفارسي متعصب، اكتشف مبكراً أن الإسلام السني هو الذي انتشر وأتاح للعرب الأمويين حكم الفرس وغيرهم من الأقوام. واكتشف أن حكم العرب لإيران وبلاد ما بعد النهر (التي كانت تابعة للفرس) كان بسبب تبني هذه الأقوام الإسلام السني (حيث ارتبط حكم العرب الأمويين والعباسيين بالتسنن والسنة). وتوصل بالتالي إلى نتيجة مفادها: أن رفض حكم العرب لهم يجب أن يبدأ برفض التسنن والتوجه للتشيع والولاء لعلي والحسين رضي الله عنهما باعتبارهما رافضين لحكم الأمويين السنة وسنتهم. واكتشف بالتالي أن التشيع يشكل أساساً فكريا يتيح لهم رفض حكم العرب والتحرر من حكمهم فكان لابد بداية من تبني التشيع.

وبما أن جحافل المغول والصليبيين والتتر والمماليك بعد سقوط حكم العرب. كانوا أشرس وأفتك من الفرس لذلك لم يتمكنوا من تسلم السلطة في بلادهم والبلاد العربية، فكمنوا فترة تزيد عن مئتي وخمسين عاماً. حيث اكتشف "اسماعيل الصفوي" أن الحل يكمن في تبني مذهب مغاير لمذهب غالبية العرب (السنة مع أنه كان سنياً) وهكذا تبنى المذهب الشيعي لأنه وجد فيه واعتبره -كفارسي- أداة للتحرر من حكم العرب الذين كان أغلبهم سنة. فراح يدعوا لهذا المذهب ويحث الفرس على التسلم به متخذا منه غطاءً ليستعيد الفرس حكم بلادهم. وهو ما تحقق له عام 1501.

ولهذا أكد (أو اكتشف) وجيه كوثراني (ص 31) في بحثه العرب وإيران بين الذاكرة والتاريخ في كتاب "العرب وإيران مراجعة في التاريخ والسياسة"، على أن "التشيع المبكر (في بلاد فارس) كان يتماهى مع موقف قومي فارسي وبأن أصل التشيع (المعروف حالياً) هو فارسي". بما يعني وما يجب أن يعرفه جميع المثقفين والقادة العرب أن هناك نوعان من التشيع والشيعة تشيع عربي وتشيع فارسي، يختلفان عن بعضهما جذرياً في الموقف من العرب والعروبة. حيث يمكن اعتبار التشيع العربي أمراً طبيعياً وعادياً ومفهوماً ومشروعاً ضمن الإسلام. بل مطلوب وجوده وظهوره مثله مثل بقية المذاهب والديانات المنتشرة في البلدان العربية.

وبما أن رفض الإسلام كديانة بات مستحيلاً عند الفرس -خاصة- بعد أن آمن به الناس حوالي ثمانمائة عام، ولم يكن بوسع إسماعيل ووسع الفرس الرافضين لحكم العرب رفض الإسلام كديانة لذلك وجد (الصوفيين بزعامة "جنيد" منذ عام 1447 (كما يرى وجيه كوثراني (ص 34) في بحثه، أن الطريقة الصوفية المستندة إلى التقية (إخفاء ما يبطن الانسان) تحولت من حركة دينية إلى حركة سياسية ومعها تحولت الحركة الصفوية من حركة فكرية إلى حركة سياسية بما يعني أن التشيع لعلي والحسين وتبني المذهب الشيعي وبما جاء به الإمام جعفر الصادق كان الأساس الفكري الذي مكن الفرس وسواهم من الرافضين لحكم العرب والعاملين على التحرر من الحكم الاستبدادي للعرب السنة الأمويين والعباسيين.

لذلك وجد إسماعيل الصفوي أنه إذا اراد الفرس التحرر من حكم العرب لهم فما عليهم سوى التحرر من التسنن أولاً ومن ثم تبني المذهب الشيعي ومن ثم تحريفه. وهكذا تحول أغلب الفرس من المذهب السني إلى المذهب الشيعي ومن ثم الصفوي.

وبهذه الخطوة أكمل اسماعيل الصفوي ما قام به أهل خراسان (بزعامة أبو مسلم الخراساني) قبل سبعمائة سنة للتحرر من حكم العرب من خلال التلطي خلف المظلمة التي حلت بآل البيت والحسين لإسقاط حكم الأمويين أولاً. ولما أصبح شاهَ راح يعمل على تعميق الشرخ بين السنة والشيعة وبين العرب والفرس والعمل على تعميم التشيع لآل علي والحسين وكل من والاهم من السنة العرب والترك والكرد والتتر والمماليك.

لكنه مع ذلك لم يستطع انتزاع كل المناطق التي كانت تخضع للفرس (الإمبراطورية القديمة) لذلك لم تعتبر الدولة الصفوية إمبراطورية.

وهكذا تبنى أغلب الفرس الناقمين على العرب والرافضين لحكمهم وظلمهم والمظلومين والمهمشين المذهب الشيعي الإثنى عشري - خاصة من ضاق منهم من حكم وظلم العرب ومن والاهم فراحوا يفتحوا ثم يضخموا الجراح القديمة المندملة حول مقتل الحسين ومن ثم تحكم بني أمية العرب الظلمة بالحكم. بما يؤدي إلى تحريك وتحريض وتجميع وتوحيد الناس الناقمين والمغبونين (الطاهريين والعلويين والإسماعيليين والهزارة والخراسانيين.. إلخ) على العرب والمماليك والترك والكرد السنة. وبهذا تمكن إسماعيل من توحيد وجمع كل تلك الأقوام (المضطهدة) المتمردة على الدولة العربية السنية، وهو ما مكنه من توحيدهم مذهبيا وجعلهم يقبلون حكم وإدارة العائلة الصفوية. وهذا ما فعله ويفعله اليوم الخمينيين باسم مذهب ولاية الفقيه. وهو ما نراه الآن يحدث أما أعيننا ونرى كيف يتمدد ليطال كل من تبنى المذهب الشيعي والسني في سوريا والعراق واليمن.

ومن المهم الإشارة إلى أنه كما سعى إسماعيل الصفوي لنشر التشيع الجعفري يسعى اليوم الخمينيين لنشر مذهب ولاية الفقيه في البلدان العربية ليكون بمثابة نظرية جديدة بديلة عن الصفوية ونظرية المهدي

المنتظر بما يمكن الفرس من التغلغل في المنطقة واستعادة ما فقده أجدادهم الفرس الأخمينيين والساسانيين من أراضي.

بما يعني أن نشر التشيع أولاً ليس إلا خطوة أولى لنشر مذهب ولاية الفقيه تليها عملية إسقاط الأنظمة العربية وفرض حكام جدد كما فعل الساسانيين بفرض اللخميين المناذرة حكاماً على العرب.

لكن بما أن الصفويين اصطدموا بعد تسلمهم حكم بلاد فارس عام 1501 بالأتراك الأقوياء الذين كانوا قد سبقوهم وأقاموا إمبراطورية جديدة في الأناضول وسوريا على وكس وبقايا الإمبراطوريتان البيزنطية والرومانية. ومن ثم اصطدموا بالروس الذين أقاموا مع بداية القرن الثامن عشر (1720) الإمبراطورية الروسية التي تمكنت من احتلال أذربيجان وأرمينيا وطاجكستان. فأوقفوا تمددهم شمالاً وشرقاً لذلك لم يبق أمامهم مجال يتوسعون فيه سوى الغرب أي البلدان العربية السنية التي لم تخضع للعثمانيين. أو لم تخضع لهم بعد. (بما يكفي).

لذلك لم تقم الدولة الصفوية على كامل أراضي الإمبراطورية الفارسية، بل على أجزاء منها. ومع محدودية توسعها على الأرض مقارنة بما سبقتها. إلا أنها أسست لقيام امبراطورية فارسية جديدة وقوية على أساس الدمج بين التطلعات القومية للفرس وبين الجماعات التي تبنت المذهب الشيعي حيث بات التوحد بينهما وثيقاً. ومن ثم راح فقهاء الشيعة يبدعون الأسس النظرية والفكرية والسياسية والعملية لقيام دولة وامبراطورية جديدة على أسس مذهبية مختلفة عن القديمة. على أساس المذهب الشيعي الاثنى عشري كتطوير للمذهب الجعفري القريب للمذهب السني. ومن ثم راح الصفويين يعملون على توسيع عملية التشيع الاثنى عشرية والترويج لفكرة قدوم المهدي المنتظر والتي انبثقت منها أخيرا: نظرية الولي الفقيه كأساس نظري وفكري (أيديولوجي) لما سميت الجمهورية الإسلامية في إيران. مما زاد من الانقسامات الفكرية والمذهبية داخل المسلمين عامة والشيعة والعرب، إضافة للخلافات السياسية القديمة مما ممزق العالم العربي الإسلامي أكثر وأتاح لجميع أعدائهم الاستفادة منه واللعب عليه لتمرير مشاريعهم الخاصة.



أقصى حدود للدولة الصفوية

حكم القاجاريين (القيامة السادسة للفرس):

استغل الفرس حكم الإنكليز للعرب فضموا كل الساحل الشرقي للخلج العربي وجزره مع شط العرب والأحواز (عربستان) لإيران عام 1925. واكتفوا بما سمح لهم به الإنكليز والروس. وهي الحدود والمساحة الحالية لإيران.



حدود الفرس القاجاريين

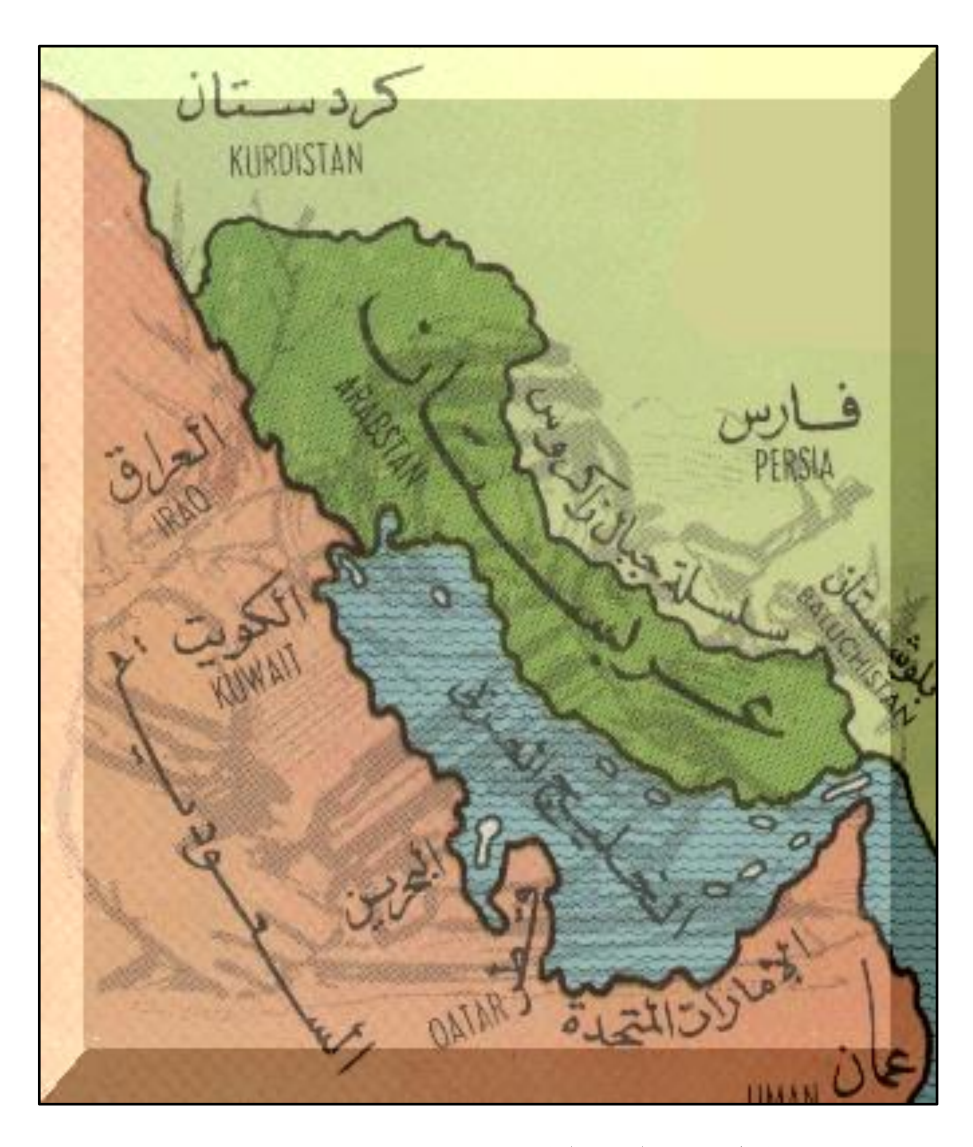
حكم البهلويين (قيامة الفرس السابعة):

من أهم إنجازات البهلويين التي حققوها خلال حكم الإنكليز لبلادهم والبلدان العربية الخليجية والعراق هو أخذ موافقة على ضم إقليم عربستان إلى إيران. والبالغة مساحته 335 ألف كم مربع خاصة بعد اكتشاف النفط فيه. واستطاع الشاه رضا بهلوي عام 1925 الإعلان رسمياً عن ضم كل الإقليم وشط العرب رسمياً لإيران. ومن الواضح أن أ ي من الدول العربية الخاضعة للاحتلال البريطاني لم تعارض هذا القرار. ومقابل ذلك وافق البهلويين على أن يكونوا جزءاً من الحلف الغربي المعادي لمعسكر الاشتراكي والعمل على إخضاع حركات التحرر الوطني والقومي لذلك كانوا القوة الأساسية التي تشكل منها حلف بغداد عام 1955 المعروف بأنه شُكِل للتآمر على العرب والعمل على إخضاعهم لمصلحة الغرب وإسرائيل.

دور الفرس في خلق ونشر روح العداء للعرب والسنة:

تشير كثير من الكتب أن الفرس البويهيين بعد أن سيطروا على الدولة العباسية من الداخل بعد (بعد عام 925 م) استطاعوا الانفراد بحكم بلاد فارس وطبرستان واذربيجان (حيث تشكلت فيها دول مثل الدولة الطاهرية والعلوية والاسماعيلية.. إلخ) ومن ثم ساهموا هم والحشاشين في نشر التشيع الاسماعيلي في كل المنطقة ومن ثم الارتكاز على التشيع للهجوم على الدولة العباسية وعلى السنة. وظلوا خلال تلك الفترة التي احتل فيها الصليبيين شرق الوطن العربي، من عام 1100 م إلى 1300 (كما يبن الشنقيطي) يحتلون أو يهيمنون على العراق والخليج العربي حتى ظهر الصفويين وتمكنوا من استعادة حكم بلاد فارس من العرب لأول مرة منذ أن هزموهم عام 636 م.

وتشير كتب التاريخ إلى أن الخراسانيين والحشاشين والعلويين والطاهريين و.. إلخ، المعروفين بالشراسة استسلموا بسهولة أمام المغول - وأحيانا دون قتال حقيقي يذكر وحيث كما تشير بعض الكتب أن كثيراً من الفرس تحولوا إلى جنود والتحقوا بجيش جنكيزخان وهولاكو. وبالتالي كان لهم دور



خارطة حدود الفرس القاجاريين

حاسم في تمكن المغول من هزيمة الجيش العباسي (المؤلف أغلبه من السلاجقة الاتراك) ومن ثم احتلال بغداد عام 1258. ومن ثم في تدميرها حتى تسلم الترك الحكم. وبالتالي يكونون قد ساهموا بعلم أو بدونه - في القضاء على الدولة العربية نهائياً.

وهذا ما حرر الفرس من أي ولاء للعرب المسلمين وبالتالي انتقلت المعركة إلى الأتراك بدلاً من العرب. وهذا ما مكن الفرس من الاستقلال فكرياً ومعنوياً وسياسياً في إيران وفي كل بلاد ما وراء النهر (أفغانستان وطبرستان وبلوشستان) عن الدولة العربية الإسلامية بصورة نهائية. بما يسمح لنا القول: أنهم بعد تسعمائة عام استطاعوا التحرر من العرب وإعادة بناء الإمبراطورية الساسانية القديمة. لكن هذه المرة باسم الدولة الصفوية (بقيادة اسماعيل الصفوي) ثم تمكنوا من السيطرة الفعلية على جنوب اذربيجان وغرب افغانستان وشرق العراق وجنوبه والبحرين والأحساء. وظلوا طول الوقت يشكلون تحدياً للدولة العثمانية. ويتبادلون الأدوار فيما بينهم وبين أحفاد الصليبيين. حيث كان الفرس في الفترات التي كانت تبتعد فيها جيوش العثمانيين عن المناطق الشرقية للتوسع غرباً في أوروبا أو عندما يعتدي عليهم الرومان كانوا يتحركون فوراً ويتوسعوا في بلاد العرب. فاحتلوا بغداد (عام 1635) وتوسعوا جنوباً في الأحساء مما أجبر جيوش العثمانيين

- أكثر من مرة على التراجع والعودة للشرق لتحرير ما احتله الفرس من البلدان العربية، أو لإبقاء قسم من تلك الجيوش في الشرق خوفاً من غزوات الفرس. فكان لهم لهذا السبب وحده (أطماعهم) دور كبير في إضعاف الدولة العثمانية وتمكين الروس والسلاف ومن ثم اليهود والانكليز من التغلب على الدولة العثمانية والقضاء على الدولة العربية كما فعلوا قبل أثناء غزو المغول والتتر للقضاء على الدولة العباسية.

وبعد أن ظهرت الدولة الصفوية تمكنوا من استعادة كل المناطق الواقعة شرق دجلة والخليج العربي وشط العرب. وتركوا للعثمانيين أغلب المناطق الغربية مثل سوريا وشمال جزيرة العرب. لكنهم مع ذلك ظلوا يزاحمونهم على حكمها وحكم العرب ويتوسعون غرباً، كلما سنحت لهم الفرصة. حيث كانوا يهاجمون ويحتلون أراضي عربية جديدة. حتى ظهر الاستعمار الأوروبي. حيث خضعت كل من إيران والعرب لحكم الإنكليز والفرنسيين والطليان المباشر. لكنهم ظلوا في أعماقهم يعملون على استعادة ما يعتقدون أنه سلب منهم من الامبراطورية الساسانية من قبل العرب عام 636 م.

ومما يلفت النظر هو أن حكام إيران الجدد بعد ما سميت بالثورة الإسلامية استمروا بذات السياسة الرامية لتقويض الأنظمة العربية كما فعلوا أيام الغزو الصليبي والمغولي والتتري لبلاد العرب. لكن هذه المرة بذريعة تصدير الثورة الاسلامية من خلال نظرية (بدعة) الولي الفقيه إليها وبزعم إقامة أنظمة إسلامية معادية للغرب والصهيونية وإسرائيل.

والطريف في الأمر هو أنهم مع ذلك ظلوا على علاقتهم الجيدة بأمريكا والغرب (وإسرائيل خفية من خلال مد إيران بالسلاح عام 1982 بذريعة الدفاع عن بلدهم في وجه الغزو العراقي. مما جعل الحرب تستمر ست سنوات بدعم سياسي واضح من أمريكا وإسرائيل. وهكذا دمر الخمينيين باسم لإسلام وولاية الفقيه ونشرهم في العراق وسوريا واليمن أكثر مما دمرهما الغرب.

دور الدين الخاص في السياسة العامة للفرس:

إذا راجعنا السياسة الإيرانية منذ نشأة أول إمبراطورية للفرس حتى اليوم ،نجد أن الأمر الثابت في السياسة الإيرانية كما أكد على ذلك عزمي بشارة في بحثه حول "أسس السياسة الإيرانية" والمنشور في كتاب العرب وإيران مراجعة في التاريخ. أن الأمر الثابت والدائم لدى الإيرانيين هو "استثمار موقع إيران الاستراتيجي والاقتصادي والديني للحفاظ على مصالح الإيرانيين القومية" (وليس نشر الدين) وسعيهم الدائم الاستناد إلى الماضي الامبراطوري للفرس واستعادته "لتقوية إيران وجعلها قوة إقليمية بما يمكنها من تعزيز نفوذها في الدول المحيطة بها". بما يعني أن الدين والمذهب كان ظاهرياً وتابعاً للتوجه القومي والاطماع الاقتصادية والسياسة.

الثابت والمتغير في السياسة الإيرانية:

ما يجعلنا نتوصل إلى أن الدين والمذهب بما فيها ولاية الفقيه كان كالموقع والاقتصاد والجيش والبشر - بالنسبة للفرس القدامى والجدد (متبني المذهب الخميني) كما كان لدى حكام إيران القدامى مازال عند الجدد مجرد أداة ووسيلة لتحقيق أهداف الفرس التوسعية القديمة والمتأصلة في النفوس والعقول.

من يشاء أن يتعمق أكثر في موقف الشيعة الموالي والمتعاون مع الصليبيين فليراجع كتاب أثر الحروب

الصليبية في الخلاف السني الشيعي للشنقيطي (من مراجع الكتاب).

وهنا نلفت النظر إلى وقائع كثيرة تؤكد على أن كل من الدين أو المذهب أو الحكام أو الحلفاء والاعداء والأراضي التابعة والمحتلة والموقف من الترك والمغول والصليبيين والإنجليز والأمريكان واليهود الصهاينة، كان متغيراً - وبأنهم يتغيرون حسب الظرف. لكن الثابت دوما والذي لم يتغير هو النزعة التوسعية خاصة في المشرق العربي (وليس في كل دول الجوار) بدءاً من الخليج مروراً بشط العرب إلى الموصل وحلب شمالاً وغرباً. لذلك بات العداء للعرب صفة أصيلة وثابتة ودائمة.

فكما عمل الأخمينيون على نشر الديانة الزرادشتية والساسانيين على نشر الديانة المانوية والصفويين على نشر المذهب الشيعي الجعفري (الاثنى عشري) فإن الخمينيين اعتمدوا مذهب ولاية الفقيه. مما يعني أن الدين والمذهب كما الحاكم (فارسي أو طاجيكي أو ارمني أو هندي.. إلخ) هو أمر متغير. كذلك التحالف أو الصراع مع الإغريق أو الرومان أو البيزنطيين أو الصليبيين أو مع العثمانيين أو مع الغرب وأمريكا والصهاينة واسرائيل كان ومازال وقابل للتغير حسب الظروف. بينما الثابت الوحيد كان ومازال النزعة التوسعية للفرس في البلدان العربية. من خلال.

أولاً: السيطرة على طرق التجارة العالمية بما في ذلك الموقع الاستراتيجي والثروات السطحية والباطنية (النفط حالياً) الموجودة في الخليج العربي وشط العرب وهذا ما تجلى بسعيهم الثابت لضم إقليم عربستان لإيران والسيطرة على مضيق هرمز ومضيق باب المندب. وثانياً فتح معارك خارجية للحيلولة دون تفكك إيران الداخل.

ما يفهم منه أن فكرة ولاية الفقيه التي استند عليها الخمينيين كأيديولوجية، هي كالمانوية التي اشتقت من الزرادشتية لتشكل غطاء ايديولوجيا يتناسب مع العصر. وأن معاداة الفرس للغرب والصهيونية المزعومة تشبه معاداتهم للروم والبيزنطيين سابقا على المغانم ومناطق النفوذ في الوطن العربي، ويؤكد على أنها كما كانت في الماضي لا تزال وسيلة تمكن الفرس -باسم الاسلام من كسب تأييد العرب الشعبي- لتحقيق مصالحهم الاستراتيجية والغرب باسم الليبرالية تحقيق مصالحهم.

الفصل الرابع:

التاريخ الحديث لإيران:

عندما تغير العالم القديم:

من سوء طالع الفرس ومعهم الترك والعرب، أن العالم مع بداية القرن السادس عشر وتحديداً منذ أن اكتشف ماجلان العالم الجديد عام 1524، بدأ بالتغير لمصلحة أوروبا، وأن ذلك تم في الوقت الذي بدأ فيه نجم الصفويين الطامحين لاستعادة أمجاد الفرس القديمة يتصاعد فاصطدموا مع الأوروبيين المسلحين بالعلم والصناعة والآلة العسكرية والإدارية الحديثة. حيث راحوا يتوسعون من خلال السفن البحرية شرقاً وغرباً. ويعملون على إزاحة جميع الإمبراطوريات القديمة وإخضاعها لهم. مما جعل كلاً من الترك والروس والفرس ينحصرون بدءاً من القرن السابع عشر في أماكن وجودهم في القارة القديمة. ومن ثم باتوا يعانون من الحصار الذي بدأت تفرضه عليهم الأساطيل البحرية للإسبان والهولنديين والإنجليز. وهو ما أدى إلى تراجعهم التدريجي اقتصادياً وعسكرياً وسياسياً وعلمياً وفكرياً. ومنذ بداية القرن التاسع عشر بدأ الفارق الحضاري الكبير يتضح بين الشرق والغرب وبين أوروبا الرأسمالية وبين الشرق العبودي والإقطاعي.

وبعد أن ظهرت الشركات التجارية الكبيرة والسفن العملاقة وراحت تقوم بنقل خيرات الشرق إلى أوروبا فتوسعت التجارة وظهرت الصناعة الحديثة والكشوف العلمية العظيمة والمدافع والدبابات. وأصبحت الرأسمالية نظام اقتصادي وعسكري كاسح تحول مع بداية عام 1800 م إلى استعمار العالم ونهبه بصورة مباشرة (خاصة بعد تحول الثورة الفرنسية عام 1789 من ثورة لنشر الحرية إلى حركة استعمارية) وهو ما تجلى بغزو نابليون لمصر عام 1979 ومن ثم غزو بريطانيا لمصر والهند وحواف جزيرة العرب. وهكذا ظهر التنافس بين الدول الاستعمارية (بريطانيا وفرنسا وألمانيا وإيطاليا وهولندا) على نهب خيرات وشعوب العالم. مما قيد وحَدّ ومنع أية إمكانية للإمبراطوريات القديمة من التمدد شرقاً أو غرباً. لذلك لم يكن أمام الفرس والترك من سبيل غير الحفاظ على ما يستطيعون الحفاظ عليه من أراضيهم ومقدراتهم. لكنهم مع ذلك ظلوا يتحكمون بالدول والشعوب الصغيرة والمجاورة لهم. ثم بعد ظهور أمريكا في القرن العشرين تغيرت صورة العالم مرة ثانية ومرة ثالثة بعد سقوط السوفييت.

وهذه نقطة حاسمة بدون رؤيتها وفهمها والتسليم بها لا يمكن لأي باحث في السياسة أن يعرف كيف وأين نعيش وماذا يمكن أن نعمل.

حيث لم يعد بإمكان الإمبراطوريات والأيديولوجيات القديمة من الصمود، في مواجهة التقدم العلمي والصناعي وبالتالي من التمدد مجددا كما فعلت في الماضي. وهذا ما كان على قادة ونخب الفرس والعرب والترك والروس- ويفترض - أن يدركوه.

الصراع مع الاستعمار الحديث:

يؤكد الباحث "خضير البديري" في كتابه "إيران في السياسة البريطانية" على أن إيران مع قيام وانتشار النظام الإمبريالي القائم على تصدير رأس المال فقدت كغيرها من دول العالم الثالث السيطرة الكلية على مقدرات بلادها الاقتصادية وشؤونها الداخلية التي باتت تخضع لمتطلبات الشركات الرأسمالية والتروستات الضخمة ولما تفرضه عليها. وهذا ما يتجلى اليوم في الهيمنة على اقتصاديات هذه البلدان من الداخل من خلال إزالة الحواجز الجمركية والقومية بين الدول والتي اتضحت أكثر في ظل العولمة الحالية. حيث باتت سياسة إيران الداخلية والخارجية منذ الحرب العالمية الأولى (كما في ذلك دول أخرى أكبر من إيران) مرتبطة بما تقرره القوى المتحكمة برأس المال الكبير على النطاق العالمي ومن ثم الداخلي المرتبط ب. أو المتعامل مع رأس المال المالي المصرفي العالمي. أو بما تمليه عليها المصالح الاقتصادية والعسكرية للدول العظمى مثل أمريكا وأوروبا واليابان وروسيا والصين (أو مجموعة 20G) وهو ما أفقد أغلب الدول الأصغر بما فيها إيران عظمتها السابقة وبالتالي استقلاليتها الاقتصادية والسياسية الكاملة وسيادتها حتى على أوطانها وشعوبها.

وكمثال يورد (خضير) رسالة مطولة بعث بها الشاه "أحمد القاجاري" عام 1916 إلى الرئيس الأمريكي "ودرو ولسون" يطلب فيها من حكومته التدخل لوقف التحركات العسكرية الروسية والبريطانية في بلاده خلال الحرب العالمية الأولى. حيث جاء في الرد المطول لـ "ولسون": "ان حكومته لا تستطيع التدخل ضدهما لأن المصالح العليا لتلك الدول تتطلب منع ألمانيا النازية من الوصول لمنابع النفط في المنطقة". ثم تكرر هذا الأمر ثانية خلال الحرب العالمية الثانية عام 1941 حيث احتلت الدولتان أجزاء من شمال وجنوب إيران مما دفع الشاه رضا بهلوي إلى التقرب إلى هتلر ودول المحور من أجل التحرر من السيطرة البريطانية والروسية (كما فعل رشيد عالي الكيلاني في العراق). ولما سعى الشاه رضا إلى ذلك عملت حكومة جلالة الملكة البريطانية العمل فوراً على إزاحته وتعيين ابنه محمد بدلاً عنه. بما يعني أن من بات يقرر حكم هذا البلد أو ذاك لم تعد القوى المحلية بل القوى الكبرى في العالم.

وهذه نقطة ثانية وأساسية على كل من يشتغل أو يفكر في السياسة أن يعرفها ويعرف. أن القوى العظمى خاصة التي تحتل أو تهيمن على أي بلد اقتصادياً وسياسياً، عندما لا تعجبها سياسة حكومتها ورئيسها أو ملكها تجاه شركاتها أو سياستها العامة، أو عندما تشكل خطراً عليها، ستعمل إن عاجلاً أو آجلاً على تغييرها والمجيئ بقوى حاكمة جديدة تناسبها. سواء عن طريق انقلاب باسم الثورة أو عن طريق التدخل المباشر واستخدام القوة العسكرية. وهو ما جعل الأمور تلتبس على كثير من الباحثين من يومها وحتى اليوم. لذلك كان لابد من إعادة البحث والتدقيق في كثير مما جرى.

وإذا كان صحيحا أن "القاجاريين" الذين حكموا إيران في القرن التاسع عشر سعوا للتحرر من السيطرة الروسية والبريطانية على بلادهم من خلال عملهم على توحيد البلاد المقسمة إلى عدة دويلات فباتوا أميل لجيرانهم الروس من الانكليز. لذلك عمل الإنكليز على إزاحتهم فوراً (دون تجاهل دور الفساد والبطش

والاستبداد) مما فسح المجال للقائد العسكري الفذ رضا قاسم خان البهلوي (بدعم من الانكليز) من قيادة الجيش ومحاربة الروس عام 1921 ومن ثم إزاحة الشاه القاجاري أحمد عن الحكم وتسلم الحكم عام 1925. ومن ثم أعلن عن نفسه حاكما على إيران.

ثانياً: بما أن الطريق من أوروبا الغربية الصاعدة والراغبة في التوسع في شرق وجنوب آسيا، وشرق ووسط إفريقيا. كان يجب أن يمر حتما بالشرق الأوسط، ومن ثم الأدنى. بخاصة من المنطقة التي يسكنها العرب والفرس في خليج العرب، فكان لابد من أن يشتد التنافس بين هذه الدول العظمى عليهم. وأن يتركز أكثر على الطرق القديمة للتجارة مثل طريق الحرير وباب المندب وطرق قوافل التوابل والشاي والقنب والقطن المارة عبر بحر العرب وعدن والبحر الأحمر والخليج العربي.. إلخ) وأن يتركز الصراع على اليمن ومصر ولبنان وسوريا مروراً بالعراق وإيران كطرق لابد من السيطرة عليها للوصول للهند والصين وجزرهما. لنهب خيراتها من القطن والحرير والقنب والشاي والتوابل.. إلخ. وهنا كان لبريطانيا نصيب الأسد في جميع هذه البلدان كونها باتت تمتلك أكبر أسطول بحري.

ثالثاً: بما أن الأسرة القاجارية الطاجيكية الفارسية التي حكمت بلاد فارس ظهرت وحكمت بعد فشل المشروع الصفوي (بعد اصطدامه بالغرب الصاعد وبيريطانيا) مع بداية القرن التاسع عشر (1799) لم تكن قادرة على مواجهة بريطانيا من جهة الجنوب وروسيا من جهة الشمال - في ذات الوقت. لذا تقلص حكمها على فيما كانت تعرف سابقاً "بلاد فارس" فقط. ومن ثم اقتصرت على ما يعرف اليوم بإيران الكبرى الحالية. وهو الأمر الذي رضخ له أيضاً الشاه رضا. لكنه راح يعمل على التحرر من الإنكليز فوجد في صعود النازية بزعامة هتلر التي كانت تقف يومها ضد الإنكليز حليفاً مناسباً فأطلق على ما تبقى من بلاد فارس اسم إيران في عام 1945 تيمنا بالآريين الذين حكموا ألمانيا. ومن ثم دخل الحرب العالمية الأولى على أمل التحرر من الانكليز مما فتح المجال للألمان لدخول بلاده للحصول على النفط مما ألب الإنكليز عليه فأزاحوه وعينوا بدلاً منه ابنه محمد شاها على إيران.

رابعاً: بما أنّ السيطرة البريطانية على الشرق الأقصى والأدنى كانت ستؤدي إلى إضعاف الإمبراطورية الروسية الصاعدة وعزلها عن محيطها في شرق أوروبا وجنوب آسيا. لذلك راح قياصرة روسيا يتوسعون جنوباً في وسط آسيا والبلاد التي كانت تتبع للفرس سابقاً، فعملوا على إخضاع أراضي البلدان التي كانت تتبع سابقاً لكل من الدولتين العثمانية والفارسية، فنشأت بينهم حروب دامية تمكن بعدها الروس مع بداية القرن العشرين من اقتطاع أجزاء واسعة من أذربيجان وإرمينا وتركستان وطاجكستان وإقامة دول جديدة فيها تخضع للروس. ومن ثم راحوا يعملون على استعادة كل من رومانيا وبلغاريا ومقدونيا وصربيا في الغرب من حكم العثمانيين. لكنهم لم يستطيعوا التوغل جنوباً كون بريطانيا القوية كانت قد تمكنت من التمركز وإقامة قواعد عسكرية لها في سواحل الخليج العربي وقناة السويس والهند منذ عام 1725 وأغلب الطرق المؤدية إليها في جنوب وغرب إيران وسواحل الخليج العربي وبحر العرب لتصل وتحمي تجارتها مع الصين والهند في كل من باكستان وأفغانستان (مناطق صناعة الأفيون) وإيران (كمناطق لزراعة التبغ) والعراق (الأرز والقمح) والأردن وفلسطين (ممرات) ومصر والسودان (القطن والفستق والصمغ). وبما أن بريطانيا لم يكن يهمها احتلال الأرض بما فيها أراضي العرب بقدر ما يهمها نهب ما تنتجه من خيرات. لذلك تركوا لها عربستان ووافقوا على ضمها لإيران واكتفت بوجود حكومة تؤمن لها مصالحها التجارية والسياسية.

وهذا ما أدركه زعماء الأسرة القاجارية (ذات الأصول الطاجيكية التركمانية) والتزموا به منذ عام 1805.

ومع عام 1921 بدأ الشاه أحمد يستجيب لمطالب النخب الوطنية للشعب الإيراني، وراح يطالب بحصة أكبر من نفط إيران. وبما أن الروس أيضاً لم يكن يهمهم سوى إمدادات نفط أذربيجان لذلك توافق الطرفان (الروسي والإنكليزي) على تقاسم الشمال والجنوب الغربي مع إبقاء وسط وشرق إيران (الهضبة الفارسية) لحكم الأسرة القاجارية، ما أتاح لحكام إيران استقلالية لم تتح لكثير من حكام دول العالم الثالث باستثناء تركيا التي لقيت دعما من ألمانيا. وهو ما فعله "رضا بهلوي" ذو الأصول الأرمنية. حيث لم يلبث أن استجاب أيضاً لطموحات الشعب الإيراني في الحرية والاستقلال والتحكم بثروات إيران خاصة النفطية. وهذه ميزة لا يمكن إلا ان تجعلنا نحترم حكام إيران حتى لو كانوا ملوكا. حيث لم تظهر هذه النزعة الاستقلالية والعمل على التحكم بخيرات ومقدرات بلادهم لدى غيرهم من الشعوب كما ظهرت عند الإيرانيين.

وبما أن رضا بهلوي تقبل التفاهم المبرم بين الروس والإنكليز مرغما لوجود قوات بلديهما على أرضه، فلقد وافق على تشكيل (تقليص حدود) إيران الحالية وجعلها تقتصر على حدودها الحالية تقريباً. مما لقي معارضة شديدة من الفرس المتعصبين للفارسية، والذين ظلوا يطمحون لإعادة بناء وأمجاد امبراطورياتهم القديمة، فعملوا على تعزيز علاقتهم بكل من ألمانيا ودول المحور وأمريكا لنيل جزء من حقوقهم المسلوبة (وهذا ما فعله العثمانيين بزعامة السلطان عبد الحميد الثاني وعلي رشيد الكيلاني في العراق والحاج محمد أمين الحسيني في فلسطين).

وهكذا تمكن الشاه "رضا بهلوي" من مقايضة الحدود التي رسمها الحلفاء لإيران عام 1925 مقابل ضم إقليمي الأهواز العربي (عربستان) والجزء الجنوبي من أذربيجان الغنيين بالنفط والغاز لإيران. لكنه مع ذلك كما يرى ناصر بيريتوار كان في أعماقه يرفض ذلك.

ومع أنه منع عام 1935 استخدام مصطلح بلاد فارس وحظره من التداول الرسمي كنوع من أنواع التخلي عن الأطماع التوسعية التي لم يعد من الممكن فرضها وسعى إلى تقليد مصطفى اتاتورك من حيث نشر العلمانية والحد من سلطة رجال الدين. لذلك فرض اسم إيران كدولة قومية. لكنه في الخفاء لم يقف ضد استعمال كلمة الفرس في الخطاب الداخلي كي لا يغضب الفرس المتعصبين والطامعين للتوسع وإعادة بناء الإمبراطورية الساسانية. وبما أنه كغيره ممن استخفوا (استوطوا حائط وظهر) بالعرب فلقد قام عام 1937 باحتلال جزر طنب الصغرى والكبرى وأبو موسى وجزء واسع من شط العرب والانهار المؤدية إليه وكثير من الأراضي الغنية بالنفط والماء التابعة لكل من الكويت والعراق. على أمل أن يتقوى ويستعيد جميع المناطق التي كان الفرس يسيطرون عليها في وسط آسيا وبلاد العرب لاحقاً.

كان الشاه رضا (كرجل واقعي) يعتبر أنّ كلمة الفرس تعكس من جهة ماضياً قومياً وهمياً لم يعد له وجود، ولا يعكس الحقيقة القائمة يومها على الأرض. ولا يمكن تحقيقه في عالم اليوم. كما وجد من جهة أخرى أن استخدام كلمة الفرس قد يفجر البنية المتنافرة للأقوام العديدة التي تعيش على الأرض الإيرانية والتي لم يعد من الممكن رفض وجود أي منها. خاصة بعد أن تأكد له أنه لن يستطيع استعادة الأراضي التي سلخت من الفرس خلال القرن الماضي وأصبحت دولا مستقلة. أو أن يغير تلك الحدود التي لم تعد قابلة للتغيير نتيجة لتوافقات دولية. لكنه قلبيا وداخليا لم يتحرر من النية والرغبة في التوسع واستعادة ما تم التنازل عنه.

لذلك أكد على ضرورة استخدام كلمة إيران لجعل سكان المنطقة التي عرفت بإيران الحالية متعايشين وموحدين. لذا أعتقد أن كلمة إيران إذ تثبت كيانا سياسياً بات واقعا محددا من الناحية الجغرافية على

الأرض، يصعب تغييره، إذا ما أراد المحافظة في ذات الوقت على هذا التجمع البشري المتنوع موحدا على وفي هذه الأرض المسماة إيران. ولأن استخدام مصطلح بلاد فارس ستجعل كثير من القوميين الأذريين والعرب والأكراد والبشتون والتركمان والطاجيك والأرمن يرفضون هذه التسمية، مما قد يجعلهم يميلون إلى الانفصال والمطالبة بالانضمام لدولة وقوميات أخرى مثلاً أذربيجان أو الباكستان أو العراق كانت الدول الغربية تدعم قيامها. أو كيلا يطالبوا بحكم ذاتي كما فعل الأكراد في العراق وتركيا. لكن كل هذا لم يحل دون الإبقاء على نية التوسع واستعادة الأمجاد. لذلك اعتقد أن التوسع بات عاملا إضافيا وأساسياً لتوحيد تلك القوميات في بلد غير ديمقراطي اسمه إيران وإلا فإن البديل عن التوسع والهيمنة هو تفتت إيران إلى خمس دول (بلوشستان. اذربيجان. عربستان. كردستان. فارس) وربما يكون هذا هو البديل الذي يخشى منه حكام إيران.

خامساً: بعد استبدال الفحم الحجري بمشتقات النفط في تسيير السفن والقطارات والسيارات والطائرات. بات النفط أهم سلعة إستراتيجية في العالم جعلت كثير من المفكرين الاستراتيجيين (السير ولسون وتشرشل وأخيراً كسينجر) يعتبرون من يسيطر على استخراج وصناعة وتوزيع النفط يسيطر على العالم. وبما أن شركة النفط الإنكليزية الإيرانية (وبالطبع الشركات الأخرى في كل من السعودية والخليج العربي) كانت تمد بريطانيا والحلفاء بكميات كبيرة من النفط اللازم للانتصار في الحرب وبما أن الشاه رضا بهلوي مع بداية الحرب العالمية الثانية عام 1939 لم يخفي تعاطفه مع ألمانيا ودول المحور كما فعلت تركيا فلقد خشي الإنكليز من أن يتحالف مع الألمان للحصول على حصته الكاملة بالنفط، مما قد يمكن الألمان من احتلال آبار النفط في أذربيجان فيحرم دول المحور من أهم مادة لتسيير قواتها الحربية كان لابد من احتلال إيران كلها عام 1941 عسكرياً ومن إزاحة رضا بهلوي وتعيين ابنه محمد شاهاً جديداً على إيران. وبما أن الفرس كانوا يعتبرون الروس والإنكليز أعدائهما التاريخيين فلقد وجدوا (كما يرى محمد حسنين هيكل) في الأمريكان حليفاً جديداً يمكن الاعتماد عليه. وهذه نقطة مهمة تفسر لنا لماذا تمكن الأمريكان خلال ربع قرن من الصداقة مع الشاه من أن يصبحوا أقدر دولة على التحكم بإيران وبما يجري فيها حتى اليوم.

على عكس بريطانيا التي كان همها يتركز على النفط ولم تكن النزعة التوسعية للفرس تعنيها كثيرا، بينما وجد الأمريكان في مراعاة تلك النزعة ما يمكنهم من التوافق مع الإيرانيين أكثر.

ومن المهم هنا التأكيد على أن كلاً من بريطانيا أو أمريكا وأوروبا سابقاً وحالياً - لم ولن تقف ضد النزعة التوسعية الكامنة في نفوس الفرس. عدا عن أنها لا تستطيع إلغائها. لذلك راحت تراعيها وتضعها في استراتيجيتها ولهذا ظلت هذه النزعة التوسعية للفرس تغلي في أعماق نخب وحكام إيران. خاصة في ظل الصداقة مع أمريكا (كما يرى هيكل (لم تكن تظهر إلا عندما تحين الفرصة المناسبة).

وتشير الوقائع المدونة أن هذه النزعة التوسعية لم تختفي حيث ظهرت في عهد الشاه محمد بهلوي. حيث سعى أن يجعل من إيران عام 1974 قوة عظمى مستفيداً من حاجة أمريكا وإسرائيل لطرف إقليمي يرد على دعم روسيا السوفيتية لكل من العراق وسوريا ومصر بالسلاح خاصة عام 1972 وفي حرب تشرين، فراح يعمل مع الأمريكان والصهاينة منذ عام 1974 على إعادة التوازن إلى سابق عهده من خلال بناء قوة عسكرية ضاربة تطال كل بلاد فارس القديمة والشرق الأوسط. وهكذا تجاوب الأمريكان مع هذه النزعة التوسعية للفرس وتفهموها جيداً وتقبلوها وسايروها وعملوا على مسايرتها والعمل على تسخيرها لخدمة

مصالحهم. لذلك راحوا يمدونهم بأحدث أنواع الأسلحة وأبعدها مدى بما يمكنهم من الاستفادة من هذه النزعة التوسعية وتجييرها لخدمة استراتيجيتهم بغض النظر عمن يحكم إيران. وهنا أجد الفرصة المناسبة كي أشير إلى أن أمريكا عندما وجدت أن الشاه بات أضعف من القيام بهذه المهمة الكبيرة في ظل الهيمنة السوفيتية والحركات القومية العربية. لذا وجدت في الخميني ورجال الدين الشيعة من ينوب عنه ومن الموالين له في هذه المهمة.

في هذا السياق أجد أنّه قد يكون من المفيد التذكير بأن النزعة التوسعية هي صفة لصيقة بشعوب الدول والمجتمعات والأمم الكبيرة - أو ذات التاريخ العظيم. لكن هذه النزعة لا يمكن أن تتحول لواقع (كما يفكر البعض دون إمكانات مادية كبيرة ونظرية سياسة متينة وقيادة نظيفة وجادة. وظروف دولية مناسبة.

وتبين الأحداث أن الفرس كانوا يسعون لتحقيق ذلك الحلم عندما كانوا يشعرون بأن جيرانهم العرب قد أصيبوا بالضعف وعندما خفتت عصبيتهم القبلية اصيبوا بالضعف والوهن (كما يرى ابن خلدون) وهو ما حصل في أواخر حكم العثمانيين. حيث كانوا ينقضون على العراق وشمال الجزيرة العربية ويعملون على طرد شعوبها ومن ثم ضمها لبلادهم. هو ما سهل على الفرس من التحكم بـِ والسيطرة على العرب، حتى بعد قيام الدولة العثمانية وخضوع أغلب بلدانهم للعثمانيين، حيث كان الفرس ينقضوا عليهم ويحتلون أجزاء جديدة (كما بين علي الأعظمي في كتابه تاريخ الدول الفارسية في العراق) وهو ما يحصل حالياً. وهو ما يكاد يتكرر اليوم في جميع البلدان العربية بعد أن فقدت الدول العربية القيادة الشامخة الجامعة والموحدة. خاصة بعد أن تراخت قبضة الحكام على شعوبها أو لم تعد مقنعة لها. وبعد أن تراخت قبضة أمريكا على المنطقة نتيجة لالتفاتها لأمور أكثر أهمية في الصين وأوروبا. وانشغال كل من روسيا وتركيا في السعي لاستعادة أمجادهم القديمة في أسيا الوسطى. والشرق الأوسط وإفريقيا.

لهذا كان لابد لحكام إيران أيضاً من الاستفادة من هذا الواقع (الفراغ الحاصل) ويعملون على ملئه من خلال الدعوة لثورة باسم الإسلام ومحاربة الغرب والصهيونية. وهذا يشكل برأيي خلفية نظرية لابد من وضعها بعين الاعتبار لكل من يبحث في النزعة التوسعية والتحررية الحالية لإيران في البلدان العربية ولكل باحث يسعى لنهضة امته التي لن تتم دون فهم أسباب سكون الغرب وأمريكا على التغلغل الفكري والسياسي لإيران في المنطقة العربية.

وهذا يعود بتقديري لأن يعرفون أن الإسلام كدين يعتبر جامعا لهم مع كثير من العرب يتيح لهم - (خاصة لأن قسم منهم هم مواطنون عرب يتبنون المذهب الشيعي) التغلغل في الوطن العربي بسهولة. وهو ما كان ومازال يعني للفرس أن القاعدة الفكرية والشرعية للولوج السياسي كانت ولا تزال وستظل متوفرة لاستعادة أمجادهم. لهذا يتوجب علينا أن نعطي للفهم الصحيح للدين والمذهب. وللتفريق بين التشيع الإيراني والتشيع العربي دوره الحاسم في قراءة ما جرى ويجري في إيران والمنطقة وفي ذات الوقت ما يمكننا من التصدي للمشروع التوسعي للفرس باسم المذهب الشيعي. وذلك من خلال قراءة شاملة لـ..

الدين والفكر والسياسة والحكم:

بما أن جميع البشر أصبحوا جماعات تؤمن بمذاهب وملل ونحل عديدة تتبناها قبائل وطوائف عديدة نعيش على الأرض ذاتها. وبما أعداد ابنائها كثرت وتنافست وبات من الصعب أن يقبل أبناء جميع القبائل والمذاهب حكم زعيم أي قبيلة أو كاهن لأي دين أو مذهب، لأصحاب بقية الأديان والمذاهب

والملل والقبائل الأخرى. لذلك كان لابد من البحث عن حاكم للجميع (لا نقول من خارجها ولا يؤمن بأي دين أو مذهب لكن يفترض أن لا يكون متعصباً لإحداها) يلبي مصالح جميع القبائل والطوائف والمذاهب ويحكم بالعدل بينهم. فلا يحكمهم بناء على مذهبه أو استناداً لما يؤمن به أو بطريقة تفكيره. ولا يجوز أن ينحاز لمن هم من طائفته ومذهبه كيلا تعم الخلافات وتنتشر الفوضى. مما يقتضي أولاً وقبل أي أمر آخر إبعاد رجال جميع الأديان والمذاهب عن الحكم. والبحث عن قائد يتسامى عن المذهبية بما يمكنه من توحيد البشر المتواجدين على هذه البقعة من الأرض، أو تلك والذين يرتبطون ببعضهم البعض بعلاقات اقتصادية واجتماعية وثقافية تاريخية طويلة تعود لآلاف السنين وبأن يسعى ويعمل على تحقيق الأمن والأمان والكرامة للجميع.

وبما أن الناس لا يمكن أن تتوحد على مفهوم وطريقة واحدة للحكم على أساس الديانات أو المذاهب المختلفة التي باتوا يؤمنون بها. فكان لابد من البحث ومن ثم الاتفاق على طريقة للحكم تأتي من خارج سياق الديانات والمذاهب القائمة. أو على الأقل توفق بين الجماعات والمصالح المختلفة لسكان البلد. وهذا مازال من غير الممكن أن يتحقق إلا بإبعاد الدين ورجاله عن التدخل بالسياسة والاقتصاد والقضاء - بصورة نهائية ويكفوا عن التفكير بالحكم المباشر، ويكتفوا بتقديم النصح والمشورة، بما يبعد الحكام والمسؤولين عن الانحياز لجهة دينية أو مذهبية معينة -ويحكموا بالعدل وبما يبعد بالتالي الناس المختلفين دينياً ومذهبياً عن التنابذ والصراع. وهو ما أتبعه نبينا محمد (ص) خلال وجوده في المدينة. حيث آخى بين المهاجرين والانصار وبين اليهود والنصارى. وهو ما يتمثل اليوم رئيس الجمهورية اللبنانية. إذ أنه على الرغم من أنه حسب الدستور يجب أن يكون مسيحياً لكنه في ذات الوقت رئيس لكل اللبنانيين وعليه أن يحكم بينهم بالعدل.

وبما أن دعاة الحكم بالإسلام يفترض بهم أن يتبعوا الرسول في كل شيء (حسب ما يزعمون) إذا كانوا مسلمين كاملين: أن يتبعوا طريقته في الحكم أيضاً- عندما كّون أول حكومة مدنية في التاريخ في المدينة المنورة. حيث أشرك (كما بين أحمد عباس صالح. في كتابه "من القبيلة إلى الدولة" ومحمد عمارة في كتابه العرب والتحدي) زعماء النصارى واليهود والموحدين (الإبراهيميين) والوثنيين الموجودين في المدينة في اتخاذ القرارات التي تعني وتهم الجميع لمواجهة حكام وتجار مكة وارستقراطيها. وفي طريقة التعامل مع القبائل الأخرى الساعية للعدل حتى لو كانوا كفاراً أو مشركين (من دخل بيت ابي سفيان أو من دخل الكعبة أو من بقي في بيته فهو آمن). وهكذا تمكن الرسول من توحيد الجميع بعد أن آمنهم على أرواحهم وهو ما جعل من الإسلام ديانة جامعة. وهذا ما أكد عليه كثير من المفكرين وبخاصة محمد شحرور ومحمد عمارة. إلا أن الإسلامويين الجدد مازالوا يصرون على مخالفته وبشدة. ويصرون على إلغاء حق أصحاب الديانات والعقائد الأخرى من المشاركة في الحكم واتخاذ القرارات المصيرية.

قوة الإسلام في جامعيته:

ومع أن الإسلام كان آخر الديانات السماوية لكنه لم يلغي أي منها ولم يحاربها، بل تضمنها ورعاها. لذلك تمكن من الانتشار بسرعة في جزيرة العرب المكونة واحتواء المؤمنين بالديانات السابقة وجميع القبائل والعشائر والإثنيات المختلفة والمتباينة. والأهم أنه لم يعمل على نفيها إن لم نقل ساهم بإحيائها، بدلالة وجودها حتى اليوم. وبأكثر مما نراه اليوم في كثير من الأمم والاقوام الأوروبية والمؤمنة بديانات

عديدة سواء في الشرق أو في الغرب. بما فيها من يؤمنون بالزرادشتية (المجوسية). لذلك تمكن العرب المسلمين من استيعاب المؤمنين بها بسهولة. وذلك استناداً لما جاء ذكره في القرآن الكريم (في سورة الحج في الآية رقم 17) ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَىٰ وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ بما يعني أن الله سلم بحق جميع أصحاب هذه الديانات (بما فيهم المجوس) العيش بحرية والتمسك بديانتهم وأن الله (وليس البشر) هو من يفصل بينهم يوم القيامة وليس الحكام لا في الدنيا ولا في الآخرة. بما يعني أنه ليس من حق أحد في الدنيا تكفير غيره من أصحاب تلك الديانات أو ظلمهم أو نبذهم أو تهميشهم. وهكذا لم يقم العرب (المؤمنين بمحمد رسولاً لله) بإرغام أو إجبار تلك الأقوام والشعوب على التخلي عن دياناتهم السابقة، بل ترك لهم الرسول الكريم الحرية في التمسك بديانتهم او الإيمان بالإسلام (من شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر إن الله غني عن العالمين). ولذلك تقبلوا حكم الرسول وحكم العرب المسلمين (المسلمين بالله واحدا ومحمد رسولا له) لهم مع أنهم كانوا ومازالوا يؤمنون بديانات ورسل مختلفين. ومن ثم اقتنع قسم كبير منهم بالإسلام دون إكراه.

ومن المهم التأكيد على أن الله في كتابه العزيز عندما شمل المجوس مع المتدينين من النصارى والصابئة (اتباع النبي يحيى عليه السلام)، يكون أعطى للفرس المؤمنين بالمجوسية أن يظلوا على مجوسيتهم وأن يؤمنوا ويتمسكوا بما أنزل على النبي "زرادشت"، كما أعطى هذا الحق للنصارى والصابئة واليهود التمسك بديانتهم وأنبيائهم، وبما أنزله الله على عيسى وموسى ويحيى وزرادشت وماني.

كما هو حق للمسلمين (خاصة السنة) التمسك فقط بما أنزل على النبي محمد (ص). وبما أنه يفترض بالمسلمين استنادا لهذه الآية ولطريقة تعامل الرسول وصحبه مع غيرهم من أصحاب الديانات الأخرى (حتى من أشركوا مع الله آلهة أخرى. {المشركين) لا يجوز لهم أن يفرضوا عليهم معتقداتهم ولا أن ينفوا حقهم في الوجود والإيمان بما يعتقدون أنه الصح ولا أن يضطهدونهم. مع شرط كانت تتبعه كل الإمبراطوريات السابقة على المحكومين. دفع مبلغ من المال لحمايتهم سمي "الجزية" وإعفائهم منها إن أعلنوا فقط - الشهادتين ورفعوا السبابتين.

وتؤكد كتب التاريخ (كما كتب كل من سيد محمود القمني وسلامة كيلة وخليل أحمد خليل) أن كثيراً من الفرس المجوس والعرب النصارى والصابئة واليهود تبنوا الإسلام ظاهرياً من خلال النطق بالشهادتين (كما المشركين تهرباً من الجزية وتهرباً من الظلم) لكنهم ظلوا -خفية- يتمسكون بالتعاليم الزرادشتية.

مع الإشارة إلى كثير منهم مع مرور الزمن تبنوا الديانة الجديدة عن قناعة تامة باعتبارها شكلاً متطوراً عن المجوسية والمانوية. حيث مازال بعضهم يعتقد أن تلك الديانة هي سبب تقدم الفرس على العرب، وكونها تتشابه في كثير من العبادات (مثل الطهارة والوضوء والغسل والصلوات) والأخلاق (مثل التقى والورع). لذلك رأى بعض الباحثين (مثل خليل أحمد خليل) أن نقاط التشابه الكثيرة بين الديانة الزرادشتية والمجوسية والمانوية وبين الإسلام كانت سبباً رئيسا في تقبل الإسلام وانتشاره بسرعة لدى الفرس.

وبصدد هذه الناحية فلقد غالى بعض الباحثين مثل أحمد شلبي (باحث مصري في علم الأديان المقارن) فذهبوا في تفسير ذلك بالقول إن كثير من التعاليم الإسلامية جاءت مكملة للمانوية والزرادشتية أو مشتقة منها. حتى أن بعض الباحثين مثل "خليل احمد خليل" يرى أنه كان لسلمان الفارسي أثناء مرافقته الطويلة للنبي محمد (ص) وعلي (ك) دور كبير في صياغة وتقبل كثير من المفاهيم والتعاليم الزرادشتية المنقولة في السنة النبوية الشريفة، أو فيما نقل عن علي كرم الله وجهه والحسين (رضي الله عنه) ونسله.

لهذا كان من الطبيعي بعد مرور أكثر من أربعين سنة من حكم العرب المسلمين للفرس باسم الإسلام ونتيجة إمساكهم بكل المنافع والمكاسب من أن يسعى بعض الفرس المتعصبين أو المتمسكين بديانتهم القديمة من التمسك بها خفية أو العودة لما كانوا عليه فوجدوا في المظلمة التي وقعت على علي (ك) وعلى أبنائه خاصة الحسين شبها في المظلمة التي وقعت عليهم لذلك اتخذوا من المظلمة التي وقعت على الحسين وتحرك الموالين لعلي والحسين تبرر لهم التحرك ضد الحكام العرب ولما ألحقوه بهم من ظلم، وبالتالي للتحرر من حكم العرب.

وبما أن هذه المظلمة كانت قد قسمت العرب من قبل لثلاث فئات (سنة اتبعوا معاوية، وشيعة اتبعوا علي، وخوارج رفضوا الطرفين) وبما أن علي ابن أبي طالب (ك) والحسين (ر) كانا أكثر عدلاً وميلاً للمساواة بين الناس بغض النظر عن أصولهم وقومياتهم ولغاتهم. على عكس ما فعله معاوية وابنه يزيد وبني أمية المنحازين للعرب وتجارهم (بغض النظر عن تدينهم وتمسكهم بالإسلام الصحيح حيث كان أغلبهم مستغلين وظلمة.) لذلك وقف جميع العرب والفرس المضطهدين معهم (كما يرى أحمد عباس صالح في كتابه اليمين واليسار في الإسلام) وابتعدوا عنهم وباتوا أقرب إلى شيعة علي (ك) العرب ومن ثم اتباع الإمام جعفر الصادق ومن خلفوه في الإمامة.

الصراع على السلطة الدنيوية:

أولاً: الجانب الطبقي من الصراع:

مع أن كتب التاريخ تؤكد على أن فقهاء الشيعة العرب، (قبل الفرس وغيرهم) كانت غالبيتهم من الأتقياء والميالين والمدافعين عن الفقراء (مثل أبو حنيفة) أو ممن يصطفون مع المظلومين والمستضعفين في الأرض. الا أن المتأخرين منهم بعد خوض زعمائهم صراعات وحروب عديدة كانت على السلطة الدنيوية وليس على الدين. فلقد، توصل أئمة الشيعة العرب (ضمنيا) بعد الكوارث التي حلت بهم على يد الأمويين المتعصبين لكل ما هو عربي إلى فكرة مفادها: أن لا جدوى من التمسك بتلك المطالب الدنيوية المتباينة، (مع أنهم على حق لأن الظَّلمة كانوا أقوى كما هو الحال في بلاد العرب والاسلام والعالم حتى اليوم) فقرروا التوقف عن الدعوة لآل البيت، وعن العمل على تسلم السلطتين الدينية والمدنية والاكتفاء بالتمسك بالسلطة الدينية أو الإمامة. وهكذا جاءت فكرة الأئمة الإثنى عشرية وغيبة الإمام محمد المهدي عام 329 هـ (941 م) لتكرس فكرة اكتفاء شيعة علي ومن ولاه ووالى ابناءه وأحفاده بالسلطة الدينية أو بالإمامة فقط. حتى يأتي زمان يمتلكون فيه القوة التي تمكنهم من استعادة السلطتين.

وهكذا توقف أتباع سيدنا علي وسيدنا الحسين عن الدعوة لتسلم آل البيت الحكم، حتى يشاء الله ويعيد المهدي من غيبته الكبرى. وكانت تلك طريقة منطقية لإيقاف الصراع الدموي على السلطتين المدنية والدنيوية كون اتباع معاوية كانوا أقوى. مع أن بعض الشيعة اعتبروا ذلك الأمر وظلوا ينظرون له باعتباره استسلاماً، في حين اعتبر بعضهم ذلك وسيلة لتهدئة خواطر المظلومين والمستعبدين والمكلومين مؤقتا وبما يجعلهم ينتظرون الخلاص الذي لابد أن يأتي مع عودة المهدي المنتظر من غيبته، وبالتالي تقبلوا حكم الطاغوت وتكيفوا مع أوضاعهم البائسة في الحياة الدنيا. وبما أن ضغط الأمور الدنيوية كان ثقيل جداً على الفرس فلقد بدأ التباين بين الشيعة العرب والفرس (وكما تشير الوقائع التاريخية المثبتة). من خلال الصراع المباشر على السلطة المدنية والدنيوية - وإذا كان قد توقف، عند العرب فذلك كان ظاهرياً فقط، لكنه ظل

في الخفاء يتفاعل بأشكال وتسميات مختلفة، عند العرب تحت لافتة عودة المهدي المنتظر من غيبته ليعيدوا من خلفه العدل والمساواة بين البشر حسب ما جاء في القرآن الكريم. بينما أخذ عند الفرس بعداً جدياً تبين من خلال مسعيهم الدؤوب والمتواصل لاستعادة الحكم الديني والدنيوي.

وهناك من الباحثين (أحمد صالح وسيد القمني وخليل خليل) من يرى أن غالبية فقراء العرب والفرس (صاروا من شيعة علي (كرم) لأنه كان فقيراً وأميل للفقراء بغض النظر عن أصلهم أو ديانتهم وبأنهم لم يضطهد الفرس أو يعادونهم (ولم ينظر لهم كعجم، بل كبشر) ولأنه لم يكن يمانع من احتفاظهم بكثير من التعاليم الزرادشتية القريبة من الإسلام بشرط دفع الجزية.

وتشير كثير من الأحداث التاريخية إلى أن الفرس الذين احتكوا بالعرب وجدوا أن علي كرم الله وجهه كان متمسكاً بالدين الحق والخلق القويم أكثر مما هو متعصب للعروبة ويقف مع الحق وينصف المظلومين وأكثر عدلاً من غيره من حكام العرب. ولهذا اصطفوا وراء ه ووراء ابنه الحسين ووجدوا في المظلمة التي حلت به وبأهله ما يجعلهم يتوحدون مع كثير من العرب والمظلومين والذين باتوا بعد ذلك يعرفون بالشيعة في العالم العربي وراحوا هم والفرس والعجم يقفون ضد الأمويين والعباسيين لذلك بات الفرس أميل إلى آل البيت والعلويين، وتحديداً للحسين. ومن ثم وجدوا فيما نقل عن الإمام الجليل جعفر الصادق ونسله من دعوة للعدالة والمساواة بين الأمم استنادا لما جاء في القرآن الكريم (لا فضل لعربي على أعجمي). ووجدوا أن جميع آل البيت والعلويين أقرب إليهم من الأمويين والعباسيين، لذلك تمسكوا بما نقل عنهم أكثر مما نقل عن أبو بكر وعثمان وبني أمية وبني العباس ومفسريهم وأئمتهم، مثل الإمامين أحمد ابن حنبل والمالكي والشافعي. ما جعلهم يتمسكون بالمرويات المنقولة عن الأئمة الاثنا عشر فراحوا يشطبون ويستنكرون غيرها. وهكذا راحت عملية التمايز والشقة تتباعد بين الشيعة العرب والفرس رغم دينهم ومذهبهم الواحد.

ثانياً: الجذور القومية للصراع:

تشير بعض كتب التاريخ إلى أنه كان لزواج الحسين (رضي) من ابنة كسرى الفرس دور كبير في جعل الفرس يميلون ويتعصبون للحسين ويؤيدونه في حربه ضد يزيد واتباعه (إضافة لأخلاقياته العالية وأحقيته في الحكم من يزيد) وبأنهم لذلك وقفوا طوال فترة حكم الأمويين لبلادهم مع شيعة علي ولم يكونوا راضيين عن حكم الأمويين (كما كثير من العرب) ولذلك كانوا يدعون في السر والعلن لإسقاط حكمهم لذلك تحالفوا بقيادة زعيمهم أبو مسلم الخراساني علناً مع أبو عبد الله العباس (المعروف بالسفاح) لإسقاط حكم الأمويين. لكن عندما سعوا لأن يتسلموا الحكم من وراء ظهره قام أبو جعفر المنصور بإزاحتهم عن الطريق وفتك بهم. لكن تعصبهم لفارسيتهم مع ذلك لم يمنعهم من السعي لاستعادة الحكم باسم الدين الإسلامي وهو ما تجلى بقيام البرامكة بزعامة جعفر وخالد (أبناء مزدك والمعروف بأنه كان من كهنة الزرادشتية) بتقربهم لهارون الرشيد من خلال زواج جعفر الفارسي بأخته وتزوج الرشيد بفارسية من التغلغل في قصر الرشيد. وهذا ما جعل هارون يقطع رأس مستشاره يحيى البرمكي وجعفر وخالد وابعاد الفرس عن القصر، ثم تكرر الأمر مرة ثالثة في عهد المأمون كون امه فارسية. ومع أنهم فشلوا في إزاحة ظلم العرب لهم، أو من الوصول للسلطة. لكنهم عمليا لم يتوقفوا عن العمل لإزاحة حكم العرب لهم. ولا عن العمل لاستعادة مكانتهم التاريخية. وكما يؤكد الشنقيطي (في كتابه أثر الحروب الصليبية على الشيعة في الصفحة 119) أن بعض الشيعة العرب في

حلب والشام تعاونوا مع الغزاة الصليبيين، (في الوقت الذي وقف فيه أغلب المسيحيين الشرقيين العرب والأتراك السنة) ضد الصليبيين.

ولما لم يتمكنوا من ذلك الأمر بالسياسة تحالفوا مع المغول (وعملوا من خلال "العلقمي" الموجود في قصر الخليفة المستعصم بالله) إلى جره للاستسلام والقضاء على الدولة العربية العباسية بصورة نهائية. ومن ثم قام المغول بتدمير أغلب التراث الفكري الذي خلفه العرب. وهذا ما مكن الصفويين من حكم إيران وأغلب أراضي فارس ومن ثم الانفصال النهائي عن الدولة العربية حيث تسلم الصفويين حكم إيران وما وراء النهر لم يعد هناك أي وجود للعرب. وهو ما مكنهم لاحقاً من العمل بحرية على استعادة مجدهم القديم في البلاد التي كانت تخضع للفرس.

لذلك عمل كثير من فقهاء الشيعة الذين استدعاهم إسماعيل الصفوي من الكوفة وجبل عامل (حسب وجيه كوثراني) لنشر تصوراتهم عن الإسلام والمذهب الجعفري والعمل على إقناع غيرهم من البشر بأحقيتهم بالحكم واستعادة الحكم الذي خطفه منهم الأمويين العرب واستعادة المجد الذي فقدوه بعد معركة القادسية.

وهو يا للأسف ما فعله ويفعله اليوم حكام إيران الخمينيين في شيعة لبنان وسوريا واليمن والبحرين من خلال الترويج لنظرية الولي الفقيه الفارسية والولاء والتبعية السياسية لإيران الخمينية ضد بلدانهم العربية.

وهكذا عمل الأمريكان والروس والصينيين على تقبل ومن ثم مسايرة وركوب هذه البدعة والموجة من التشيع المعادي للعرب والسنة. ومن لم يقفوا ضد التغلغل الإيراني في البلدان العربية كونه سوف يساهم في تركيع العرب المناهضين للغرب والتبعية والذين يقاومون ويحاربون الغرب والشرق. كما وجد الصهاينة أيضا في هذه النزعة المعادية للعرب والعروبة وسيلة لتدمير العرب من الداخل.

وهكذا توافقت الأطراف الخارجية المعروفة بعدائها التاريخي للعرب السنة مع أطماع الفرس في البلدان العربية فتكون تحالف داخلي **واسع غير ظاهر على السطح. بين كلاً من الصهاينة والاوروبيين والأمريكان والروس والصينيين. مكن الفرس من** ال**تغلغل** ومن ثم القيام بجرائم ومجازر وتهجير للعرب السنة. كما فعل الأحمينيين والساسانيين.

لهذا كان لابد من التصدي للأخطار الفكرية والسياسية التي تنشأ عن تبني فكرة الولي الفقيه التي استخدمها ويستخدمها الفرس الجدد للتغلغل في أوساط العرب الشيعة والسنة المخدوعين بالثورة المزعومة.

الفصل الخامس:
من المهدي المنتظر للولي الفقيه

انتظار المخلص (المهدي المنتظر):

بما أن فكرة انتظار المخلص (المسيح أو المهدي أو غودو) تجعل البشر المظلومين يتقبلون الجور والظلم والفاقة والعبودية على أمل أن يأتي يوم يأتي فيه المخلص ويخلصهم من الشقاء. لذلك عمل جميع المستبدين بما فيهم الفرس على تعميم تلك الفكرة بين الطبقات الفقيرة والمُستغلة. وعملوا على تعميمها وجعلها عقيدة دائمة. وهكذا استغل حكام إيران فكرة المهدي المنتظر التي يؤمن بها الشيعة الإثنى عشرية لتركيع واستعباد الشعوب الإيرانية. لذلك ظهر في بداية فترة حكم عملاء الإنكليز لإيران من يزعم أنه المسيح المخلص والمهدي المنتظر (الميرزا أحمد) وأصبح له أتباع كثر في باكستان وإيران (اليوم في أكثر من مئة دولة ويعرفون بالأحمديين أو القاديانيين وطريقتهم بالقاديانية أو الأحمدية). ثم ظهر في شيراز شخص اسمه "علي محمد الباب" اعتبره الناس في أعوام 1935، (أيام حكم القاجاريين) الباب الذي ينوب عن البواب الذي كان بوابا (باباً) لمحمد بن الحسن العسكري (الإمام الثاني عشر) عندما غاب في الدهليز أو اختفى عن الانظار. وصار علي الشيرازي ناطقاً باسمه. وصار من واجب الشيعة تقبل كل ما يصدر عنه كما لو كان يصدر عن المهدي المنتظر.

وقد يكون من المفيد للكثيرين من الناحية النظرية أن يعرفوا أن ذلك لا يخلو من جانب علمي وعملي مقنع؛ شجع وما زال يشجع على تقبل من ينطق باسم المهدي الغائب والمغيب وغير الظاهر. كي يمرر ما تريد القوى الحاكمة تمريره على الشعب المؤمن بالمهدي. وهو ما يفعله اليوم في العراق الأمريكان والإيرانيين من خلال الناطق باسم السيستاني المختفي عن الأنظار.

من المهدي المنتظر إلى ولاية الفقيه:

لما أدرك دهاقنة الفرس أنهم أصبحوا أقوياء بعد أن استعادوا عمليا سيطرتهم على بلادهم وثرواتهم الكثيرة. وباتوا يمتلكون القوة المالية والعسكرية التي تمكنهم من إعادة بناء امبراطوريتهم القديمة فكان لابد من ابتداع نظرية جديدة مقنعة غير نظرية انتظار المهدي (التي تحث على الركون) نظرية تقوم على الفعل والتحرك. وبدلاً من انتظاره لابد من خلقه، واعتبار من يروه مناسباً ولياً معصوماً ينوب عن المهدي المنتظر.

ولم يكن الأمر يتطلب سوى تلبيس هذا الثوب للشخص المناسب والعمل من خلاله على تسلم الحكم لا لينقذ البلاد والعباد فحسب بل ليعيد الحق إلى نصابه.

واستناداً لهذا التوجه راح "علي بن محمد الشيرازي" يروج لفكرة علمية ومنطقية، تستند على حقيقة بينها الفيلسوف الفرنسي "كانت " تؤكد على أن الديانات تتطور ولا تتوقف عن الإبداع والتطور والغنى، ولا تلغي بعضها، وهذا ما ينطبق كذلك على الرسل. حيث ثبت أن لكل رسول ونبي زمانه ومكانه يرسله الله للناس ليدلها على طريق الفلاح والصلاح. وطالما أن الناس تحتاج لمن يدلها دوما على طريق الفلاح - وطالما أن الله موجود وأرسل الرسل والكتب السماوية والنظريات والفقهاء. فهذا يقودنا بالتالي للاقتناع بأن الله لن يتوقف عن هذا الأمر بل سيظل يبعث الرسل والتعاليم التي تتناسب مع كل زمان ومكان. وهذا ما سهل بالتالي الاقتناع بأن ما تحقق في عهد الرسول محمد (ص) واستمر من خلال الإمام علي (باب العلم) ومن ثم في نسله الأئمة المعصومين سوف يستمر ويتحقق اليوم في الولي الفقيه.

وهنا نذكر بأن ملالي قم وجدوا في فترة حكم القاجاريين والبهلويين أن فكرة الباب أفضل تشكل غطاء شرعي لتمرير ما يريده الحكام من خلال الزعم بوجود من ينطق باسم الإمام الغائب. فاستندوا على فكرة قديمة يؤمن بها جميع أئمة الشيعة وبعض أئمة السنة تقوم على حديث للرسول الأعظم جاء فيه:

"أنا مدينة العلم وعلي بابها" بمعنى أن العلم الإلاهي سوف يستمر بعلي ونسله المعصومين ومن يتبع لهم. وهو ما كان قد تم الترويج له من قبل أحمد القادياني الذي زعم أنه بابا للعلم كبديل جديد عن شخصية البواب القديم المعروف لدى الشيعة بـ "علي بن محمد السُمري" الذي كان بابا للإمام الغائب المهدي محمد العسكري أثناء غيبته الصغرى. حيث كان السُمري ينقل الأحكام عن المهدي المنتظر المختفي عن الأنظار.

لذلك كان من السهل جداً اقتناع كثير من الشيعة بأن من أراد العلم فليأته من بابه، وهذا ما عمل عليه "علي الشيرازي" من خلال تأكيده على أنه طالما ان الله موجود فإن العلم الإلهي لا ولن ينقطع ولا ولن يتوقف عند أي رسول بعثه الله. بل سيستمر من خلال فقيه جديد لابد من أن يظهره الله في كل عصر.

وهذا (بتقديري) هو الأساس النظري الأعمق لفكرة الولي الفقيه التي استند عليها الخميني والتي كانت قد تجسدت في عهد الشاه بابن علي الشيرازي "محمد علي الشيرازي " الذي شهد له كبار المجتهدين السنة والشيعة بأنه كان يتمتع بأرجحية وأولوية في العلم على سواه، (وأنا شخصيا اعتبره أعظم مفكر ظهر في تاريخ العالم لأنه كان حسب ما نقل عنه وما كتبه. عالماً بكل شيء وكونه كما ذكر كتب في جميع القضايا أكثر من ألف كتاب في كافة مجالات الحياة والعلوم، منها مئة وخمسون مجلدا في الفقه الشيعي فقط).

والأهم في تقديري أنه عمل على أرض الواقع (من الناحية العملية) ما لم يفعله كل أئمة الشيعة في التاريخ من حيث الهيمنة على الحياة المعيشية والاجتماعية للشيعة وبالتالي للحكم.

حيث كان له دور كبير في تحويل الخمس الذي كانت تتلقاه المرجعية من شيعة العالم (والذي كان يصرف على معيشة المركز الدينية والمرجعيات) كي يصرف على بناء المدارس والحسينيات وطلاب العلم في النجف وقم وفي السيدة زينب وفي جنوب لبنان ومن ثم تشكيل جمعيات خيرية وطبية في كل مكان كان يوجد فيه شيعة في العالم ومن أن يتكون للمرجعيات الدينية مكانة اجتماعية وسياسية موقرة. وهو ما أكد عليه كل من محمد السيد الصياد وبدر إبراهيم بقولهما. "الذلك تمكن الموالين له في إيران (في عهد الشاه) من خلال طريقة صرف الخمس (20% من ارباح التجار) السيطرة على نصف البازار في طهران وأكثر منه

في مناطق إيران النائية، وبالتالي سيطر على أكثر مداخيل الحسينيات" في العالم، ومن ثم راح أنصاره يتغلغلوا في جميع مؤسسات الدولة الإيرانية - خاصة في سلك الشرطة والجيش والأمن والإعلام. وباتوا يشرفون على القسم العربي في إذاعة طهران قبل الثورة وخلالها. لذلك راح الشاه يعتمد من الناحية الإيديولوجية على تغطية الشيرازيين له أكثر مما كان يعتمد على البهائيين. وهو ما يشير إلى أن الشيرازيين (كما سنبين لاحقاً) هم من فتحوا جميع الأبواب لتقبل الخميني كولي فقيه معتمد، وهيئوا له الظروف الموضوعية خاصة العملية لتسلم السلطة.

تجدد فكرة النبوة والرسالة والهداية:

ثمة ظاهرة إنسانية عامة، ظهرت وما زالت تظهر في جميع المجتمعات البشرية السابقة والحالية- على الرغم من أن الإسلام ختم الديانات السماوية. إلا أن بعض الاشخاص يتصورون أنهم حكماء أو مصلحين لمجتمعاتهم، أو أنبياء أو منظرين أو فلاسفة. ويذهب بعضهم لنشر أفكاره وتعاليمه إلى الاعتقاد أو للزعم، أو الترويج، بأن الله أو قوة نورانية قد أرسلتهم لإنقاذ البشر الضالة مما هم فيه (مثل أحمد القادياني وسلمان المرشد. وعلي الشيرازي.. إلخ). وبأنهم لذلك بما أنزل إليهم أو بما امتلكوه من تجارب وحكمة ومعرفة يمكنهم تخليص البشر المحيطين بهم مما هم فيه من شرور أو ضيم وعماء وضلال.

ويرى علماء الاجتماع أن هذه ظاهرة اجتماعية طبيعية وصحية، يفترض أن تحترم كون كل فرد من هؤلاء يسعى. حسب تصوره. لأن يحارب الفساد والضلال ليقيم مجتمعاً فاضلاً أو أفضل. لكن في الواقع العملي والسياسة فإن هذه الميزة الإيجابية قد تصبح أو تشكل خطراً على الجميع. إذا سعى كل فرد أو رجل دين أو مفكر أو فيلسوف أن يفرض تصوراته على الآخرين خاصة إذا تمسح بالدين وراح يتدخل في السياسة.

ولأنه إذا سلّمت كل مجموعة كبيرة من الناس بزعاماتها الدينية وراحت تعمل وتسعى لأن تفرض تصوراتها الدينية أو رؤاها المتباينة عن الحياة والوجود والسياسة والاقتصاد على غيرهم من البشر (والتي قد تكون (ولابد أن تكون قاصرة ومحدودة) فلابد أن يحصل بينهم التصادم بسبب تباين المصالح بين الجماعات والدول مما يؤدي إلى نشوء صراعات وحروب وويلات وكوارث. وهو ما شاهدناه عبر تاريخ البشرية.

وإذا حصرنا الموضوع في بلادنا كما تجسد في الصراع الذي حصل بين المسلمين الذي اتبع قسم منهم علياً (كرم الله وجهه) وبين من اتبعوا معاوية ابن أبي سفيان. فقط - نجد أنهم مع كونهم من صحابة رسول الله المبشرين بالجنة لكنهم مع ذلك اقتتلوا وفتكوا ببعضهم لنوازع ذاتية وقبلية. كما افترق الموالين لهم لثلاث فرق رئيسية وعدة طوائف. وبعد غيابهما افترقوا إلى أكثر من سبعين فرقة، وكًفروا بعضهم وفتكوا ومازالوا يفتكون ببعضهم حتى اليوم. بسبب تباين ما يستتبعه الولاء لعلي أو لعمر ومعاوية، أو لمن تلاهما، أو نتيجة للتعصب لما طرحه كل منهما من تعاليم، والسعي إلى فرضها على الطرف الآخر. ولو بالقوة فربط الدين بالسياسة والاقتصاد والحكم والمصالح والمنافع الدنيوية والصراع عليها، وعندما ينشغل رجال الدين بالسياسة أكثر من التربية والهداية والتنمية والبناء والتطور، لابد أن يجروا الناس إلى الاختلاف على المصالح الدنيوية وبالتالي للحروب التي تودي بحياة الآلاف وبالتالي إلى تردي الأحوال كلها، وهذا ما حصل نتيجة للصراع على الحكم منذ وفاة الرسول (ص) وحتى اليوم. وليس بسبب الدين الذي كان ومازال جامعاً للناس وموحداً لهم روحياً.

وبما جميع القوى الغازية خاصة الصاعدة حديثاً والطامعة في خيرات العالم خاصة العربي مثل أوروبا وأمريكا والصهيونية كانت على معرفة جيدة بهذه الأفكار والتباينات والخلافات والصراعات الفكرية والدينية والمذهبية والطائفية (وخلفياتها القديمة والتي من المؤكد أن الغرب والصهيونية لم يصنعها ولم يزرعها فينا كما يروج البعض) بل لأسباب تاريخية ذاتية وداخلية. وما حصل هو أن تلك القوى الخارجية عرفتها وعملت للاستفادة منها وراحت تستغل أبسط الخلافات والتباينات الاجتماعية القائمة بين القبائل والإثنيات والمذاهب والطوائف، والتنافس بين ممثليها على الحكم، وباللعب عليها لاستخدامها لتمرير أهدافها الخاصة. وهذا ما كشفه وتابعه بشكل جيد المفكر الصهيوني الفذ "لويس برنارد" فاشتغل عليه جيداً.، وبعد أن تبنى أفكاره كبار القادة الغربيين الموالين للصهيونية راحوا يعملوا على تنفيذها من خلال تعميق الخلافات المذهبية القديمة فوجدوا في نظرية الولي الفقيه ما يزيد الخلافات المذهبية.

ولكي نتجنب استمرار هذا الأمر نجد أنه لابد من معالجة نظرية وفكرية وتاريخية واجتماعية أوسع وأشمل لمسألة الولي الفقيه لذلك نذكر..

ثالثاً: جذور نظرية الولي الفقيه:

بما أن الفرس ذوي الحضارة الراقية تقبلوا التهميش فترة طويلة بروح رياضية. انتظاراً لعودة المهدي المنتظر. وبما أن تلك العودة التي ستخلصهم من ظلم العرب قد طالت كثيرا. لهذا وجد بعض فقهاء الشيعة الحديثين مثل الحائري والطابطبائي: أن الله لا يمكن أن يحكم الناس أو يصدر قراراته بصورة مباشرة بل لابد من إنسان يقوم بذلك (ما قام به الرسل والأنبياء والرجال المعصومين والمصلحين الذين سيكونون ناطقين بشكل غير مباشر بما يريده الله من دون كتاب منزل) بمعنى أن الولي الفقيه ليس بديلاً عن الله ولا عن المهدي المنتظر بل يعبر عما يريده من خلال ما يراه استناداً لما حصل عليه من علم ومعرفة بما يجعل البشر تسير على أرض الواقع على طريق الهدى والصلاح والتقوى. وهذا لن يتم عملياً من دون أن يستعيد الفقهاء السلطة الدنيوية المدنية التي فقدوها بسبب بطش الحكام الظلمة. بما يعني أن مجمع الفقهاء أو الفقيه الذي يجمع عليه الفقهاء يجب أن يكون له دور في الحياة العملية والسياسية ويقاتل من أجل صلاح الأحوال، وهكذا وجد أئمة الفرس في هذه الفكرة دعوة مناسبة ليستعيدوا الحكم الذي فقدوه.

لكن بما أن الناس في هذا العصر لم يعد من الممكن أن تمر عليها مثل هذه الادعاءات. وبما أنها أيضاً لا يمكن أن تتقبل أي شخص يزعم أنه بهاء لله أو أنه المهدي المنتظر، المرسل من الله. ولا حتى نائب عنه. لأن عوامل انقاذ البشر من الضلال والتخلف والتردي لا يمكن أن تتوقف على ظهور شخص كهذا مهما كان نورانياً وفهلوياً وعبقرياً. لهذا تم ابتداع مصطلحات جديدة مثل آية الله، ثم آية الله العظمى.

(مع الإشارة الى أن فكرة روح الله مشتقة على الأغلب من المسيحية الغربية التي تعتبر المسيح كإنسان هو من روح الله. بينما اعتبرها المفكر الإيراني "هوشنك نهاوندي" مشتقة من اليهودية. بل صناعة يهودية خالصة لإبقاء البشر غير اليهود خانعين لهم (منتظرين قدوم المخلص الذي لن يأتي).

وهكذا أصبح من الممكن للناس المكلومة والمغلوبة على أمرها أن تقبل أي شخص تتجلى فيه روح الله كي يقود الأمة ويحررها من الظلم ولتسير خلفه - خاصة إذا ما تبين أنه فعلاً على درجة عالية من الحكمة والتقى أو حصل على درجة عالية بعلوم الفقه والدين لينوب عن الأمام الغائب أثناء غيبته حتى يأتي موعد ظهوره. وهكذا جرى تقبل فكرة الولي الفقيه (الذي يفتي بالنيابة عن الإمام الغائب) باعتباره المهدي المؤقت. ولم يكن ينقص الناس إلا البحث عن شخص ذو سمعة جيدة ومعروف بورعه وتقاه وعلمه وتفقهه

في أمور الدين والدنيا. أو من يقدم لهم على أنه كذلك كي تنقاد له الأمة وتتحرر من الظلم الداخلي والخارجي واستعادة مجدهم الضائع الذي سلبه العرب منهم.

خطر فكرة ولاية الفقيه على العرب والمسلمين:

وبما أن السيد مصطفى الخميني كان يتمتع بدرجة رفيعة من العلم في أمور الدين. وبما أن كثير من الناس الأتقياء والبسطاء وجدوا فيه (كما يرى نهاوندي) الشخص المناسب فراحوا يلبسوه هذا الدور المفقود (الرجل المنقذ والمنتظر أو غودو). ومن غير المستبعد أن تكون الفئة الاقطاعية المتنفذة الساعية إلى إبقاء الناس عبيداً ومستغلين، دور في ذلك حيث وجدوا فيه الشخص الذي تتوفر فيه هذه الصفات التي تمكنهم من الاستمرار في نهب واستغلال الناس فجعلوا منه اسطورة. وهكذا وجدوا كثيرين خارج مدينة خمين أن هذه الصفة متوفرة لدى مصطفى أكثر من غيره من الأئمة لذلك اعتبروه رجل المرحلة القادمة فراحوا يظهروه ويلمعونه (كما يحصل مع كثير من الزعامات الدينية والسياسية في كل بقاع العالم).

وبما أن هذا الشخص يفترض به تسلم السلطة الدنيوية إضافة لـ الأخروية، لاحقاً، لذا كان لابد للصراع على السلطة الدنيوية أن يصبح أكثر حدة بين الشيعة الاثنى عشرية (خاصة المتنورين والعلمانيين) وبين المؤمنين بالولي الفقيه من قبل تسلم تلك السلطة. وأن تعود القضايا الخلافية القديمة التي تخلى فيها شيعة علي والحسين عن السلطة الدنيوية، وأن تستعاد كل خلفيات الصراع على السلطتين الدنيوية والدينية، وأن تستحضر رموزهما ممثلي بعلي رضي الله عنه وأن تعود المعارك كما كانت قبل 1400 سنة. داخل إيران ومن أن تنتقل عدواها لجميع البلدان بما فيها بلداننا العربية مستغلين موقف العرب غير الصحيح مما حل بآل البيت على يد يزيد ومعاوية لينتقموا منهم ويبطشوا بهم.

موقف الشيعة الخاص من الاستعمار والاستغلال:

بما أن أغلب شيعة علي رضي الله عنه (كما يرى أحمد عباس صالح في كتابه اليمين واليسار في الإسلام وعلي شريعتي في كتابه "الشيعة العلوية والصفوية") كانوا من الفقراء والعبيد والبربر والعجم. وضد الظلم والاستبداد لذلك كان التوجه الشيعي العلوي العام أميل للطبقات الفقيرة (العمال والفلاحين) وكان ينحاز غالبا للفقراء. وبما أن الخمس الذي كان يؤخذ من المغانم قد توقف بعد توقف عملية التوسع وبات الحكام ومن خلفهم قوات الجيش والشرطة والدين يحصلون على الأموال اللازمة لمعيشتهم من المكوس التي يحصل عليها الحكام والإقطاعيين وملاك الأراضي وكبار التجار والصناعيين من خلال ما يقدموه من أموال للمرجعية الدينية (20% مما يحصلون عليه) والذين يقدم لدى الشيعة النجف وقم للمدارس الدينية والتعليم ولكبار رجال الدين حوالي خمس الخمس المفروض على التجار) لذلك كان الولاء لهم وللنظام الذي يمثلونه سمة أساسية للتعليم الديني الإسلامي والمسيحي الكنسي.

وكما كانت الطبقة الحاكمة والعسكر وقوات الأمن تعمل طوال التاريخ وحتى اليوم على حماية التجار وملاك الأراضي الإقطاعيين ورجال المال (وهم من يعرفون بالأوليغارشية الحاكمة). وهو ما تؤكد عليه التحالفات العميقة القائمة تاريخيا بين العسكر ورجال الأمن ورجال الدين. حتى باتت تلك سمة أساسية من سمات الأنظمة الدينية "الأوتوقراطية". ولهذا شكل ملالي قم في إيران قوة معنوية رادعة أهم من قوات

الأمن والجيش. بما يجعل الفئات الفقيرة من الشعب تتقبل عملية النهب والاستغلال وتقبل الاستعباد والاستبداد. وهو ما أكد عليه كثير من الكتاب والفلاسفة ومؤخراً د. محمد الجوهري في كتابه "تمهيد في علم الاجتماع الديني": "من أن الدين كان أهم أداة بيد السلطات الحاكمة والمستبدة لذلك كانت تعطي من خلال التعليم الديني والمقدس هالة فوقية تضفي على الحاكم الدنيوي الشرعية الدينية بما يجعل الناس تتقبل العبودية والاستبداد".

وكان هذا الأمر يسير عبر التاريخ -غالباً بسلاسة، لكن عندما تكتشف نخب الشعوب غير المنضوية في المرجعيات الدينية. أن هذا النهب والاستغلال والاستبداد يتم لمصلحة القوى الخارجية خاصة الغربية فإنها سوف تتمرد على المرجعية الدينية . وكان لابد لهذه النخب من أن تثور على النظام وعلى المرجعية الدينية الداعمة له. ولذلك كما تشير الوقائع التاريخية، توجه أغلب نخب ومثقفي الشيعة الثوريين في إيران والعراق وسوريا ولبنان في مرحلة صعود الثورة العالمية نحو الماركسية والشيوعية وتخلوا عن المرجعيات الشيعية الموالية للحكام المستبدين. في حين وقف أغلب منظري السنة وملالي قم مع الاستعمار والرأسمالية وراحوا يدعمون الشاه وحكامهم الرجعيين.

وتشير الوقائع التاريخية المعاصرة: على أنه ظهر لدى الشيعة الثوريين بالمقابل مرجعيات ثورية وماركسية وتقدمية قوية وبارزة مثل حسين مروة ومهدي عامل في لبنان وعلي شريعتي في إيران. وشخصيات شيعية تقدمية مثل محمد حسين فضل الله وموسى الصدر ومحمد مهدي شمس الدين ومحمد باقر الصدر، وهادي الموسوي وقفوا مع الثورة الوطنية التحررية وضد الاستعمار أكثر مما وقف غيرهم من أئمة وشيوخ وفقهاء المذاهب الأخرى (ظهر بين سنة سوريا "مصطفى السباعي" والطهطاوي في مصر).

وبهذه الطريقة الذكية ربط كثير من منظري الشيعة الوطنيين والثوريين بين الطبقي والقومي والديني بطريقة محكمة (وهو ما أبدع فيه كلا من "مهدي عامل" وحسين مروة وعلي شريعتي) ولهذا كان أو أصبح أغلب الشيعة ميالين للثورة الاشتراكية والسوفييت في مرحلة صعود المعسكر الاشتراكي وحركات التحرر الوطني والقومي. ومن الملفت للنظر أن هذا التيار الشيعي الثوري انهار بسرعة غريبة بعد سقوط ذلك المعسكر وتحول أغلبهم من الشيوعية إلى الشيعية المؤيدة لقوى يعرفون أنها رجعية ومستبدة وفاسدة وظالمة ومعادية لبلدانهم وشعوبهم ومدمرة لبلدانهم ومناقضة لأسس المذهب الشيعي. الذي جعلهم سابقاً يميلون ويتجهون لليسار والوقوف مع وجانب الفقراء والمستضعفين.

وكان من الطبيعي لشيعة العراق وإيران (في تلك الظروف (في سبعينات القرن الماضي حيث كان المد الثوري في العالم صاعدا) أن يقفوا ضد الاستغلال والاستعباد والاستعمار. وأن يتركز عدائهم لعملائه في بلديهما وخاصة ضد الشاه المعروف بعمالته للغرب الرأسمالي والاستعمار وإسرائيل. ولهذا ظهرت في إيران خارج المرجعية الدينية (المؤيدة للشاه في قم) حركات شيعية ثورية تجمع ما بين العلمانية والدين أو ما بين الشيوعية والإسلام (حركة فدائيي الشعب الإيراني التي رفعت القرآن والمطرقة والمنجل كشعار رسمي لها) أو وطنيين متدينين مثل حزب خلق، وقوميين مثل حزب مجاهدي خلق. في حين ظل الخميني وحده. خارج المرجعية الدينية المؤيدة للشاه والمعادية له. فظل معادياً رسمياً وشرساً لأي حركة تقدمية شيعية ومعادياً للتوجه الليبرالي للشاه. متبنيا فكرة العمل على إقامة نظام إسلامي في العالم. مثله مثل سيد قطب وأبو الأعلى المودودي وتقي الدين النبهاني. (الحاكمية لله) حيث تشير أطروحات الخميني أن فكرة الولي الفقيه هي نسخة أخرى عن الحاكمية التي ابتدعها المودودي والنبهاني. حيث تبنى ما كان يطرحه تقي الدين النبهاني

(حزب التحرير الاسلامي) من حيث الدعوة والعمل على ثورة إسلامية تطيح بالشيوعية والرأسمالية معا. كما أطاحت الثورة المحمدية بالروم والفرس. (متجاهلين الفوارق الكبيرة بينهما وبين وضع العرب والمسلمين في ذلك الوقت وحالياً).

والملفت للنظر كما يشير "هوشنك نهاوندي" فإن الخميني لم يكن سوى تابع "لآية الله العظمى البروجردي" ومقلداً لما كتبه الحائري عن ولاية الفقيه. ويؤكد على أن أفكار أبو الأعلى المودودي الباكستاني كانت موجودة في كتاب الخميني. لكنه تجاوز النبهاني في تكفير الحكام كما فعل سيد قطب بل كفر النظام كله. والطريف كما نقل نهاوند عن الخميني أنه تطرف لدرجة اعتبر فيها أن الإسلام (بين الصفحة 50 - 57) انتهى أو تدهور منذ وفاة الرسول لأن من اتبعوه وجاؤوا بعده غدروا بعلي وبآل البيت "ويذهب في الصفحة 61 إلى أن الشعب الإيراني أفضل من شعب الحجاز وأفضل من الشعب الذي عاصر سيدنا علي والحسين" كما اكد "على ان الفرس أكثر وفاء للإسلام لذلك فهم مرشحين لأن يقيموا الدين الصحيح. وعلى أنهم أقدر على نشر الإسلام" وأمور أخرى تسئ لجميع المرجعيات التي سبقته والتي اعتبرها مقصرة في فهم الإسلام.

لكن كما بين كل من أبو الحسن بني الصدر ونهاوندي أن كتاب الخميني كان ضعيفاً جداً. وما يلفت النظر هو تركيزه على محاربة كل ما يدعو للعلمانية والعلم والديمقراطية والحكم المدني والتقدم. أكثر مما يدعو لطريق يتفق مع نظرة الفقه الشيعي للموقف من المستبدين والمستكبرين والظلمة والمستغلين - لذلك ركز على معارضة الشاه ليس بصفته دكتاتوراً بل لإجراءاته الإصلاحية.

موقف رجال الدين الشيعة في إيران من مسألة الحكم:

على الضد من الخميني برز في ذات الوقت داخل إيران كثير من المفكرين الشيعة الثوريين وأبرزهم "علي شريعتي" (ألف عشرين كتابا طبعت ووزعت ملايين النسخ منها، أكثر مما وزع من كتب الخميني قبل الثورة) حيث كان يدعوا للثورة على الشاه معتمدا على الفقه والشريعة ولإقامة دولة مدنية وطنية ديمقراطية.

وهو ما يتطابق مع دعوة كثير من أئمة الشيعة من حيث الوقوف إلى جانب الشعب الفقير والمظلومين فيه، مثل "مرتضى مطهري وشريعة مداري وموسى الصدر"، الذين وقفوا مع المستضعفين وتوافقوا على أن الدعوة لحكم رجال الدين باسم الإسلام سواء في إيران أو غيرها سيكون مدعاة لصراعات مدمرة، واعتبروا ولاية الفقيه بدعة لا أساس لها سواء في الإسلام أو المذهب الجعفري. وبأنها ستكون (بعلم أو بدونه) وسوف تشكل على أرض الواقع مدخلا لفتنة بين المسلمين الشيعة وبين العرب السنة والشيعة. تصب في تلك الظروف في مصلحة الغرب وإسرائيل. وهو موقف شبيه بموقف أكاديميين إسلاميين آخرين مثل أبو الحسن بني الصدر ومهدي باذرجان ومحمد بهشتي وهاشمي رفسنجاني.. إلخ.

وللتأكيد على ذلك أسوق بعض ما قاله السيد "علي شريعتي": " إذا أردت أن تخرب ثورة فاعطها بعداً دينياً أو طائفياً". و"أن الصراع بين السنة والشيعة لم يكن صراعا من أجل المذهب أو العقيدة. بل صراعاً بين مصالح قيادات ودول تستخدم السنة والشيعة لتمرير مصالحها الخاصة".

ولهذا وقف كثير من ملالي إيران وظلوا يقفون ليس فقط ضد فكرة ولاية الفقيه ومن قبل أن يبرز نجم الخميني. (وهذا ما تظهره كتابات أكاديميين إسلاميين مثل مهدي باذرجان وحسن رجوي وأبو الحسن بني الصدر) بل وقفوا بحزم ضد أن يتولى رجال الدين الحكم ليس في إيران وحدها بل في العالم كله. كونها

تؤدي إلى صراعات لا مبرر لها ولن يستفيد منها سوى الأعداء. وهنا نستبق الأمور كي نشير: إلى أننا سنة وشيعة، عرب وفرس، بعد تسلم الولي الفقيه حكم الأمة الإسلامية والسلطتين السياسية المدنية والدينية لم نشهد أي تحسن في أوضاع الشعب الإيراني بما فيهم الشيعة كذلك في أوضاع العرب والمسلمين. بل شهدنا دماراً أشد وتشظياً أكثر وتخلفاً أفظع من الذي ألحقته بنا القوى الاستعمارية. لذا نجد أنفسنا من الناحية المنطقية، مضطرين للتوقف، كي نراجع تلك المقولة، على ضوء السياسة العالمية وأن نفكر ونحلل ونبحث فيها من الناحيتين النظرية البحتة على ضوء الوقائع التاريخية والسياسة الدنيوية. وكذلك إعادة النظر في كل ما نجم عن هذه الفكرة.

هل كانت إعادة وإحياء للإسلام والمسلمين أم إحياء للعنصرية الفارسية وللصراعات المذهبية والتشظي الفكري والسياسي والاجتماعي؟

نعود لنذكر بمعارضة آلاف المنظرين الإسلاميين في إيران وسواها أي دعوة لتسلم أي رجل دين للسلطة لأن في ذلك حرق للدين. فكما رأى "علي شريعتي": إن رجال الدين إن حكموا لن يستطيعوا في هذا الواقع الدولي الذي تسيطر فيه البرجوازية والرأسمال العالمي أن يفعلوا شيئاً. وبالتالي لا يجوز لهم تسلم أي نوع من السلطة خاصة في إيران أو سواها كون ذلك سيفتح الباب أيضاً- لصراعات لانهاية لها القوميين والإسلاميين والمسيحيين والعلمانيين والديمقراطيين والفرس والعرب والشيعة الإيرانيين والعرب وبين الشيعة أنفسهم، وبين العرب القوميين وبين المسلمين الآخرين وغير المسلمين في العالم. ولأن مثل هذا الصراع سيفتح الباب لصراعات أخرى جديدة تجاوزها التاريخ.

لا يجب أن يفهم من هذا أن كل هؤلاء المنظرين كانوا مع الاشتراكية أو مع السوفييت أو ضد الدين أو كفاراً أو شيوعيين. فكل كتبهم وخطاباتهم كانت تؤكد على احترامهم للدين ويجلون رجاله شريطة أن يقتصر دورهم على الوعظ والنصح والتوجيه والإرشاد، والابتعاد عن الحكام والتدخل في الحكم بصورة مباشرة.. على الضد مما كان يدعو له الخميني.

وكان بعضهم يدعوا لإقامة دولة مدنية تدين بالإسلام كتلك التي أقامها النبي محمد (ص) مع سلمان الفارسي أثناء وجوده معه في المدينة المنورة. لذلك كان لابد لعلماء الدين المسلمين الثوريين من الدعوة للتعايش بين أصحاب جميع الديانات وغيرهم في ظل نظام مدني في دولة مدنية ديمقراطية يحكمها القانون. وهذا ما يتناقض مع ما كان يدعو له المنظرين الرأسماليين والصهاينة مثل "برنارد لويس الذي كان يشجع على الحكم على أساس الدين. وهو ما تلقفه ساسة اليمين المتشدد في كل من أمريكا وبريطانيا وإسرائيل (اليمين المسيحي والصهيوني) لذلك توافق الثلاثة (الانكليز والأمريكان والصهاينة) على ضرورة إزاحة ومحاربة كل من يدعوا لإقامة دولة مدنية ديمقراطية، ليس في بلادهم فحسب بل في كل مكان في العالم.

ولهذا حوصر هؤلاء المفكرين أو هددوا بالقتل أو قتلوا فعلاً. وهذا ما تعرض له "علي شريعتي" فهرب عام 1977 إلى لندن. وهناك تم اغتياله من قبل السافاك وهو ما جعل كثير من الثوريين الإسلاميين العقلانيين في فترة الثورة وتصاعدها مغادرة إيران والهرب منها خوفا من القتل.

وهنا من المفيد أن نذكر من نسي: أن السافاك بعد فترة قصيرة استدرجت صديقه ونظيره (في ذات العام بطريقة خبيثة) الإمام "موسى الصدر" من قبل القذافي لحضور مؤتمر في ليبيا للمصالحة بين التيارين الشيعيين. لكن في الحقيقة كان ذلك غطاء ليتم قتله أو اختفاؤه هناك. وهو ما أكد عليه عميل السي آي "روبرت إيمز" بقوله: "أن بهشتي طلب من القذافي أن يستدرج الصدر كي يقوم بتصفيته. كما حصل مع

شريعتي ومن ثم الترويج أنه قتل لكونه عميل للغرب ولأنه يقف ضد الثورة الإسلامية في إيران". وهو ما قاله "جلال الدين الفارسي" أحد الشخصيات الإيرانية البارزة في لبنان في مقابلة مع وكالة أنباء فارس في شباط 2018: "إن الصدر كان يجب أن يقتل لأنه (على حد زعمه) كان هو وعلي شريعتي قريبين من الشاه وبعيدين عن نهج الثورة". وهذا افتراء لأن الوقائع اثبتت أنهما قتلا لأنهما كانا ضد الشاه وسياسته.

والطريف في الأمر هو بعد كل هذا النضال والتنظير والتضحيات من قبل هؤلاء الرجال المؤمنين المنفتحين على غيرهم من المذاهب والأديان والشعوب، والمقبولين من الشعب الإيراني والشعوب المجاورة لهم أن يتم إبعادهم أو قتلهم كي يتسلم حكم إيران رجال الدين الأشد والأكثر تشددا ورجعية وظلماً وإظلاماً بزعامة رجل متعصب ومنغلق دينيا مثل الخميني كان من أقل رجال الدين الشيعة شعبية ووقوفاً إلى جانب المستضعفين والفقراء.

الفصل السادس:

إيران بين الثورة و الثورة المضادة

إن عملية تقييم. أو إصدار حكم نهائي وقاطع حول. ما جرى في إيران بعد عام 1980. إن كان عودة للإسلام الصحيح أم هبة قومية؟ حركة تقدمية أم ردة رجعية، أم ثورة معادية للغرب والصهيونية أم ثورة مضادة للثورة الوطنية في إيران والعالم؟ لن يكون ممكناً إن جرى بمعزل عن دراسته خارج السياق العام للثورة وبعيداً عن مفهوم التقدم والتخلف في العالم من جهة أولى، ومن جهة ثانية بناء على ما جرى وكان يجري في إيران والعالم والمنطقة في ذلك الوقت. و بناء على النتائج التي تمخض عنها ذلك الحراك للشعب الإيراني أولاً ولشعوب المنطقة والعالم ثانياً. يمكن لإصدار حكم نهائي.

مفهوم التقدم والثورة:

وهذا لن يتم بمعزل عن رؤية التوجه العام للبشرية وما حصل في العالم تحديداً في فترة السبعينات. وبما أننا كنا وما زلنا في مختلف أنحاء العالم مختلفين حول مفهوم واحد للتقدم والتخلف وحول ما هو الأفضل والأصح للبشرية جمعاء. لذلك فإن الموقف مما جرى في إيران بعد سيطرة الخمينيين سيظل أيضاً موضع خلاف إن لم نضع محددات ثابتة للعالم كله.

الثورة العلمية وظهور الرأسمالية والعولمة:

تؤكد الدراسات التاريخية أن البشرية أصابتها تغيرات كثيرة لكن التغير الرئيسي والكبير حدث مع بداية اكتشاف العالم الجديد وطريق رأس الرجاء الصالح وطرق الوصول لجزر الهند الشرقية. حيث راح العالم بعد ذلك يتغير جذريا فكرياً ومادياً. ومع اكتشاف العالم الجديد بدأ بناء عالم جديد ذو أفق جديد ظهرت فيه امبراطورات جديدة مثل البرتغال واسبانيا وهولندا وبريطانيا ومن ثم الولايات المتحدة الأمريكية. ولم يعد للعالم مجال للإمبراطوريات القديمة مثل الرومانية والفارسية والعثمانية. وبدأت تظهر الدول القومية الجديدة المعروفة حالياً.

ومع ظهور نمط الإنتاج الرأسمالي ما بين القرنين السابع والثامن عشر - استنادا لأبحاث كل من آدم سميث وكارل ماركس، ظهرت الطبقة البرجوازية التي طبعت من خلال الصناعة المستندة للاكتشافات العلمية. فسيطرت الرأسمالية على الإنتاج والاستهلاك والاقتصاد العالمي في جميع البلدان وطبعته بطابع كوني. "وبهذا لا تكون أوروبا وأمريكا قد انتزعت بالصناعة الحديثة من تحت أقدام الإنتاج الزراعي والريعي والتجاري القديم أسسه فقط بل طرقه ووسائله وأرضيته الوطنية والقومية ودمرت الصناعات القديمة

لتحل محلها صناعات جديدة أصبح الاعتماد عليها -كما قال ماركس-" حيوياً وضرورياً لكل المجتمعات المتحضرة. وبالتالي لترسي أوروبا الصناعية أسس جديدة أسقطت الأسس المادية والفكرية لقيام وبقاء الإمبراطوريات القديمة.

وبما أن "البرجوازية الصاعدة لم تعد تستعمل المواد الأولية في أقصى المناطق فحسب ولا تستهلك منتجات البلد المحلية فحسب، بل منتجات جميع البلدان. لذلك نشأت حاجات جديدة باتت تتطلب لإشباعها منتجات أقصى البلدان والأقاليم. وحل محل الاكتفاء الذاتي الوطني والقومي والإقليمي علاقات شاملة في كل النواحي ولتقوم تبعية متبادلة بين جميع الأمم". وهذا ما أدى إلى تطور تلك البلدان فيما بقيت البلدان التي تعيش على الاقتصاد الريعي (عكس الاقتصاد المنتج) والذي يقوم على جني الفائض الناتج عن المكوس والضرائب المفروضة على البضائع والناس المارة ضمن أراضي البلد المعني أو نتيجة للمرور من القنوات ورؤوس البحار أو قريبا منها - أو مما ينتج عن بيع الثروات الباطنية مثل النفط والغاز والحديد والفوسفات والملح.. إلخ. في حالة توقف عن التطور بل وتخلف.

ومن المهم هنا أن نعرف أن هذه الشمولية والتبادلية أو ما باتت تعرف اليوم بالعولمة، لم تعد تنطبق على الإنتاج المادي فحسب، بل باتت تنطبق على المنتجات الفكرية والعلمية لكل الأمم بما فيها طريقة الحكم واسلوبه. والتي باتت بعدها ملكاً عاماً ومشتركاً لكل الأمم. ولم يعد من الممكن الحديث عن حضارة محلية وطنية أو قومية بل عن حضارة محلية في إطار حضارة عالمية. وحكم محلي في إطار حكم عالمي.

وهكذا لم يعد هناك مجال للتعصب، أو التقوقع الوطني، أو القومي أو الديني. إلا لمن أراد أن ينعزل عن مسيرة العالم وينزوي ويضع نفسه خارج العالم. مثل حركة طالبان واتباع الخميني وداعش والنصرة وأمثالهم.

وهكذا نشأت من الثورة العلمية والصناعية ثورة تكنولوجية حلت فيها الآلة الحديثة محل العمل اليدوي والأدوات القديمة (مثل المحراث والعربات التي تجرها الخيول والحمام الزاجل.. إلخ)، أدوات حديثة مثل التركتورات والسيارات والطائرات، والبرق والهاتف والنت. والتي بات جميع سكان العالم الراغبين بالتقدم مجبرين على استخدامها وبالتالي الخضوع لما يقرره منتجوها. وهكذا يكون مركز القرار في العالم قد انتقل من العالم القديم في آسيا إلى العالم الحديث في أوروبا وأمريكا. حيث كان ومازال يتم انتاج وتطوير هذه الابداعات. ومن ثم أدى إلى ظهور برجوازيات قومية ووطنية تابعة للبرجوازية الأوروبية أو الأمريكية أو ملحقة بها. ثم اتخذت من النزعة القومية غطاء وأداة لها بدلاً من النزعة الدينية التي كانت تقوم عليها الإمبراطوريات القديمة في العالم القديم. مثل الرومانية والنمساوية والعثمانية والفارسية لتحل محلها بعد الحرب العالمية الأولى دولا قومية أو وطنية.

وفي هذه المرحلة قامت في روسيا ثورة اشتراكية، ثورة طرحت الاشتراكية كنظام بديل عن النظام الرأسمالي والأممية كبديل عن كل من الدول القومية والامبراطورية. وسعت إلى فرض نمط جديد للإنتاج في العالم كله. ومع أنها بعد سبعين عاماً منيت بفشل ذريع. وعاد النمط الرأسمالي ليهيمن على العالم من جديد بطريقة أبشع. لكن هذا لا يعني أن التوجه للاشتراكية شكل في تلك المرحلة نقلة ثورية وتقدمية وإلى الأمام وكل من وقف ضدها كان رجعياً.

لا يفهم مما سبق أن كل ما هو جديد هو أصح وأفضل. أو بأن النمط السوفيتي او الرأسمالي الجديد والمتوحش المهيمن حالياً هو الأصح أو الأفضل أو بأنه سيبقى للأبد. بل يؤكد نشوؤهما وتغيرهما. أن البحث

عن نمط جديد يتجاوز القديم مازال أمراً قائماً ومطلوباً. وكما تجاوزت الاشتراكية (كما طبقت في الاتحاد السوفيتي) الرأسمالية الغربية وكما جددت الرأسمالية نفسها وتجاوزت الاشتراكية السوفيتية كذلك سيتم تجاوز نمط ما فوق الامبريالية الحالي إلى نمط جديد أرقى وأفضل وهو عمل مشروع ومستمر عملت ومازالت تعمل عليه كثير من النخب الثورية في العالم.

ولا يعني هذا أن التوجه للاشتراكية في ذلك الوقت كان غير صحيح أو خاطئ. بل كما بين كثير من منظري الاشتراكية أنه كان في الطريقة التي طبقت فيها في المكان الذي ظهرت فيه (في كل من روسيا والصين كدول متخلفة اقتصاديا) والتي تم تجاوزها ليس بالإصلاح كما أراد غورباتشوف ودينغ بينغ. بل من خلال العودة للنظام الرأسمالي الأبشع. ولذلك جاء النظام الحالي الذي لا يمكن اعتباره النظام الأصح أو الأفضل حيث كان ومازال العمل جار لتجاوزه نحو نمط آخر. ولذلك يتم التحاور بين الثوريين في جميع أنحاء العالم للبحث عن نظام دولي جديد يجمع ما بين الاشتراكية والرأسمالية من خلال ما عرفت وتعرف اليوم بالديمقراطية الاشتراكية. و الديمقراطية الاجتماعية.

من هذه الزاوية يمكن اعتبار كل حركة في العالم سارت. أو ما تزال تسير اتجاه بناء نظام دولي جديد يقوم على الديمقراطية وتحقيق العدالة الاجتماعية والمساواة بين كافة البشر نظاماً ثورياً. ومن هذه الزاوية يمكن اعتبار الاشتراكية بالرغم من أنها فرضت قسراً في روسيا لكنها شكلت في تلك الظروف الدولية مخرجا للشعب الروسي نقلته من القيصرية والمشاعية والاقطاع إلى رأسمالية الدولة الاشتراكية، وشكلت بالتالي نقلة نوعية في تاريخ روسيا حيث نقلتها من العبودية والتخلف إلى دولة عصرية متقدمة. ومن ثم سعت لتعميم هذا النمط في بلدان العالم الثالث المتخلفة. ولهذا تبنت كثير من النخب الثورية في العالم الثالث بما فيها بلداننا العربية والإسلامية وإيران هذا التوجه للتحرر والتقدم والبناء ونشر العدالة كونها كانت تتشابه معها. من هذه الزاوية - كما كنا نعتبر - يجوز لنا أ- ن نعتبر اليوم كل من عمل على الضد من ذاك التوجه في بلداننا العربية أو إيران وبلدان العالم الثالث رجعيا. خاصة إذا علمنا أن التوجه نحو الاشتراكية ودعم الاتحاد السوفيتي لشعوب العالم الثالث ساهم في دعم استقلال دول العالم الثالث وتحررها من الاستعمار القديم والحديث ومن الإقطاع - وفي تقدمها الاقتصادي والسياسي والاجتماعي. وبالتالي فإن كل من عمل في تلك المرحلة التي وقف فيها الاتحاد السوفييتي إلى جانب الشعوب وتحررها وتقدمها، أو عمل على إسقاطه ليفرض نمطا قديما أو تابعا للرأسمالية في ظل هيمنة ودعم النظام الامبريالي صب في مصلحة الإمبريالية. يفترض بل يجب أن يعد نشاطا رجعيا وخادما للاستعمار. وبأن يوضع في خانة الثورة المضادة.

من هنا أرى أن الدعوة إلى العودة إلى أنماط قديمة (بزعم التمسك بالأصول) حتى للنمط الاشتراكي السوفيتي سواء في روسيا أو لدينا، عدا عن أنه لم يعد ممكنا فهو نظرياً يشكل حركة رجعية لأنه يشكل رجوعا وعودة للوراء. وفي هذا السياق نستطيع أن نقرر أن كل من عمل ومازال يعمل على ضرب أو إفشال حركات التحرر الفكري والاجتماعي والقومي والوطني ونشر الديمقراطية في بلده والعالم. وكل من يفكر بالعودة للنظام الاقطاعي والعبودي والكليركي كما عمل في الماضي يعمل ضد التقدم وحالياً على خدمة الامبريالية المتوحشة والثورة المضادة لمسيرة البشرية.

مفهوم راهن للثورة المضادة:

من المؤكد أن اكتشاف الكهرباء كان ثورة علمية حاسمة وكل من يدعوا للعودة للسراج والشمعة

مضادا للثورة. وأن الثورة البرجوازية الديمقراطية التي حصلت في فرنسا عام 1789 وأنهت حكم الإقطاع والأمراء والملوك في فرنسا ومن ثم في أوروبا والعالم، بأنها كانت ثورة تقدمية. وما حصل في روسيا عام 1917 كان ثورة تقدمية أيضا لأنها حاربت الإقطاع والعبودية والاستبداد والاستغلال. ومن هنا يفترض أن يتم اعتبار كل من عمل أو يعمل حالياً أو سيعمل في المستقبل لإعادة الإقطاع أو الرأسمالية، أو حكم الملوك والأباطرة أو رجال الدين الثيوقراطيين (المستبدين الذين يحكمون باسم الدين) معادياً للتقدم الإنساني ورجعيا. وبالتوازي مع ذلك يفترض اعتبار الميل العام نحو الديمقراطية وحكم الشعب لنفسه وحكم القانون وتحقيق العدالة الاجتماعية على النطاقين الدولي والمحلي ثورة وسيراً نحو الأمام، واعتبار كل عمل يعوق أو يمنع أو يضرب هذا التحول ويعيده للوراء يفترض عزله ونفيه. من هنا ولهذا، ولكي يكون حكمنا أقرب إلى الصحة (حيث لا وجود لصح مطلق) يفترض أن نقوم بالبحث ونعمل على تقييم ما حصل في إيران من خلال وضعه في إطار التوجه الدولي والإقليمي العام (التقدمي). ومن ثم قراءة دقيقة لما جرى وكان يجري في إيران في سياق عملية التحرر الوطني والاجتماعي والاقتصادي والحياتي في إيران.

لهذا أعتقد أن الإمبريالية كانت رجعية لأنها أعادت حكم الأقلية الغنية والتفت على عملية الانتقال التي فرضتها الاشتراكية في العالم والتي كادت تقضي على هيمنتها لذلك عملت على المستوى العالمي على ثلاث جبهات:

أولهما في الاقتصاد، حيث تم تبني نظرية عالم الاقتصاد الإنكليزي "ماينهارد ماكينزي" للتحكم مالياً بالاقتصاد العالمي من خلال القروض وللتوسع في فرض أو تبني نمط الإنتاج في الدول المحيطية (دول العالم الثالث). وثانيهما العمل على احتواء الاتحاد السوفيتي والمنظومة الاشتراكية اقتصادياً (من خلال الحرب الباردة وسباق التسلح) وتجارياً وسياسياً. وثالثها: العمل على ضرب وتفتيت حركات التحرر القومي والوطني في العالم الثالث والحركات العمالية والاشتراكية في أوروبا وأمريكا من الداخل.

وفي هذا السياق عملت الإمبريالية على دعم الحركات الرجعية في العالم الثالث وخاصة حركات الإخوان المسلمين في البلدان العربية ذات الأغلبية السنية وعلى تقوية نفوذ الملالي الشيعة في الدول التي يوجد فيها شيعة والتي كانت تتركز في إيران بعد أن همش البعث دور المرجعية الدينية في النجف وكربلاء ومنعها من التدخل في السياسة. ولهذا اكتسبت إيران لدى ملالي الشيعة المتحالفين مع الاستعمار والاستبداد أهمية خاصة.

إيران على طريق الثورة التحررية :

الوضع العام في إيران قبل الثورة الشعبية الديمقراطية:

وبما أن إيران باتت (وماتزال) منذ الحرب العالمية الثانية تحتل موقعا مهما في جنوب ووسط آسيا وجنوب الاتحاد السوفيتي. وبما أنها تمتلك قوة بشرية واقتصادية وعسكرية كبيرة تمكنها من التحكم بأهم بحيرة للنفط في العالم وتطل على البحر ين العربي والهندي وطرق التجارة العالمية. وطريق الحرير. وهو ما مكن بريطانيا ويمكن أمريكا إذا ما استخدمت هذه الميزات بشكل جيد. تتمكن من تحقيق أهدافها وتنفيذ استراتيجيتها العالمية الجديدة الرامية إلى إسقاط الاتحاد السوفييتي والاشتراكية وحركات التحرر في العالم.

وهذا ما أدركه. وكان يدركه -أيضاً- ثوار إيران ونخبها فسعوا للاستفادة من تلك الميزات والفوائد التي يمتلكها بلدهم وشعبهم، بالعمل على تدويرها لمصلحة الشعب الإيراني وشعوب العالم . ومن هذا المنطلق نشأ منذ عام 1949 حراك ثوري واسع قاده زعماء وطنيين كان أبرزهم "محمد مصدق" تمكن عام 1951

من إقامة حكومة وطنية (كما فعل عبد الناصر في مصر في ذات العام وأمم بعدها قناة السويس) طردت الشاه ومن ثم أممت شركة النفط الإنكليزية، لذلك عملت المخابرات المركزية فوراً على إسقاطه وإسقاط الثورة وإعادة الشاه لحكم إيران عام 1953 من خلال دعم رجال الدين الشيعة للثورة المضادة. (وهذا موضوع تم بحثه وتقديم الأدلة عليه من خلال كتاب مايلز كوبلاند "لعبة الأمم" ومن ثم أدخلت إيران في حلف بغداد (الحلف المركزي) وباتت قوة مركزية في قيادة الثورة المضادة للثورة في العالم العربي والإسلامي، ومن يومها أدخلت إيران في نفق من الاستبداد والظلام والكبت والقمع استمر لعام 1975 حيث نشبت الثورة. حيث كان من المفترض أن يتحرر الشعب الإيراني من الظلم والاستبداد والفساد والتبعية للغرب والرأسمالية وهيمنة رجال الدين. وبأن تتحول إيران إلى دولة وطنية ذات سيادة كاملة . سرعت في تشكلها عدة أمور أهمها:

1. رفض هيمنة الدولة الأمنية والقمعية:

بما أنه كان للقوى الأمنية بقيادة المخابرات المركزية الأمريكية دور حاسم في إعادة الشاه لحكم إيران. فمن الطبيعي أن يستمر أكثر ويتصاعد أكثر مما هو عليه كما كان وحصل من قبل في إيران أو في الدول العربية. لذلك راحت المخابرات تلعب دوراً بارزاً في الحياة العامة لإيران.

وبما أن البحث في عمليات التعاون التي تمت بين المخابرات المركزية الأمريكية والمخابرات الغربية وبين مخابرات الدول العربية ومخابرات الحركة الصهيونية يتطلب بحثاً مطولاً لا مجال للخوض فيه الآن.

لذا نكتفي بتذكير من نسي: أن من أسس فرع المخابرات العامة في إيران والمعروف بـ "السافاك" كانت المخابرات المركزية الأمريكية عام 1947 وهو ما قامت به أيضاً في إسرائيل عام 1948. حيث شكلت فرع المخابرات العامة الإسرائيلية المعروفة بـ "الشاباك" (لاحظوا التشابه بين لفظ الفرعين). ولم يخجلوا يوماً من التصريح بأنهم كانوا يتعاونون مع بعضهم البعض وأنهم كانوا يتجسسون على الجميع ويتبادلون المعلومات حول كل كبيرة وصغيرة. كما لم يخجل حكام إيران من أنهم بعد قيام دولة إسرائيل كانوا يقدمون لها النفط مجاناً وهذا طبعاً ما كان يتنافى ويتناقض مع تطلعات وعقيدة الشعب الإيراني. مما خلق حالة من العداء المستحكم للشعب من النظام ومن الشاه الذي اضطر لتقوية جهاز السافاك أكثر مما جعل إيران تتحول إلى دولة أمنية تحكم الناس بالرعب والخوف. وهذا ما ألب الشعب الإيراني على حكومته وعلى الشاه أكثر مما كان عليه الأمر في فترة ثورة محمد مصدق.

2. التراجع عن بناء المفاعلات النووية السلمية:

في سياق عملية تحسين صورة نظام الشاه في أعين الشعب بعد أن أعادته أمريكا للحكم. سعى للبدء ببناء مشاريع نووية للأغراض السلمية، تعوض إيران عن النفط القابل للنفاذ (وهو تفكير بدأ ينتشر في كثير من بلدان العالم حتى العربي وتحديداً في مصر تحت شعار الذرة من أجل السلام) لذلك عملت الإدارة الأمريكية عام 1957 إلى مراعاته والموافقة على مشروع يهدف إلى بناء خمس مفاعلات نووية للأغراض السلمية. لكن على ما يبدو كما أشار لذلك وليم إنغدال في كتابه مئة عام من الحرب. فإن شركات النفط العالمية خاصة الأمريكية وجدت في ذلك التوجه خطراً على مصالحها لذلك وقفت ضده، متذرعة بأن ذلك سوف يؤدي إلى تناقص تبعية الدول لأمريكا والميل نحو الاستقلال أكثر، وهو ما سيجعل إيران تقلل من اعتماد ها على النفط ويمكنها من الاستفادة من عائداته لتطوير اقتصاداتها واستقلالها الاقتصادي والسياسي. بدليل أن أمريكا راحت تماطل. لذلك ظلت كما الآن تناور مما جعل الشاه يبرم اتفاقيات مع كلاً

من فرنسا وألمانيا والسويد تم البدء عام 1973 ببناء خمس مفاعلات نووية. وكان من المقرر أن تبدأ بالعمل عام 1983. لكن بما أسعار النفط بعد حرب تشرين بدأت بالارتفاع منذ عام 1974 (عشر أضعاف). فلقد وجد الشاه في ذلك ذريعة للتوقف عن المشروع بسبب حصول إيران على عوائد مالية كبيرة مكنته من الحصول على فائض نقدي لكنه بدلاً من أن يصرفه في تطوير اقتصاد بلده ورفاه شعبه. راح يصرفه في البذخ والترف ومشاريع عسكرية وفي تقوية نفوذ الطبقة البرجوازية وأجهزته الأمنية وقواته المسلحة. وهذا ما فاقم الفوارق الطبقية ومن معاناة الشعب الفقير أكثر. وجعل النخب الثورية تشكك في كون النظام يعمل لمستقبل أفضل لإيران وبأنه يرضخ لأمريكا وهذا ما زاد من نقمة الشعب على الشاه.

3. رفض استخدام إيران ضد ثورات التحرر الوطني والثورة العالمية:

بما أن الشاه راح مع بداية عام 1961 يعمل بناء على أوامر أمريكا على جعل إيران قوة إقليمية قوية وفاعلة، لمواجهة قوى الثورة في المنطقة والعالم. فراحت تمده بأسلحة متطورة وحديثة تمكنه من الهيمنة على الشرق الأوسط كله. وفي ذات الوقت تمكنه من تدعيم مواقعه السياسية في بلده وقمع المعارضة التي بدأت في التنامي أكثر نتيجة لإفقار الشعب نتيجة للتسلح. وبعد ارتفاع أسعار النفط عام 1974 ازدادت أكثر. لكن الشاه تجاهل مطالب الشعب وراح يقوي جيشه حتى أصبح عام 1976 خامس جيش في العالم من حيث القوة والتسليح. ليصبح بذلك (حسب تحليلات العسكريين) شرطي المنطقة بلا منازع، حيث امتلك طائرات حديثة وحوامات يطال مداها دائرة نصف قطرها ثلاثة آلاف كم. (وهو ما يسعى له حكام إيران حالياً).

4. النقمة على تردي الوضع المعيشي:

بالرغم من كل المشاريع الصناعية الكبيرة (مثل صناعة السيارات) والتحويلية أو التصديرية الكثيرة لكن الصغيرة والتي قام بها النظام البهلوي.

ومع أن الشاه عاد للحكم بدعم من رجال الدين وقبول ورضى قوات الجيش والأمن عام 1953. وقام بإجراء إصلاحات على نظام الحكم كي تنهض بالبلد وترضي الشعب. وتحسن سمعته. لكنه بذلك خسر تأييد كثير من رجال الدين المرتبطين بالتجار وملاك الأراضي الذين دعموه ليعود للحكم. حيث قام بتأميم بعض الشركات الأجنبية الصغيرة وأنشئ صناعات وطنية وقام بإصلاح زراعي تم فيه توزيع أراضي الإقطاعيين على الفلاحين. ولهذا وقف أغلب رجال الدين ضده (كما حصل أيضاً في سوريا ومصر في ذات الفترة ومن هؤلاء كان الخميني). لكن على خلاف مما جرى في مصر وسوريا (حيث جرى البطش بالإخوان المسلمين) لم يحسم الشاه أمره من القوى الدينية والرجعية والاقطاعية، فلم يبطش بها كما فعل النظامين المصري والسوري والعراقي. لأنها شكلت له في السابق ولا تزال تشكل السند الرئيسي لإخضاع الشعب. لذلك سمح للمرجعية في قم لأن تبقى على يساره طوال الوقت (والجيش وقوات الأمن على يمينه والتجار وملاك الأراضي من خلفه) لتعينه في حكم الناس الفقراء أو لتروعهم أو تقنعهم باسم الله. لهذا تمكن من الإمساك بالحكم فترة طويلة. حيث بقيت القوى الدينية ناشطة في إيران وظلت تتمتع بنفوذ شعبي كبير على الضد من الدول العربية الثورجية حيث تراجع دور القوى الإسلامية في كل من مصر وسوريا والعراق في حين تصاعد نجم القوى القومية والعسكر بسبب الصراع مع إسرائيل. ولذلك ظلت إيران تنوس بين التوجهين الاقطاعي القديم المدعوم من قبل رجال الدين. (القابعين في قم) والتوجه البرجوازي الحديث المدعوم من الشاه والتجار والعسكر والغرب. ومع أن الشاه كان ميالاً للتحديث على أسس الليبرالية تيمنا بما قام به أتاتورك في

تركيا. ومع ذلك ظل كثير من الملالي (خاصة الشيرازيين والبهائيين) يقدمون التغطية السياسية له ولتبرير أعماله وترقيعها حيث كانوا يركزون على الطقوس والمناسبات الدينية (عاشوراء والاربعينيات والتطبير واللطم والبكاء والندب و.. إلخ. بذريعة أن لا علاقة للدين بالسياسة. لذلك وقع في صدام مع كثير من ملالي قم (وهو مفصل في كتاب اتجاهات الفكر الديني المعاصر في إيران)، وخاصة تلك التي كانت تؤمن بأنه لا يمكن الفصل بين الدين والسياسة كما هو الحال في النظام العلماني الذي يؤمن به الشاه. ومن ثم وقع الشاه في صدام مع ملالي قم الأكثر تشددا، والذين اتضح أنهم متمسكين بالنظام الاقطاعي والعبودي القديم أكثر من تمسكهم بالإسلام ويعارضون التحديث والحداثة بزعم انها تقليد وتبعية للغرب الاستعماري. فحصل تناقض في الرؤى بينه وبينهم حيث كانوا يعتبرون الليبرالية والعلمانية كالشيوعية تتنافى مع الإسلام وتلغي دور الدين ودور رجاله في حياة الناس العامة. ومن هؤلاء كان الخميني من أشد المعارضين لحكمه. وبما أن التبعية للسياسة الأمريكية قادت الشاه أيضاً إلى زيادة شراء الأسلحة التي لم تكن إلا لمصلحة أمريكا. والتي لم يكن الشعب الإيراني بحاجة لها. فكان من الطبيعي أن تؤدي إلى إفقار البلاد والشعب وزيادة الفوارق الطبقية بين الناس داخل المدن مع إهمال واسع للريف وزياد فقر العمال والفلاحين إضافة إلى استشراء الفساد. فكان لابد لهذه الفئات الواسعة من أن تغضب وتثور على النظام. أكثر مما كانت قبل ربع قرن.

5. رفض فكرة حكم الحزب الواحد:

سعى الشاه كما فعل كلاً من النظامين السوري والعراقي فرض نظام الحزب الواحد. فشكل حزبا سماه "حزب البعث" الإيراني. تيمنا بحزب البعث العربي في سوريا والعراق. (تيمنا بفكر حزب البعث الإيطالي الفاشي). وبالأسلوب ذاته بما يتيح للزعيم الأوحد فرض ما يريد على الحزب الواحد ومن على الشعب، ثم للانفراد والاستحواذ على جميع مفاصل السلطة وبالتالي بما يمكنه من إقصاء الأحزاب والشخصيات الوطنية الأخرى.

لكن هذا الأمر لم ينطلي على القوى الشعبية في إيران (غالبية ممثلي العمال والفلاحين والبرجوازيين) كما انطلى على مثيلاتها في مصر وسوريا والعراق وليبيا والجزائر. حيث تشير الوقائع إلى أن القوى الثورية والحزبية في إيران رغم كل ذلك تمكنت من الصمود والبقاء والاحتفاظ بشخصيتها ومن بناء جبهات وطنية حقيقية وليس شكلية وملحقة بالحكومة كما حصل في سوريا والعراق. أوكما محقت في مصر والجزائر وليبيا. بل ظلت محافظة على شخصيتها واستقلالها - وهكذا بعد أن استعادت أنفاسها بدأت بالنهوض من جديد وبالتحريض على الثورة على الشاه الذي اعتبرته عميل أمريكا رقم واحد في المنطقة. (ربما لو كان في إيران رئيساً عسكرياً وطنياً أو قومياً كما في سوريا ومصر والعراق وليبيا لما حصل ذلك). وهو ما بدأ في إيران منذ عام 1963 وتكرر عام 1974 من خلال إقامة تحالف جديد خارج النظام أطلقت عليه اسم الجبهة الوطنية الديمقراطية. ضمت قوى يسارية وعلمانية تمثل أربع وعشرين حزبا من أبرزها حزب التجمع الوطني الديمقراطي (حزب مصدق القديم) وحزب خلق العلماني، وحزب فدائيي الشعب الإيراني اليساري، وحزب تودة (الحزب الشيوعي).. إلخ. ونذكر هنا أن أغلب ملالي قم (المرجعيات الدينية الشيعة) والتي لم يكن يجمعها حزب، بل كانت تلتف حول مرجعيات متعددة (حيث برزت مرجعيات كثيرة وآيات لله كثر بولاءات شخصية وعقدية أكثر منها سياسية). لذلك تمكن الشاه من احتوائها بسهولة وجعلها تدافع عنه وعن سياسته وتشكل له دعامة سياسية وأيديولوجية لحكمه طيلة الخمس وعشرون سنة التالية. باستثناء الخميني الذي خرج عن المرجعية الشيعية، وقاد منذ عام 1964 تياراً إسلامياً اتخذ موقفاً جذرياً معادياً لكل من الشاه من جهة ولليسار وللعلمانيين من جهة ثانية. وهذا ما ميزه عن بقية المرجعيات المؤيدة للشاه أو

المعادية له. ومن هنا اكتسب شعبية خاصة. لكن بالرغم من معاداته لليسار فإن هذا لم يشفع له عند الشاه فقام بطرده من إيران. وسمح له بالذهاب (أو صدَّره) إلى النجف ومن ثم انتقل إلى تركيا ليهاجر بعدها ويستقر منذ عام 1965 في فرنسا. وهذا ما خلق معارضة دينية كبيرة للشاه أضيفت للمعارضة اليسارية. لكن بما أن إيران كانت مثل غيرها من الدول الاسلامية والعربية تتأثر بالفكر اليساري أكثر من الديني في فترة صعود حركات التحرر الوطني ذات الطابع اليساري. ونتيجة لغياب الخميني في فرنسا من عام 1964 إلى عام 1977 فلقد أصبح منسياً في عموم إيران (مجرد لاجئ سياسي في فرنسا)، وملفوظا من أغلب المرجعيات الشيعية.

إرهاصات الثورة الإيرانية الحديثة :

مع أن الشاه قام باستبعاد كثير من القوى والشخصيات الوطنية واليسارية التي شاركت في ثورة "مصدق" ومنعها من القيام بأي نشاط سياسي علني. وعلى الرغم من سجن واعتقال أو هروب أغلب قادة تلك الثورة إلا أن جذوتها ظلت تغلي في الأعماق، حيث تبنتها قوى وأحزاب عديدة (وبرزت أحزاب جديدة مناهضة (وصل عددها عام 1975 ثلاثين حزبا). راحت تدعوا وتعمل على إسقاط نظام الشاه. وكان في مقدمتها حزب النهضة الذي قاده "علي شريعتي". كونه كان يجمع أو يتقن الجمع بين الدين وبين العلمانية والتقدم لذلك بات من أنشط القوى الثورية الدينية في إيران (على عكس الخميني الهارب). وبما أن "شريعتي" سجن وأُبعد أكثر من مرة، وبما أنه كان يجمع بين العلمانية والماركسية والدين لذلك كان مقبولا لدى فئات واسعة من الشعب الإيراني الثوري. كما كان الحال مع "موسى الصدر" في لبنان. في حين وقف الشيوعيين (ممثلين بحزب تودة الذي كان يتلقى أوامره من موسكو) والملالي على الحياد. كما وقف بعضهم مع الشاه بما فيهم الخميني. وهذا ليس افتراءً بل استنادا لما قاله صديقه "أبو الحسن بني الصدر" في مقابلة أجراها معه خالد الرشد على محطة روسيا اليوم. "من أن الخميني أرسل عام 1963 إلى الشاه رسالة" يدعوا فيها ربه أن لا تقوم أو تنجح الثورة في إيران "كونها ستكون ثورة يسارية ديمقراطية".

ومع أن الغليان الشعبي بدأ يتصاعد بدءاً من عام 1971 (العيد 2500 للإمبراطورية الفارسية بسبب عمليات البذخ المفرط والزائد عن الحد والذي قام به الشاه) لكنه راح منذ عام 1975 بعد هزيمة أمريكا في فيتنام يتصاعد أكثر، وراحت إيران تدخل في مرحلة جديدة من الغليان الثوري العميق والرفض الشعبي الجدي للشاه والملكية، ولأمريكا والغرب وللرأسمالية أكثر مما حصل عام 1952. ومما حصل في سوريا ومصر والعراق.

ومن المؤكد أن المخابرات والمنظرين الغربيين أدركوا أنه فيما لو سقط الشاه تحت ضغط الشارع الوطني وقيادة الجبهة الوطنية الديمقراطية، فإن إيران ستصبح بؤرة ثورية في المنطقة كلها. لذا كان لابد لأمريكا من أن تغير طريقة تعاملها مما كان يجري في إيران. فوجدت (كما تشير الوقائع التي سنأتي على عرضها) أنه لابد من احتواء تلك الثورة أو حرفها عن مسارها الصحيح. كما فعلت سابقاً وتفعل اليوم مع أغلب الثورات التحررية في العالم.

لذا أجد أن من المفيد لنا قبل أن نغرق في تحليل ما جرى أن نتعرف على ما جرى عام 1953 في إيران. لنعرف كيف استخدمت رجال الدين لإسقاط حكم مصدق وإعادة الشاه. ولنعرف لماذا لم تفعل ذلك في مصر (التي اسقطت الملك فاروق) أو غيرها من الدول العربية؟ ولمَ لم تعيد الملك فاروق للحكم

مع أهمية مصر وموقعها في العالم خاصة العربي؟ مع أن إعادة الشاه لحكم إيران أوقعتها في مشكلة دائمة مع الشعب الإيراني استمرت سنوات طويلة هبات وثورات.

لماذا مانعت تسلم الوطنيين والقوميين الإيرانيين الحكم في إيران سواء عام 1952 أو عام 1979 كما فعلت في مصر وسوريا. بينما سلمته للشاه عام 1953وعام 1980 لملالي قم في إيران؟ هل لأنهم كانوا ومازالوا أضمن وأوثق ويعتمد عليهم أكثر من الاخوان المسلمين في سوريا ومصر ومن النظم القومية؟ هل لأن إيران أهم من مصر وسوريا في الاستراتيجية الغربية؟ أم لأن الأنظمة العربية العلمانية (القومجية)! محتواه من الداخل؟

ولماذا سمحت للإسلاميين الشيعة المتشددين حكم إيران - مع أنهم كانوا ومازالوا يعلنون معاداتهم للغرب وأمريكا ويعتبرونها بمثابة الشيطان الأكبر وسبب كل الشرور في العالم بينما تمانع حكم الإسلاميين السنة في الدول العربية؟

ألا يشير هذا إلى أن الإدارة الأمريكية كما كانت ترى وجدت أن تسليم الحكم في إيران للقوى الدينية اليمينة كما كان مأمونا أكثر وأضمن مازال أضمن من تسليمه للقوى القومية والوطنية الإيرانية، كما فعلت في مصر وسوريا والعراق والجزائر وليبيا واليمن سابقاً؟

وهنا تبرز أمامنا عدة أسئلة:

لماذا سمحت أمريكا للاتجاه الأكثر تشددا من الناحية الدينية والأكثر معاداة لها (على الأقل بالكلام) من الوصول والسيطرة على الحكم في إيران ذات الأهمية الاستراتيجية للغرب وأمريكا وإسرائيل ولم تترك المجال للقوى الدينية المعتدلة أو القوى العلمانية تسلم الحكم؟

هل كان من الممكن لأمريكا والغرب وإسرائيل التخلي عن موقع إيران وأهميتها الكبيرة بكل هذه البساطة للقوى الدينية المتشددة؟

هل كانت هذه القوى الدينية ثورية جداً وقوية جداً واستقلالية أكثر من القوى الدينية المعتدلة والعلمانية والديمقراطية واليسارية؟

هل تسلموا الحكم لأنهم كانوا معادين للغرب وأمريكا وإسرائيل أكثر من بقية القوى الوطنية في إيران أو في البلدان العربية كما تصور محمد حسنين هيكل أو أدونيس أو منظري المقاومة الفلسطينية؟ أم لأن رجال الدين المتشددين في إيران أقوى من المعتدلين؟ أم لأن أمريكا أرادت ذلك؟

لأن سيطرتهم على إيران تخدم السياسة الجديدة لأمريكا والغرب في مرحلة المواجهة مع ثورات التحرر الوطني والقومي العالمية. أكثر مما كان عليه الوضع عام 1953؟ ولأن رجال الدين كما كانوا عبر تاريخ إيران الطويل مازالوا يشكلون الغطاء المناسب للتحكم بالشعب وقهره واستعباده .

من المؤكد أن المخابرات المركزية كانت تعلم علم اليقين أن الملالي وحماتهم من تجار البازار وكبار ضباط الجيش لا يمكن أن يخرجوا عن الإطار العام للسياسة الإمبريالية المضادة للشعوب وحركاتها الثورية؟ وأن هؤلاء الحكام سيشكلون مع الرجعية العربية والباكستانية والأفغانية والأنظمة الاستبدادية في سوريا ومصر والعراق وليبيا قوة مناهضة لحركات التحرر الوطني والقومي والاجتماعي والحركات المطالبة بالحرية والديمقراطية في بلدانها وفي العالم؟ بما يخدم النظام الإمبريالي أكثر في مرحلة المواجهة الحاسمة مع السوفييت؟

والدليل على ذلك هو ان تسلم رجال الدين لحكم إيران جاء في سياق وظل تراجع حركات التحرر وصعود الثورة المضادة التي قادتها أمريكا وبريطانيا وإسرائيل في جميع أنحاء العالم في السبعينات لسحق التحركات الوطنية والقومية واليسارية وشطبها من التاريخ؟ (كما قال ريغن يومها عن نيته "إلقاء الشيوعية في مزبلة التاريخ").

وبما أن البحث الموسع والشامل فيما جرى في داخل إيران وحدها (حسب ما أرى) لا يقدم إجابة شاملة عما حصل فيها إلا من خلال الربط بين ما جرى في ذات الوقت في أفغانستان ولما كان يجري في بلادنا من تحولات متتابعة أدت عام 1991 إلى إسقاط المعسكر الاشتراكي.

ولأن مثل هذا البحث ضروري لنا نحن كعرب، من الناحيتين المعرفية والسياسية (باعتبار عدم الربط بين الأحداث يشكل خطأً منهجياً كبيراً). ولأن تلك المعرفة تمكننا من الوصول إلى إجابة ومعرفة صحيحة بما جرى ويجري فيها وفي بلادنا وفي العالم منذ ذلك التاريخ وحتى اليوم. كما سيقدم لنا خلفية فكرية وسياسية لما يجب علينا فعله كعرب لتجاوز كل ما ألم بنا من سلبيات ونكبات منذ قيام ما سميت ثورة إسلامية في إيران وحتى اليوم.

الباب الثاني

ماذا جرى في إيران؟

إشكاليات وضع إيران في التاريخ المعاصر

لحظة تاريخية مميزة:

لم تكن علاقة إيران بالعرب بعد انفصالهم عن الدولة العثمانية عام وخضوعهم للاستعمار الغربي 1918 تعني الشعوب والنخب العربية أكثر مما تعنيهم الباكستان وأفغانستان. ولم يكن يعنيهم كثيراً من يحكمها أو ما كان يجرى فيها، حتى بعد أن انضمت لحلف بغداد عام 1955. مع أن الحكومات والأحزاب الوطنية واعتبرتها دولة عميلة للغرب ودولة معادية للعرب وقطعت معها العلاقات الدبلوماسية وحتى التجارية. وظل الأمر كذلك حتى عام 1980 حيث اختلف الموقف منها بصورة جذرية بعد ظهور ما أطلق عليها جمهورية إسلامية. حيث شكل ظهورها هزة عنيفة في الشرقين الأدنى والأوسط والعالم لا تقل عن الهزة التي احدثتها الثورة الاشتراكية في روسيا. فكان لابد أن يؤثر ظهورها كدولة إسلامية ثورية معادية للغرب والصهيونية ومن أن تنعكس علينا كعرب ومسلمين ايجابيا. خاصة بعد أن فقدت تركيا والباكستان ومصر، تأثيرها القديم على الدول المجاورة لها.

ولما راحت تطرح نفسها كقوة تغييرية في المنطقة فلقد بدأت مواقف النخب والقيادات والشعوب العربية منها تتباين ومن ثم اختلفت بل وتضاربت. لهذا كان لابد من اتخاذ موقف صحيح منها استناداً لدراسة وبحث علمي وموضوعي لما جرى وحصل في إيران بدقة. لكن مثل ذلك الأمر لم يحصل فظلت العلاقات معها والموقف منها ملتبساً.

وبما أن الوضع الداخلي في إيران كجارة مسلمة وسيرها في هذا الاتجاه أو ذاك لا يبد من أن يؤثر علينا. وكان مطلوباً اتخاذ موقف منها بناء على ما كان يجري داخلها وليس بناء على ما تطرحه من شعارات أو تصدره لنا.

وهنا تباينت الدراسات والمواقف وتباعدت استناداً للمواقف الإيديولوجية المسبقة وليس المستندة على الوقائع. وهو ما يتطلب من اليوم إعادة النظر في تلك المواقف والتحليلات بناء على ما تم الحصول عليه من معلومات جديدة وأكثر دقة وتعمقا في التفاصيل التي مرت بها الثورة. مما بات يتيح لنا تقديم رؤية

أكثر دقة. واستنادا لذلك يمكن أن نقسم ما جرى في إيران إلى ست مراحل.

1: مرحلة إرهاصات الثورة الشعبية. أو خلفيات الثورة الشعبية، وهي تتضمن كل ما جرى قبل عام 1975.

2: مرحلة الثورة الوطنية الديمقراطية التي أدت مغادرة الشاه لإيران عام 1979.

3: مرحلة إعلان قيام جمهورية إسلامية في إيران عام 1980. والقضاء على القوى الوطنية والديمقراطية في إيران.

4: مرحلة تصدير الثورة للقضاء على القوى الوطنية في العراق من عام 1980 إلى عام 1988.

5: تحول إيران إلى قوة إقليمية مؤثرة خاصة بعد احتلال أمريكا للعراق عام 2003.

6: مرحلة تحول إيران إلى قوة إقليمية للعدوان على الشعوب والحركات الوطنية والتوسع في البلدان العربية وحتى اليوم.

مع الإشارة إلى أننا من الناحية التحليلية لن نقيم فصلاً بين مرحلة وأخرى لإن تلك المراحل من الناحية الموضوعية متداخلة وكان الإعداد لكل مرحلة يتم في خضم المرحلة التي سبقتها.

أعتقد أننا بناء على تقييم وتحليل ما جرى داخل إيران وما قامت به لشعبها يمكن لنا بعد ذلك أن نطلق حكماً سليماً أو أقرب إلى الصحة عن موقفها من الدول والشعوب المجاورة لها. ونستطيع على ضوء ذلك أن نحكم فيما إذا كان ما جرى في الداخل والخارج قد جاء في سياق الثورة العالمية أم في سياق الردة والثورة المضادة التي كانت يقودها اليمين المسيحي المتصهين في بريطانيا وأمريكا والعالم.

الفصل الأول:

الوضع الثوري في إيران قبل عام 1975

خلفيات الثورة الوطنية وجذور النزعة الاستقلالية:

لا يكفي التاريخ الإمبراطوري للفرس لتفسير النزعة الاستقلالية للشعب الإيراني ووقوفه مع الثورة الوطنية الديمقراطية التي دعت لها نخب الحركة الوطنية في إيران. بل لابد من أخذ النزعة التوسعية القديمة للفرس بعين الاعتبار وحرص حكامها الدائم على مراعاة تطلعات الشعب الإيراني والتجاوب معها.

وكما تبين فإن جميع الأسر التي حكمت إيران (وبغض النظر عن أصولها) كانت تغذي هذه النزعة وتتماشى مع مطالب الشعب للحصول مكانة خاصة. وهذا يفترض أن يبدأ من العمل على استقلال إيران كمقدمة لإعادة الاعتبار لإيران وإحياء النزعة الإمبراطورية. وهو ما لم يحصل في أغلب دول العالم الثالث. حيث كما بينا فإن الشاه أحمد القاجاري والشاه رضا بهلوي تصادما مع الانكليز لرفضهما الاحتلال وميلهما للاستقلال التام وهو ما جعل بريطانيا تزيحهما عن الحكم.

وما يؤكد على قوة النزعة الاستقلالية هو أن بريطانيا العظمى أرسلت إلى إيران 400 ألف جندي لتركيع الشعب والحكومة. أي أكثر مما أرسلت إلى القارة الهندية بضعفين. ولم تتمكن من الدخول للهضبة الإيرانية واكتفت بالتواجد على سواحل إيران الجنوبية فقط، لتأمين طرق الوصول إلى درة تاجها في الهند، ومن ثم إلى الصين. وكذلك اكتفى الروس باحتلال المنطقة الشمالية الحاوية على النفط في أذربيجان. واضطرت الدولتان القويتان ترك داخل ووسط وشرق إيران للإيرانيين بسبب صعوبة الوصول ولوجود مقاومة شرسة للاحتلال.

مع التذكير بأن العرب وحدهم باسم الاسلام هم الوحيدين الذي تمكنوا من الدخول للعمق الإيراني و حكم كافة بلاد فارس (ولعل في هذا يكمن سر حقدهم على العرب).

وهذا ما أتاح للفرس عبر التاريخ بقاء حيز واسع من الأرض يمارسون فيه حريتهم وميلاً عاماً للحرية والاستقلال السياسي وعزز لديهم الشعور بالعزة القومية التي كانوا يملكونها تاريخيا، وميلاً عاماً لاستعادة ما سلب منهم، والعمل على استعادة حقوقهم الاقتصادية وبخاصة النفط والتمتع بموقع بلادهم وخيراته. وأنا اعتقد أن الشاه محمد رغم أن الانكليز جاؤوا به بدلا من والده كونه راح يتحالف مع الألمان. وأن هذا الميل للاستقلال كان وراء سقوطه عام 1952. ومع أن الأمريكان أعادوه للحكم لكنه بدأ ينسج علاقات تجارية وصناعية مع أوروبا ويطالب برفع أسعار النفط.

الوضع الثوري في إيران:

ومع ذلك فلقد نشأت أحزاب وطنية يسارية وثورية كثيرة لم تظهر في بلدان أخرى تطالب بمزيد من الاستقلال والسيادة. بدليل أننا رحنا نشهد مع بداية السبعينات ظهور جبهة وطنية راحت تدعوا للسيطرة على خيرات بلادها واسقاط الشاه وتحويل إيران إلى جمهورية ديمقراطية. كما حصل أيام حكومة "محمد مصدق" عام 1949. حيث عملت حكومته على استعادة ملكية الشركات الأجنبية وبخاصة شركة النفط البريطانية الإيرانية. وبناء صناعة وطنية وتحسين وضع الجماهير الفقيرة. كما فعل عبد الناصر في مصر عام 1956 مع شركة قناة السويس. مع التذكير بأن أحدا في إيران حتى الملالي المتشددين لم يفكروا يومها أو يخططوا لإزاحة الشاه او لإقامة دولة او حكومة إسلامية كما فعل الإخوان المسلمين في سوريا ومصر الذين وقفوا ضد التأميم والإصلاح الزراعي. بينما لم يحدث ذلك في إيران إلا بعد عام 1963 ومن قبل رجال الدين المتشددين مثل الخميني.

وبما أن حكومة محمد مصدق الوطنية كانت ثورية أكثر من الحكومات العربية كان مدعوماً بجبهة وطنية عريضة كان للشيوعيين أو للماركسيين فيها نصيب كبير (وهو ما لم يكن موجودا في مصر وسوريا مع زعمهما تبني الاشتراكية). وبما أن حكومة الولايات المتحدة الأمريكية كانت تعرف أن حكومة مصدق ستشكل تهديداً وخطراً على مصالحها ومصالح الغرب كله، إذا ما استقلت أكثر ومالت لجهة السوفييت. لذلك قررت إسقاطها فوراً، من خلال عملية مشتركة أطلق عليها مصطلح "أجاكس".[2]

دور رجال الدين في لجم وكبح الثورة:

بما أنه كان لرجال الدين الإيرانيين دور مهم في التغطية على قوات الأمن والجيش عام 1953 للقيام بانقلاب ضد مصدق باعتبار أنه يساري ومتحالف مع الشيوعيين. لذلك سعت أمريكا إلى استخدامهم ثانية عام 1975 عندما نشبت الثورة بقيادة الجبهة الوطنية الديمقراطية. وكان لابد من إقناع الملالي المشاركة في المظاهرات كيلا يتسلم الشيوعيين السلطة. وهو ما استفادت منه الجبهة الوطنية الديمقراطية في إيران ووسع من دائرة الغضب الشعبي ضد الشاه - وهو ما أجبره على إنزال الجيش والشرطة والمخابرات إلى الشوارع لاعتقال كل من هو مع الثورة. وبما أن امريكا أدركت أن سقوط الشاه بات حتمياً فكان لابد من أن تبدو عملية اسقاطه مطلوبة من رجال الدين وليس من اليساريين والوطنيين. وكما لو كان الشعب الإيراني المسلم والمؤمن هو الذي تحرك لإسقاط الشاه العلماني كما فعلوا مع حكومة محمد مصدق اليساري.

نستبق الأمور لنذكر (كما ارى وكما لمح لذلك محمد حسنين هيكل) بأن دور الشاه كان قد انتهى بالنسبة لأمريكا منذ عام 1971 منذ أن راح يسعى أن يجعل من إيران دولة قوية ومستقلة تستعيد أمجادها الامبراطورية وحيث راح يتحالف مع أوروبا ويمتن علاقاته التجارية والاقتصادية معها.

فهي إن لم تكن تخطط او تفكر بإسقاطه (لأن البديل سيكون التيار الوطني الديمقراطي وهو ما لا تريده) لذلك فهي لم تكن راضية عن قيادة الجبهة وكانت لذلك تبحث عن بديل من خارج القوى الوطنية واليسارية. وبما أنه لم يكن في إيران سوى قوتين معارضتين لحكم الشاه. اليساريين والوطنيين من جهة والاسلاميين من جهة أخرى، فلقد وجد الأمريكان أن تسليم الحكم للإسلاميين في حال أ سقط الشاه في

---

[2] ()أجاكس وهو الاسم الرمزي للعملية التي قامت بها كل من المخابرات المركزية الأمريكية بالتعاون مع المخابرات البريطانية والإيرانية (السافاك) لإسقاط حكومة محمد مصدق. وهي التي كتب عنها بالتفصيل "مايلز كوبلاند" في كتابه "لعبة الأمم".

الشارع. هو أفضل لهم والأوربيين وللجيش والتجار. وهذا ما أدركه الشيرازيين الذين كانوا يمسكون بمفاصل الدولة العميقة في إيران فراحوا يروجون لحكم إسلامي يكون بديلا عن حكم الشاه اللبرالي. ومع ذلك لم يكونوا يرون أن الخميني المنسي يمكن أن يشكل بديلا عن الشاه. بل كانوا يرفضونه.

وهو ما عبر عنه أفضل تعبير أية الله محمد مهدي الشيرازي بعد تسلم الخميني الحكم بقوله: من أن ما جرى في إيران كانت عملية تسليم واستلام من ديكتاتور ل آخر. حيث تساءل كما قال "بدر إبراهيم "في مقال كتبه بعنوان "تسييس المذهب ومذهبة السياسة": "هل كانت غاية الثورة استبدال دكتاتور يلبس عمامة عوضا عن دكتاتور يلبس قبعة"؟

بما يفهم منه أن نتيجة ما جرى عام 1979 في إيران جاء على العكس تماما مما كان الشعب وقواه الوطنية والثورية يسعون له عام 1975.

وهذا طبعاً كان يتطلب بحثاً معمقاً لتفسير ما جرى وهذا التحول. وتفسير لماذا لم يقدم أحدا تفسيرا معمقا وشاملا ودقيقا لما جرى في إيران عام 1979.وهو ما سوف نسعى له من خلال ما يلي:

من المؤكد أن الغليان الشعبي في إيران بدأ يتصاعد بعد عام 1971 (بعد احتفال الشاه بالعيد 2500 للإمبراطورية الفارسية). وبعد هزيمة أمريكا في فيتنام عام 1975 راح يتصاعد أكثر، وراحت إيران تدخل في مرحلة جديدة من الغليان الثوري العميق والرفض الشعبي الشامل للشاه وأمريكا والغرب أكثر مما حصل في ثورة عام 1952.

ومن المؤكد أن الدول الغربية أدركت أنه فيما لو سقط الشاه هذه المرة تحت ضغط الشارع الوطني فإن إيران ستصبح بؤرة ثورية عميقة الجذور في المنطقة كلها. مما ستؤثر على الدول المجاورة لها والتابعة والموالية للغرب وأمريكا وبخاصة على الدول المصدرة للنفط والغاز وعلى طرق التجارة خاصة المارة في الخليج العربي وقناة السويس وباب المندب وعلى أسواقها في هذه البلدان. لذا كان لابد لأمريكا التي كانت تقود المعسكر الغربي من أن تعمل على احتواء تلك الثورة أو حرفها عن مسارها الصحيح أو ضربها والبطش بها. وإلا سوف يشكل ذلك بداية لتخلخل النظام الإمبريالي ونقطة تحول في الصراع بين الرأسمالية والاشتراكية وبين الشرق والغرب. وهذه نقطة مهمة جداً دون رؤيتها سنخطئ في تقييم ما حصل في إيران عام 1978. وهو ما يتطلب توسيع دائرة الرؤية من خلال رؤية.

أولاً: الردة المضادة للثورة العالمية وحركات التحرر:

مع أن أمريكا قبلت بوجود أنظمة وطنية في كثير من دول العالم في فترة صعود الاشتراكية والمد الوطني في العالم إلا أن هذا التوجه بدأ بالتراجع وهو ما تجلى بإسقاط وتغيير النظم الوطنية في كل من مصر والسودان والهند واندونيسيا (سوهارتو) ويوغسلافيا كنظم وحكومات قائدة لدول حركة عدم الانحياز. من خلال فسح المجال للمد الديني والأحزاب الدينية والرجعية المتحالفة مع القوى الموالية للاستعمار في هذه الدول من الصعود لمواجهة المد التحرري القومي والوطني الذي كانت تقوده القوى الوطنية والثورية والتقدمية في هذه الدول، وهو ما تجلى من خلال تسلم كلاً من السادات وسوهارتو وجعفر النميري والقذافي الحكم في بلادهم. بسبب أن الإسلاميين كانوا الأقدر على مواجهة والتصدي للاشتراكية والمد الثوري المتصاعد في بلدانهم. وهذا الأمر لم يكن مطروحاً في إيران والباكستان وأفغانستان لأن الحكومات القائمة فيها كانت قادرة على الامساك بالشارع. لكن بعد هزيمة أمريكا في فيتنام وتصاعد المد الثوري في المنطقة

واهتزت مواقع الحكومات الموالية لها فكان لابد من اتباع ذات الاسلوب العمل على إسقاطها وتظهير وإيصال القوى الاسلامية للحكم في كل من إيران والباكستان وأفغانستان.

وكان من الواضح لأمريكا والغرب أنه إن سقط الشاه في إيران الأكثر ثورية من غيرها فسوف يتسلم اليسار الحكم في إيران. وبالتالي سوف يمتد حكم اليسار ليطال كل من العراق كدولة مجاورة ومن ثم سيصل سوريا ومصر والسودان. ومن ثم سينتقل للباكستان.. إلخ، مما يهدد إسرائيل وكل الدول الرجعية بالسقوط وبالتالي يمهد الطريق لسيطرة السوفييت والاشتراكية. وبما أن خطر سقوط الشاه وتسلم اليسار الحكم في إيران كان سيشكل تهديداً جدياً وقوياً لمصالح أوروبا وأمريكا والقوى الرجعية أكثر من أي دولة أخرى. وهو ما كانت تعرفه واستشعرت به لواقط استشعار كل من إسرائيل والغرب بزعامة أمريكا. كما مخابرات الشاه (وهو ما أكد عليه مايلز كوبلاند في كتابه لعبة الأمم). فوجدوا أنفسهم أمام خيارين، إما مواجهة شاملة وجذرية مع يسار علماني وطني ديمقراطي في إيران (كما في أغلب بلدان العالم الثالث). وإما أن تتحالف مع رجال الدين المعتدلين، أو مع رجال الدين المتشددين الملتفين حول الشاه والمتحالفين مع البرجوازيين والتجار والعسكريين المدافعين عن النظام والإقطاع والرأسمالية.

وأن تعمل في ذات الوقت على النطاق العالمي على محاصرة وإسقاط رأس الأفعى أو المركز ممثلاً بالنظام الاشتراكي والاتحاد السوفيتي، وفي ذات الوقت العمل على ضرب الحركات العمالية في أوروبا وأمريكا واليابان. (أي العمل على إسقاط قوى الثورة العالمية الثلاث).

ثانياً: تدمير الثورة من الداخل:

بما أن اليسار في إيران كان يطالب بالحرية والديمقراطية والسيادة وكانت تتحالف معه نخبة من رجال الدين الشيعة الثوريين وكانت تلتف حولهم غالبية أبناء الشعب الإيراني (حوالي ثلاثين حزباً) شكلوا ما عرف بالجبهة الوطنية الديمقراطية. لذلك وجد الجميع (الشاه والملالي والتجار والعسكر والغرب وأمريكا) أن المواجهة مع اليسار ستكون صعبة ومحفوفة بالمخاطر، لأن اليسار الإيراني استطاع أن يوحد خلفه قوى جماهيرية واسعة وينظمها في جبهة سياسية حقيقية وواسعة. جبهة إن لم تعمل أمريكا على شق صفها ستفلت الأمور من يدها. وبما أن جبهة القوى الوطنية كانت مؤلفة من ثلاث قوى: يسارية ماركسية - وعلمانية ديمقراطية . ودينية معتدلة ومتنورة. لذلك لم يكن أمامها سوى اللجوء لمن هم خارج تلك القوى وهو ما كان يتجسد برجال الدين المتشددين والمتحالفين مع التجار والعسكر وكان لابد من إظهارهم ودعمهم للوصول للحكم.

وبما أن جميع القوى الوطنية كانت تضع إسقاط حكم الشاه هدفا رئيسيا لها. وهذا ما تزايد بعد أن حدث انقلاب شيوعي في أفغانستان. لذلك راحت المخابرات المركزية الأمريكية تخوف الناس وتروج لفكرة تقول لهم أنهم إذا ما تركوا الأمور تسير دون تدخلهم السريع فإن حكم الشاه سوف يسقط ويتسلم الشيوعيين الحكم، (ويسقط الدور الذي تلعبه إيران في السياسة الأمريكية وسط وغرب أسيا وشرق بحر العرب). لذلك باتت فكرة إسقاط الشاه استبداله بقوى دينية فكرة مقبولة وبات البحث عن بديل إسلامي له مهمة رئيسية للمخابرات المركزية.

وبما أن أمريكا كانت تعرف أن اليمين الإيراني المدعوم من المرجعية الشيعية لو تسلم الحكم لن يحل المشكلة لذلك استبعدت عام 1975 هذا الخيار. وبما أن الخيار العسكري الذي اتبعته المخابرات المركزية في تركيا من خلال انقلاب عسكري قاده "كنعان إيمرين" على حزب العدالة والتنمية الإسلامي الذي كان

يقوده نجم الدين اربكان. بذريعة الحفاظ على النظام العلماني الكمالي الذي أرساه مؤسس الدولة "اتاتورك" ومكنه ومكنها من القضاء على الشيوعيين وإبعاد اليساريين والوطنيين. لن ينجح في إيران لأن العلمانيين كانوا متحالفين مع اليساريين والشيوعيين ومشكلين معهم جبهة متحدة وقوية. ليست موجودة في تركيا أو مصر. وبما أن القوى الدينية المعتدلة كانت متوافقة او ميالة للجبهة الوطنية. ولا يمكن الاعتماد عليها.

لهذا أعتقد (بناء على ما أظهرته الوقائع المدونة والمثبتة بالوثائق في كثير من الكتب (المثبتة في فهرس المراجع) والأحداث اللاحقة. من أن الغرب بقيادة أمريكا وجدوا في رجال الدين المتشددين والمعروفين بمعاداتهم للشاه والمتحالفين و المدعومين من الإقطاعيين والتجار والبرجوازية والجيش والأمن والمتعاونين معهم هو الأنسب. وهو ما يؤكد عليه بعض الباحثين أمثال "هوتك نهاوندي". "حيث باتت أمريكا كما يرى "أميل لهذا الخيار بدءاً من عام 1977". ولهذا وجدت في الخميني منذ ذلك الوقت الرجل المناسب أكثر من غيره لقيادة تلك المرحلة كونه كان معروفا بمعاداته للشاه ومطردا من إيران. وأنه يشكل في ذات الوقت الحل والسبيل الأمثل للقضاء على اليسار ومنع تحول إيران إلى دولة ديمقراطية.

ومن المفيد أن نذكر أن رفع شعار إقامة دولة إسلامية لا ولن يغير في بنية الأنظمة التابعة اقتصادياً وأمنياً وعسكرياً للغرب والرأسمالية العالمية ولا يغير بنية النظام القديم القائم على الاستغلال. وطالما أنه لا يؤثر على هيمنة التجار والعسكر ورجال الأمن على الاقتصاد والحكم والبلد. ويبقيها مستوعبة ومحتواه ضمن النظام الإمبريالي. بينما هناك احتمال قوي فيما لو تسلم الحكم العلمانيين المتحالفين مع اليسار أن يجري تغيير في البنية التحتية للدولة ومن ثم ستنتقل للاشتراكية. مما جعل الطرفين (الشاه وتجار البازار والعسكر وقوات السافاك ورجال الدين من جهة، والأمريكان والغربيين ومخابراتهم وعملائهم من جهة ثانية) يرون في تسليم السلطة لرجال الدين المتشددين الحل الأمثل وهو ما يمكنهم من سحق ومواجهة الثورة والثوار والشعب أيضاً باسم الدين.

وبما انه لم يكن يطرح هذا الحل (تسلم الإسلاميين الحكم في إيران وسحق العلمانيين والشيوعيين) غير الخميني منذ عام 1963 وكونه كان الأكثر رجعية من غيره. ولكن كونه كان يقيم في فرنسا، ولا يتبع له سوى قلة من رجال الدين في قم. لذلك وجدت في الشيرازيين الذين يمسكون بزمام الأمور في عهد الشاه (الدولة العميقة) قوة يمكن ان تلعب دور الناصح والموجه عن بعد، دون تسلم الحكم مباشرة أو المشاركة المباشرة فيه وضد أن يتسلم رجل دين أي منصب سياسي لذلك راحت تقنعهم بالخميني كواجهة. وبأنه لن يغير في البنية الداخلية لإيران و التي يسيطر عليها الشيرازيين والتجار والعسكر أو في ارتباطاتهم الخارجية السابقة.

وهكذا كما تبين الوقائع فإن المخابرات الأمريكية بدأت منذ عام 1978 (كما فعلت عام 1953) تعمل بسرعة لتهيئة الظروف المناسبة للقوى الدينية تسلم الحكم. من خلال تجميع كل الملالي المعارضين للشاه والمؤيدين له حول فكرة إقامة حكم يستند للشريعة الإسلامية فقط. وليس حكم إسلامي مباشر أو مطلق كما كان يرى الخميني.

لهذا على ما يرجح كل من نهاوندي وأبو الحسن بني الصدر و"باذرجان": أن الشاه (الأقرب لليبرالية) ارتكب خطأ فاحشا عندما رفض إعادة الخميني لممارسة دوره في المرجعية في إيران عام 1977 عندما اشتدت الثورة وتصاعد المد اليساري. حيث أبدى الخميني يومها استعداده للحضور والدفاع عن الشاه في مواجهة الثورة. وحيث كان يومها يدعوا الناس للوقوف إلى جانب الشاه في مواجهة الثورة اليسارية. وقال

نهاوند "أنه لو فعل (الشاه) ذلك عام 1977 لجنب إيران الدخول في هذا النفق المظلم".

حيث عرض نص رسالة ضمنها في كتابه (الخميني في فرنسا) بعث بها الخميني عام 1977 يطلب فيها من الشاه أن يسمح له بالعودة لمواجهة الثورة. وربما لو عاد في ذلك الوقت لغير مسار الثورة ومسار إيران. لكن بما أن أحدا يومها لم يكن يفكر بالخميني أو بأي دور له. وبما أن أغلب ملالي إيران كانوا إما ثوريين وتقدميين ليبراليين ويساريين أو من التقليديين (الاثنى عشريين والجعفريين) الذين كانوا مقبولين من الشارع المسلم أكثر منه، ولأنهم أيضاً يرفضون تولي الحكم المباشر وبالتالي يرفضون نظرية الولي الفقيه ويفضلون بقاء البنية العلمانية للدولة. لذلك كان أغلبهم يرفضون المشاركة في الثورة. ويقفون إما على الحياد وإما متفرجين على ما يحصل ليقرروا لاحقاً أين يصطفون. لذلك وجدت لواقط استشعار أمريكا أنها لتفكيك الثورة من الداخل عليها (كما بينت الوقائع) أن تبدأ بعزل رجال الدين الثوريين مثل علي شريعتي ومرتضى مطهري المتحالفين مع اليسار الوطني والديمقراطي والمشاركين بالثورة عن سواهم من رجال الدين المعتدلين أمثال بهشتي ورفسنجاني والحسن بني الصدر وإبراهيم يزيدي. ومن ثم يتم عزل القوى اليسارية حيث يسهل البطش بها بعد ذلك. وهو ما تحقق فعلاً.

وكما أظهرت الوقائع بدأت المخابرات المركزية (كما بين نهاوندي) تحرض السافاك على ضرب التيار الشيعي اليساري والديمقراطي أولاً (الذي كان يقوده علي شريعتي وحزب فدائيي الشعب الإيراني وحزب خلق وحركة مجاهدي خلق وهو ما تم وحصل فعلاً (كما سنبين). حيث يصبح من السهل عليها بعد ذلك الانفراد بالتيار العلماني والماركسي (حزب الجبهة الوطنية الديمقراطية وحزب تودة) وضربهما ثانياً. وبعد أن يتم إبعاد اليساريين والديمقراطيين والعلمانيين يمكن تسليم القوى الدينية اليمينية حكم إيران.

أبعاد اغتيال كلاً من علي شريعتي وموسى الصدر:

من المهم تذكير الموالين لإيران بأن كثيراً من الإيرانيين المعادين للشاه والمبعدين من إيران والذين قاتلوا جيش ومخابرات وشرطة الشاه كانوا من الرجال الذين شاركوا في الثورة الفلسطينية في لبنان أو الذين جاؤوا للتدرب في معسكرات فتح والشعبية والديمقراطية. كانوا كلهم من اليساريين. (وحسب معرفتي) في فترة صعود الثورة الإيرانية منذ عام 1976 إلى عام 1978) قد جاؤوا للتدرب في معسكرات فتح والشعبية والديمقراطية وجبهة التحرير.. إلخ، وكانوا كلهم يساريين، ولم يكن منهم واحد ملتحي أو يفكر بثورة إسلامية أو يسمع بالخميني، بل يدعوا ويناضل من أجل الثورة الوطنية اليسارية. مما يؤكد على أن من قاموا بالثورة (عمادها) وجابهوا الجيش والمخابرات الإيرانية وتصدوا لهم وقدموا ارواحهم فداء للثورة، كانوا من الشباب الإيراني الوطني اليساري المتدرب أغلبه في لبنان في معسكرات فلسطينية وطنية وعلمانية ويسارية. وبما أن شريعتي كان صلة الوصل بين هذه القوى وبين القيادات الفلسطينية اليسارية المعادية للشاه والتي كانت تتبنى الكفاح المسلح لإسقاط الأنظمة العميلة. لذلك أعتقد أن هذا الدور الذي لعبه شريعتي كان وراء قرار اغتياله باعتباره أهم زعيم شيعي يساري تبنى الكفاح المسلح. وبما أن الشاه رفض دفنه في بلده في إيران كي يخنق أي تأييد له ولاتجاهه. فاضطر أولاده الموافقة على دفنه في السيدة زينب في دمشق. فكان من الطبيعي لكثير من اليساريين الفلسطينيين والسوريين من المشاركة في جنازته. حيث لم يكن أحداً من المشاركين (وأنا منهم) يشك في أنه اغتيل على يد السافاك (المخابرات الإيرانية) بعلم أو ب تعاون بينها وبين المخابرات البريطانية والأمريكية. على عكس ما روجت له وسائل إعلام إيرانية وعربية وغربية من أنه أصيب بسكتة

قلبية. وهو ما جعلنا كيساريين نتأكد من ذلك هو أن الشاه عندما علم بنية موسى الصدر. الذي كان يحمل الجنسية الإيرانية - المشاركة في جنازة شريعتي وهدده بسحب الجنسية الإيرانية منه. لكن الصدر لم يرتدع بل كان في مقدمة المشيعين، فسحبت منه الجنسية.

وبما أن السيد موسى الصدر قد اختفى في ليبيا (حزيران 1977) بعد فترة من "اغتيال شريعتي". فلقد تأكدنا (نحن الفلسطينيين) من أنه قد اغتيل هو ورفاقه أيضاً - في ليبيا على يد السافاك والسي أي إيه بالتعاون مع المخابرات الليبية وربما الإيطالية. وبما أنه تم بعد ذلك بأقل من سنة، في شباط 1978) اغتيال كلاً من المفكرين الكبيرين "حسين مروة" و"مهدي عامل" زعماء اليسار اللبناني على يد أطراف مجهولة. فهذا معناه أن من اغتالتهما في لبنان هي ذات القوى التي اغتالت شريعتي والصدر. وأن تلك القوى التي ترفع شعار الإسلام كما كانت تعمل في السابق ما تزال تعمل ضمن نفس التوجه العام الذي تقوده الإمبريالية العالمية اليوم.

وبما أن هذ الأمور جرت مع بداية الثورة الإيرانية وفي ذروة احتدام الصراع بين التيارات الشيعية اليسارية وبين التيارات الشيعية اليمينية للهيمنة على الشيعة ليس في إيران ولبنان فحسب بل وفي العراق وسوريا والوطن كله. وبما أن هذه الأمور جرت بالترافق مع تصاعد المد الديني الجهادي السني الداعي لإسقاط وهزيمة السوفييت بعد غزوهم أفغانستان.

وبعد غزو إسرائيل للجنوب عام 1978 وهيمنة كل من حركة أمل وحزب الله في لبنان فلقد تراجع دور المقاومة الفلسطينية والمد الوطني والثوري في لبنان. وبما أن كل هذا وذاك وأمور كثيرة جرت في العالم في تلك الفترة تشير إلى أن كل هذه الأمور جرت في ظل تصاعد المد اليميني في بريطانيا وأمريكا وإسرائيل (تاتشر وريغن وشارون) وفي ذات الوقت بهدف هزيمة السوفييت وحركة التحرر العالمية وحركات التحرر الوطني. فكان لابد للمرء العاقل من أن يربط بين كل هذه الأمور وأن يتوصل لعدة نتائج أهمها:

1: أن عمليات اغتيال الزعامات الوطنية اليسارية جاءت في سياق عملية أوسع جرت على نطاق العالم، وفي بلادنا العربية وفلسطين (اغتيال جماعة أبو نضال أو ما عرفت بفتح الثورة مئات المناضلين الشرفاء) نفذها عملاء مخابرات ضد قيادات ثورية تعد بالمئات وذلك بتوجه من المخابرات الأمريكية والبريطانية والإسرائيلية بالتنسيق أو بالتعاون مع الإيرانية (السافاك) وجماعة صبري البنا الفلسطينية واللبنانية والليبية حيث تم اغتيال أبرز القيادات الوطنية والثورية الفلسطينية والعربية منهم سعوديين وبحرانيين معاديين لإسرائيل وأمريكا (شعراء وكتاب ورسامين أبرزهم ناجي العلي)، بما فيها مرجعيات دينية معتدلة. بما مكن القوى العسكرية الاستبدادية من حكم بلادها. وهذا ما جرى في العراق بعد تسلم صدام حسين السلطة حيث فتح أبواب العراق لأبو نضال وجماعته. في ذات الوقت الذي تسلم فيه كنعان إيفيرين السلطة في تركيا وحسني مبارك السلطة في مصر والتي تميزت جميعها بأبشع عمليات البطش بالقوى الوطنية القومية واليسارية وخاصة الشيوعيين.

2: أن هذه العمليات هي التي مهدت الطريق لصعود اليمين في جميع هذه البلدان والعالم كله بما فيه داخل إيران وإسرائيل (حيث ترافق ظهور الخميني مع ظهور وصعود شارون في إسرائيل وسلطة المخابرات والأمن في العراق وسوريا وليبيا. وأحزاب دينية في الباكستان واندونيسيا ومصر.. إلخ. مما شجع السادات على توقيع اتفاق السلام مع إسرائيل علناً في واشنطن ما يشير لوجود مدير ومدبر واحد لجميع هؤلاء الحكام. ومن بعد ذلك بدأت القوى الوطنية والثورية العربية تمنى بخسائر فادحة وتتراجع على المستويات

كافة، وبخاصة المقاومة الفلسطينية في لبنان حيث راح الموقف العربي الوطني العام بعد ذلك يتراجع عن قضاياه الوطنية وعن اعتبار القضية الفلسطينية قضية مركزية.

3: بأن هذا الوضع الدولي والإقليمي اليميني أدى إلى تقبل إبعاد المقاومة الفلسطينية لشمال الليطاني ومعها اليسار اللبناني. مما مهد الطريق لصعود كل من حركة أمل وحزب الله في الجنوب بدلاً منها وبالتالي في كل لبنان في الوقت الذي تصاعد فيه نجم القاعدة والجهاديين العرب في أفغانستان والوطن العربي والخمينية في إيران. مما أدى إلى محاصرة المد الثوري والاتحاد السوفيتي اللذان كان لابد من أن يسقطا.

4: لأن بحثنا يتركز على إيران فلابد لنا من أن نربط بين سعى الشاه والسافاك المخابرات الدولية في هذه الفترة. وأن نربط بين الانتقال من عملية إجهاض الحركة الثورية العالمية وبين عملية ضربها وسحقها في إيران، ومن أن نؤكد على أن هذا كان يتطلب بداية (أكل الثور الأحمر أولاً) ضرب القوى اليسارية وعلى الخصوص الشيعية ومن ثم الانقضاض على المعتدلة.

5: في هذا السياق لا يمكن للمخابرات الدولية والسافاك إلا أن تكون على دراية ومعرفة بأن ذلك يتطلب في ذات الوقت البحث عن وتجهيز وتلميع البديل المناسب لها عوضا عن نظام الشاه الساقط. والسؤال الذي يطرح نفسه على الجميع وبخاصة على الإيرانيين هو كيف تسلم حكم إيران تيار ديني رجعي يقوده رجل في الثمانين من عمره ويعيش خارج إيران منذ خمسة عشر عاماً وكاد يصبح منسيا حتى بين رجال الدين في قم.

أعتقد أن الإجابة على هذا السؤال تجد حلها في سعي الغرب بقيادة أمريكا اللجوء للقوى الأشد يمينية ورجعية في العالم الثالث ضمن سياق الاستراتيجية الأمريكية الجديدة الرامية إلى اسقاط الشيوعية ووضعها في مزبلة التاريخ (وهذا ما تم منذ أن جرى العمل على تسليم اليمين الصهيوني بقيادة ريغن وتاتشر حكم أمريكا وبريطانيا). حيث سيتم بعد ذلك ضرب حركات التحرر الوطني والقومي والاجتماعي في دول العالم الثالث وهو ما حصل فعلاً.

وكما سطع في سوريا عام 1963 نجم الشيخ "حسن حبنكة" في حي الميدان الدمشقي سطع في ذات العام - في قم - نجم مصطفى الخميني، حيث برز يومها كمعارض بارز لتوجهات الشاه العلمانية والليبرالية خاصة للإصلاح الزراعي. مما اضطر الشاه إلى توقيفه ثم إلى طرده للعراق ومن ثم هرب لتركيا ومن ثم استقر في فرنسا كلاجئ سياسي، مما أبقى الساحة الشعبية في إيران تنوس بين تيارين رئيسيين: التيار اليساري الوطني الديمقراطي الثوري والذي كان يطالب ويدعو إلى اسقاط الشاه وتحول إيران إلى دولة مدنية ديمقراطية تتسم بالعدالة الاجتماعية (وليس الاشتراكية) انضوى تحت لوائه كثير من رجال الدين التقدميين. وتيار آخر قاده التجار والصناعيين البرجوازيين الموالين للغرب وأمريكا والشاه مستندين على دعم ملالي ومرجعية "قم".

وتيار ثالث ضعيف بزعامة الخميني كان يدعوا لتسلم رجال الدين السلطة لإقامة حكم إسلامي في إيران والعالم. وهو ما كان يدعو له من قبل الداعية الفلسطيني "تقي الدين النبهاني" في الأردن. قبل أن يدعو له سيد قطب مصر.

والسؤال الذي يطرح نفسه علينا: كيف نفسر هذه السياسة الأمريكية في إيران والمناقضة شكلاً لموقفها من رجال الدين في إيران وموقفها منهم في سوريا ومصر؟ ولماذا وكيف استطاع هذا التيار الضعيف الذي كان يقوده الخميني (مع أن تيار حبنكة في سوريا وتيار سيد قطب في مصر والنبهاني في الأردن وسوريا

وفلسطين كان ومازال أقوى) ثم كيف تمكن من ركوب موجة الثورة التحررية في إيران عام 1979 ومن ثم كيف تمكن عام 1980 من السيطرة على الحكم بالمطلق وإقصاء جميع الأحزاب والقوى التي قامت بالثورة؟ مع أن وضع القوى الثورية والوطنية والديمقراطية في إيران كانت أقوى مما هي عليه في سوريا ومصر.

الفصل الثاني:
ذروة الثورة

تصاعد الثورة الشعبية في إيران. عام 1977:

مع أن تحالف القوى اليسارية والديمقراطية في إيران تشكل رسمياً في أذار عام 1977 وقرر إسقاط نظام الشاه، بالطرق السلمية كما فعل عام 1951 ومن خلال المظاهرات والإضرابات.

وكيلا تتكرر العملية فلقد قامت حكومة الشاه بقمع المظاهرات السلمية فوراً وبقوة. ونتيجة لقمع قوات الأمن والجيش الشديد للمتظاهرين يوم 26 آذار 1977 وقتلها المئات من المتظاهرين فلقد توسعت دائرة المظاهرات أكثر، وشاركت فيها قوى جديدة كانت مؤيدة للشاه (وهو موثق في كتاب بني الصدر أول رئيس لجمهورية إيران الإسلامية) بما فيها جميع القوى العاملة في إيران وخاصة عمال النفط والسكك الحديدية وموظفي الجمارك والبنوك وأغلب موظفي الدولة وطلاب المدارس والجامعات مما أرغم بعض الملالي الشيرازيين على المشاركة في الثورة.. إلخ. وهكذا خلال عام توسعت المظاهرات السلمية فطالت المحافظات البعيدة والمناطق النائية خاصة في الشرق المحاذي لأفغانستان والباكستان، مما أرعب النظام وجعله يوم 18 أيلول عام 1978 يعلن حالة الطوارئ لكن هذا لم يمنع المظاهرات التي راحت يوماً بعد يوم تتوسع وتخرج عن السيطرة حيث تحولت إلى اشتباكات بالعصي والمولوتوف مع رجال الجيش والشرطة والسافاك (جهاز المخابرات الإيرانية السري) ومن ثم امتدت للمدن والقرى الإيرانية، البعيدة مما أرعب النظام فأنزل الجيش إلى الشوارع واستخدم الدبابات وقام الطيران بقصف المتظاهرين داخل طهران (كما فعل نظام الأسد في حماه ودمشق. مما يشير إلى أن المعلم في البلدين واحد وأسلوب مواجهة الثورات الشعبية واحد) لم يشهد بلداً آخر في المنطقة مثيلاً لها. حيث سقط في يوم واحد (في مجزرة يوم الجمعة السوداء) حوالي 4500 إنسان كان بينهم 1650 امرأة وطفل. ورغم اعتقال حوالي مئة ألف ثوري إلا أن المظاهرات والاشتباكات استمرت. وبعدها قررت القوى الثورية كرد على قمع قوات الأمن والشرطة والجيش وتجنبا لقتل المزيد أن تقوم بعصيان مدني بحيث لا يخرج أي مواطن إلى عمله مما يشل الحياة في إيران ويسقط الحكم.

وفي هذه الفترة حصل ما لم يكن أحداً في العالم يتوقع حدوثه..

"انقلاب شيوعي في أفغانستان "

وبما أنها كانت من أكثر بلدان العالم الإسلامي تخلفاً. فلقد شعر الشاه ومن يقفون خلفه من تجار البازار ورجال الدين بالخوف والخطر الداهم. كما تغيرت مواقف كثير من القوى الدينية المعتدلة تجاه البديل الشيوعي القادم أو المحتمل في ايران والخوف من أن يحصل ما حصل في أفغانستان. وأصبحت أكثر تشدداً أو أكثر ميلاً للتشدد.

ففي يوم 14 أيلول من عام 1978 وبشكل مفاجئ قام عقيد في الجيش (أحد قادة اليسار الشيوعي المتطرف وليس الحزب الشيوعي الرسمي الذي كان صديقاً للشاه محمد داوود خان ملك أفغانستان) بانقلاب عسكري على الملك وهذا ما أرعب الشاه وخشي من أن يتم الأمر ذاته في إيران فتتم الإطاحة به ويتسلم الشيوعيين الحكم. لذلك بات أمام خيارين، إما أن يدخل قواته البيوت ويرتكب المجازر وإما أن يترك المجال للشيوعيين واليساريين الإطاحة به وتسلم الحكم. لذلك وجد أن من الأنسب أن يغير الوزارة التي ارتكبت المجازر المتعددة ويأتي بحكومة مقبولة من قبل التحالف الوطني الديمقراطي. ولكي يمتص نقمة الشارع وجد في شخصية "شاهبور بختيار" اليساري وكونه كان وزيراً سابقاً في حكومة مصدق. الصفات المناسبة بما يجعل الأمور تهدأ في الشارع.

ربما كان الشاه (كما ذكر نهاوندي) لم يكن يمانع في تسلم رجل دين رئاسة الوزارة مؤقتا. لكن الأمريكان رفضوا ذلك لأنهم كانوا يعرفون أن ذلك - وفي ذلك الوقت لن يهدأ الشارع الذي كانت غالبيته من اليسار، بل لابد من وجه يساري يهدأ الشارع. هذا عدا أن التباينات بين الملالي كانت تحول يومها دون اتفاقهم على شخصية معينة تتسلم الحكم.

وبما أن أمريكا كانت تعرف أيضاً. أن الشاه المريض بالسرطان قد يموت في أي لحظة. وبما أن الثورة سوف تستمر بعد موته حتى تحقق أهدافها، لذلك كان لابد من أن تبحث عن بديل يناسبها قبل أن يموت فوجدت في شخص "شاهبور بختيار" كرجل علم وعلماني وخريج جامعاتها وكان وزيراً للمالية في حكومة محمد مصدق. ولعله لهذا كان موثوقا ومناسباً لتسلم رئاسة الوزراء وإدارة المرحلة مؤقتا ولتهدئة الشارع. ريثما تجد البديل المناسب. والدائم. فأقنعت الشاه بحل الوزارة القائمة وتعيين وزارة جديدة بقيادة بختيار. لكن الشاه رفض الأمر في البداية. وكما جاء في كتاب (الخميني في فرنسا) أنه كان لزوجته الملكة فوزية شقيقة الملك فاروق دور في تغيير رأي الشاه ببختيار وتقبله له لينوب عنه (كونه كان من أصول ألبانية مثلها كونها سليلة أسرة ألبانية حكمت مصر) ظنا منه أن ذلك سيهدأ الشارع اليساري. في فترة غيابه للعلاج. فقبل أن يغادر البلد للعلاج (وليس بالتنازل عن الحكم) ووافق على تعيين "شاهبور بختيار" (اليساري) رئيساً جديداً للوزراء. حيث تشير الوقائع اللاحقة أن الشاه لم يقبل بذلك الاقتراح ولم يوافق على مغادرة البلد للعلاج. إلا بعد أن تبين له أن مجرد الإعلان عن تسلم بختيار الحكم سوف يهدأ الشارع ويجعل الأمور تستقر ثم تعود المياه لمجاريها، مما يتيح له بعد أن يشفى العودة للحكم ثانية. وهكذا توقف فعلاً العصيان المدني الشامل فعلاً وهدأت الأمور. لكن لم يخطر ببال أحد أن "بختيار" في هذه الفترة سوف يسمح للخميني بالعودة للبلد. حيث تصور بختيار (كما يرى نهاوندي) أن إعادة الخميني سوف تهدأ الأمور أكثر. وأن الشعب لن يعارض عودة الخميني أو سواه من المواطنين الإيرانيين المبعدين لذلك اصدر أمراً يقضي بحقه في العودة لبلده.

لكن الأمور في تقديري تخفي ورائها أموراً أخرى أبعد من مجرد سعي بختيار للتهدئة. أموراً ستتضح معالمها الخفية لاحقاً. لأن تلك العودة شكلت بداية تغير جذري. إن لم نقل انقلاباً في مسار الثورة وتوجهاتها.

وهكذا بخلود الشارع إلى السكينة تمت عملية تمرير إعادة الخميني وإخماد الثورة الشعبية - وبدأت عملية استيعاب الثورة وإمكانية استيعابها ومن ثم حرفها.

وبهذه البساطة المتناهية جداً توقفت المظاهرات فجأة وهدأ الشارع. لكن مؤقتا وليس نهائيا لأن البديل والحل النهائي لم يكن متوفراً بعد. في الوقت الذي كانت فيه السي آي والسافاك تبحث عن بديل دائم عن الشاه، بديل مقنع للقوى المتنفذة في إيران (تحالف التجار والعسكر والأمن ورجال الدين) كونها كلها كانت تعرف أن الشاه قد يموت في أي لحظة وبأنه لن يعود فراحت تدير الصراع بطريقة تمكنهما في المرحلة القادمة بشكل رئيسي وأولاً منع القوى الوطنية واليسارية تسلم الحكم ومن ثم البحث عن طريقة تمكن القوى الأكثر يمينية في إيران من تسلم الحكم ومن ثم البطش بالثورة والثوار.

وهنا قد يكون من المفيد للجميع معرفة أن محمد حسنين هيكل الذي اطلع على أغلب وثائق السفارة الأمريكية التي نقلت إلى باريس والتي كانت موجودة في السفارة التي حاصرها واحتلها الشباب وجد بينها وثيقة يقول فيها في (الصفحة 28) من كتابه "كانت إحدى وثائق السفارة توجد ورقة تشير إلى أن رحلة الشاه للولايات المتحدة كانت امراً مخططا له ومتفق عليه منذ زمن بعيد ولم تكن مجرد استجابة لنداء انساني لعلاجه -كما أشيع-" بمعنى أن التخلي عن الشاه من قبل الإدارة الأمريكية كان أمراً مطروحاً وقائماً من قبل. ومن أن البحث عن بديل له كان قائما منذ زمن بعيد.

مع أن هذا يتناقض مع موقف محمد حسنين هيكل من الثورة في إيران الذي بينه في كتابه "مدافع آية الله" لأنه اعتبر أن الثورة انتصرت ب عودة الخميني وبأنها كانت انتصاراً للإسلام وعلى حد قوله (رصاصة انتقلت من القرن السابع وتحولت في القرن العشرين إلى مدافع. فهل يتوافق انتصار الإسلام مع ما تريده وتسعى له المخابرات الأمريكية؟).

حيث كان يعرف من قبل (كما ذكر في كتابه) أن المخابرات الأمريكية كانت تبحث عن بديل للشاه من خلال أحد رجال الدين. ثم يذكر هيكل في الصفحة 29 أنه جاء في احدى الوثائق ان على الحكومة الجديدة أن تنجز كل الموضوعات القديمة المُعلَّقة بما فيها وضع الشاه "ثم يذكر في الصفحة 32 أن الأمريكان كانوا على قناعة بأن حكم الشاه انتهى كلية" وأن رجال الدين هم الأقدر والأفضل لحكم إيران. لذلك راحت تبحث عن رجل الدين المناسب والقادر على إدارة الحكم والمرحلة بما يتيح لها كسب القوى الدينية وملالي قم لجانبها. فتكسب القوى الشعبية المتدينة وأيضاً القوى الاقتصادية المتنفذة خاصة تجار البازار (وبالتالي الجيش والأمن). وهو ما يمكنها في تلك المرحلة أيضاً من إقامة سد منيع أمام انتقال الثورة الشيوعية من أفغانستان إلى إيران. كون الملالي هم الأقدر على مواجهة اليسار الإيراني. والأقدر على منع انتقال الثورة من أفغانستان إلى إيران وبما يجعل منها سدا منيعا وحصينا أمام المد الثوري اليساري في المنطقة. لذلك كما يقول هيكل عمل "إبراهيم يزدي" على إقناع الأمريكيين من خلال اجتماعات تمت في الجزائر بين يزدي وباذرجان وبرجنيسكي (مستشار الأمن القومي الأمريكي) أقنعت الأخير بتسليم الحكم لـ "آية الله كاظم شريعتمداري، كبديل عن الشاه" ص 38.

وأنا أعتقد أن تغير موقف أمريكا من شريعتمداري المعتدل وتوجهها إلى الخميني المتشدد كان لأنها كانت تعرف أنه الأكثر تشدداً والأقدر على الوقوف في وجه الانقلاب الشيوعي الذي حصل في أفغانستان. مما يشير إلى أنه لهذا كان للانقلاب دور حاسم في ترجيح كفة تسليم الحكم لرجل دين متشدد في إيران. ولهذا وجدوا في الخميني تلك الشخصية. كونه كان معروفا بأنه الأكثر تشددا في مواجهة الليبرالية والاشتراكية

خاصة الشيوعية. وحسب ما ذكر "أبو الحسن بني الصدر" "فإن أغلب وسائل الإعلام الغربية والشاهنشاهية راحت منذ بداية عام 1978 تبرز الخميني كمعارض للشيوعية ولليسار وللشاه أيضاً" وتعتبره مرشحا لتولي الحكم.

طبعاً ما كان لتلك الدعاية للخميني أن تحصل دون موافقة القوى الأمنية الغربية والتي كما بين بني الصدر أنها بدأت تتصاعد في منتصف 1978 مع الاتصالات المكثفة التي كانت تجريها تلك القوى الأمنية مع الخميني. وهكذا تكون الصحافة الغربية قبل الإيرانية جعلته يكتسب شعبية كبيرة لدى معارضي الشاه سواء كانوا إسلاميين أو غير إسلاميين". باعتبار أن صحيفة "كيهان" (كما قال) نشرت بعد تلك الاتصالات فوراً سلسلة من المقالات راحت تهاجم فيها الخميني دون أي مبرر أو سبب، ومن ثم راحت تعتبره المحرك الخفي للثورة". وبين بني الصدر أن ذلك كله كان يتم بتنسيق بين المخابرات وصحف فرنسية وبريطانية وحتى سويدية، وحتى بعض الصحف اليسارية العربية التي راحت تصوره كما لو كان هو المحرك للثورة بالريموت كونترول، كونه كان يقيم في فرنسا "بعيداً ومعزولاً عن العالم وعن الناس" ومن تلك إحدى الصحف الفرنسية صحيفة كتبت "أنه أجدر بحكم إيران من جميع أئمة وفقهاء الشيعة".

وكما تبين الوقائع في نهاية 1988 فإن السافاك والمخابرات المركزية وفي ذات الوقت، بعد أن تم اعتقال وتغييب اليساريين أقنعت رجال الدين الموالين للشاه والمعتدلين بأن يشاركوا في الثورة. من خلال التأكيد لهم أن الشاه سوف يسقط وبالتالي لا يجوز لهم (وربما لم يكونوا بحاجة لمن يقول لهم ذلك كما حصل في مصر وسوريا) ترك الشارع لليساريين والعلمانيين الذين يمكن أن يتسلموا السلطة لذلك لابد لهم من أن يشاركوا في المظاهرات والثورة كي يحولوا دون تسلم اليسار للحكم وبما قد يتيح لهم تسلمها لاحقاً بدلاً منهم. لكنهم لم يفكروا يوماً أنهم قد يتسلموا السلطة الحاكمة كاملة لوحدهم لأنهم يعرفون أن التجار والعسكر هم من يحكمون البلاد. وهكذا راح الإسلامويين المخدوعين والبسطاء يشاركون في المظاهرات أكثر.

وهذه كانت أهم نقطة تم بالاستناد إليها تحول موقف رجال الدين التقليديين والمؤيدين للشاه سابقاً، من رفض الثورة على الشاه إلى المشاركة الفعالة فيها ظنا منهم أن ذلك هو الطريق الوحيد لمنع تسلم اليسار الحكم. حيث لم يكن يومها هدف إقامة دولة إسلامية وارداً أو مطروحاً.

وفي خطوة تالية تركت "السافاك" أوسع المجالات للقوى الإسلامية (الشيرازية) للمشاركة في التظاهرات وعمليات التخريب. وهذا ما أتاح لها إدخال عملائها الملتحين بين رجال الدين وراحوا يحددون لهم الشعارات والهتافات، ومن ثم راحوا يحرضونهم على المطالبة بحكم إسلامي.

وهو ما يشير إليه المعهد الدولي للدراسات الإيرانية في بحث عنوانه الخلاف بين الخمينية والشيرازية بذكره "بأن مؤيدي أية الله محمد مهدي الشيرازي مثل كمال الحيدري ومحمد الحسيني وهادي المدرسي" كانوا قد دفعوا الموالين لهم للتغلغل في الأجهزة الأمنية، وكانوا من قبل قد تمددوا في الجيش والشرطة والحكومة (وهو ما بينه محمد السيد الصياد) أن الشيرازيين كانوا يعرفون أن الشعب المعادي للشاه لن يقبل بهم (كونهم معروفون بموالاتهم للشاه) من جهة. ومن جهة أخرى لأن الأمريكان تريد طرفاً أو حاكماً جديداً غير معروف بموالاته لها أو للشاه فاختفوا من الساحة ولم يظهروا في العلن. لأنهم ممسكين بمفاصل الحكم. كما يبدوا كانوا يعرفون أن مخابرات أمريكا ومخابرات الشاه والجيش وقع اختيارها على الخميني. فلم تعارضها. وفضلت البقاء في الظل وراحت تعمل على التخفي خلف عباءته.

مقدمات المرحلة الثالثة:

مع بداية عام 1979 وبشكل لافت. في ذات الوقت الذي كانت تشجع فيه "السافاك" الإسلاميين على التظاهر، (كما فعلت عام 1953) قامت صحيفة كيهان (التابعة لـ "السافاك") بشن هجوم قوي على الخميني (المنسي) وراحت تحمله مسؤولية الثورة. مع أنه كان يعيش في فرنسا بعيداً عما يجري في إيران وكان هو وجماعته ضد كل ما يجري فيها من أعمال لأنه كان يعرف أن اليساريون والعلمانيون هم الذين كانوا يقودون الثورة. وليس الإسلاميين الذين لم يكن لهم دور بارز في المظاهرات. ولكن لما رأى وسمع أن الناس باتت تطالب بحكومة إسلامية، غيَّر موقفه وقرر المشاركة في الثورة وراح يقنع الملالي الموالين للشاه بالمشاركة الواسعة والفعالة في المظاهرات من أجل أن لا يترك المجال لليساريين الانفراد بالشارع المسلم.

ولهذا وجد بختيار بعد أن غادر الشاه للعلاج يوم 26 كانون ثاني من عام 1979 أن الإسراع بإعادة الخميني ستجعله يكسب القوى الإسلامية لجانبه كما كسب اليسارية كونه كان عضوا في الجبهة الوطنية. فأصدر مرسوماً يتيح للخميني العودة لإيران ولمركزه كآية من آيات الله في قم. على أمل أن ذلك سيهدأ نفوس الملالي وتصطلح الأمور. وبهذا القرار يكون بدراية أو غير دراية قد فتح فصلاً جديداً في تاريخ إيران.

وهكذا ختمت المرحلة الثانية من الثورة عملية إنهاء الثورة الوطنية الديمقراطية وفي عملية تحويلها من ثورة لإسقاط الشاه إلى عملية إبعاده ومن عملية إجراء تغيير ديمقراطي إلى قيام ديكتاتورية دينية.

وبهذا تكون المخابرات الأمريكية والسافاك قد هيأت الأجواء (للمرحلة الثالثة) في الشارع الإيراني لتقبل مشاركة رجال الدين في الحكم (في الحقيقة بداية انحراف في الفكر السياسي لإيران الحديثة). وفي ذات الوقت بداية لحرف الثورة الوطنية وتحويلها إلى حركة دينية ترسم فصلاً جديداً في تاريخ إيران اللاحق. هيئ الأرضية الفكرية لتقبل حكم رجال الدين وللحكم الثيوقراطي (الاستبداد الديني) من خلال التهليل بشخص الخميني وتقديسه مع أنه كان من أصول هندية.

وبما أن الخميني لعب من يومها دوراً مركزياً في حياة إيران والشعب الإيراني والعالم منذ ذلك التاريخ وحتى اليوم. لذا من المفيد التعرف أولاً على هذه الشخصية الفذة وخلفياتها.

مسيرة الخميني:

لا تزال حياة هذا الرجل حتى اليوم - محاطة بكثير من الغموض. لكن ما عرف عنه. (كما بين ذلك "هوشنك نهاوندي" في كتابه "الخميني في فرنسا" أنه جاء مع أباه أحمد مهاجرين من كشمير الهندية اثناء الصراع بين الهندوس والمسلمين في بداية القرن العشرين. وسكن في بلدة في شمال إيران اسمها "خمين" (ومنها اشتق اسمه). وبما أن والده أحمد (الهندي المسلم واللاجئ في إيران الإسلامية كما يؤكد على ذلك هوشك نهاوندي وغيره من الباحثين). كي يلقى قبولاً واحتراماً من أهل قرية خمين. زعم أنه ينتمي لقبيلة عربية تعود في نسبها إلى آل البيت والذين يطلق عليهم مصطلح الأسياد أو بالعامية السياد. والذين كانوا يحوزون على نصف خمس الأموال التي تجبى من التجار وملاك الأراضي والصناعيين والمقتدرين من عامة الناس، وذلك حسب ما ينص عليه الفقه في المذهب الشيعي. (وهي مبالغ كبيرة تفوق ميزانية الحكومة الإيرانية) ولهذا كان كثير من الشيعة يتوجهون للمدارس الدينية لأسباب مادية. وبما أن من يقوم مقام الإمام

الغائب كان يحصل على ثلث العشر لذلك أشار كثير من المؤرخين إلى أن عشرات الآلاف من الدجالين في العالم راحوا يتنافسون على العلم والاستزادة في علوم الدين والفقه والزعم بأنهم من آل البيت أو أنهم سُيّاد (سادة من آل البيت) تبين أن بعضهم كانوا من اليهود الذين هاجروا من الأندلس إلى الجزائر والمغرب ودولاً افريقية إسلامية كثيرة وبخاصة إلى إسطنبول (يهود الدونمة) والذين أعلنوا انهم مسلمين كذبا وبعضهم زعموا أنهم من آل البيت ومن نسل قريش كي يتغلغلوا بين الناس. بدليل أننا لا نجد بلدة في العالم الإسلامي إلا وتجد فيها عائلة أو فرد يزعم أنه سيد أو من أل البيت أو آل علي أو يعود بنسبه للرسول أو قريش.

ولهذا أطلق السيد أحمد على ولده الصغير اسم "روح الله المصطفوي" (المصطفى لقب لسيدنا محمد (ص)). على آمل أن يصبح ابنه من السادة. ما يفهم منه أن أباه كان يهدف منذ البداية من وراء تلك التسمية مثل كثير من الرجال في العالم إبراز ابنه. وكان لابد من أن يحسن تربيته وإعطاءه قدسية دينية تؤهله لأن يلعب دوراً هاماً في المجتمع الإسلامي في إيران. حيث دفعه للتعمق في الدين والدراسة في قم. والطريف (والملفت للنظر) أنه بعد أن درس الدين في قم أضاف للقب التفخيم "روح الله المصطفوي". لقب آخر "أية الله الموسوي الخميني" ثم أضيف لتلك الألقاب مصطلح "قدس الله سره". بمعنى أن ثمة مسعى قديم ومستمر، بدأ منذ عام 1903 (تحقق عام 1963) جعله بعد ستين عاماً يصبح شخصية دينية مهمة ومتميزة، حيث لمع اسمه وعرف بأنه كان تقيا وورعا ومنوراً، وبالطبع محاطا بهالة من الغموض والقدسية. تهيئة للعب دور هام في مجتمعه، وهو ما فعله من قبل في قاديان الهند. الميرزا "أحمد" مؤسس المذهب أو الطريقة الأحمدية الذي أعتبر نفسه المهدي المنتظر بعد أن لم يتقبل الناس أنه المسيح الحقيقي المنتظر. وهو ما يتوافق ويتطابق مع الحياة الفكرية في إيران ومع فكرة او..

المخلص (المهدي المنتظر) على أرض الواقع:

استنادا لما كتبه كل من محمد السيد الصياد وبدر إبراهيم تمكن الموالين لمحمد الشيرازي في عهد الشاه من السيطرة على نصف البازار في طهران وأكثر منه في إيران وأكثر من نصف الحسينيات. لذلك تمكنوا من التغلغل في جميع مؤسسات الدولة وخاصة في سلك الشرطة والجيش والأمن. ويشرفون على القسم العربي في إذاعة طهران قبل الثورة وخلالها، لذلك نستطيع أن نؤكد على أنهم كانوا وما زالوا يشكلون الدولة العميقة التي تمسك بمفاصل الحكم، ولذلك كان الشاه يعتمد من الناحية الإيديولوجية على الشيرازيين أكثر مما كان يعتمد على البهائيين. وهو ما يشير إلى أنهم (كما سنبين) هم من فتحوا جميع الأبواب للخميني وهيئوا له كل الظروف لتسلم السلطة.

بما يعنى أنه بات عمليا وعلى أرض الواقع بعد أن عاد من غيبته من فرنسا (مثل غيبة محمد المهدي الصغيرة في فرنسا) وكما لو كانت عودته عام 1979 بعد غيبة قصيرة عن إيران عودة لملء الفراغ الذي خلف غياب المهدي المنتظر. وفي ذات الوقت لملئ الفراغ الذي سيتركه خروج الشاه، واعتباره بالتالي بمثابة الناطق الرسمي باسم الله وممثلاً له وللإسلام على الأرض. فَقُدس (قدس الله سره) تقديساً لم يحصل عليه في حياته كلاً من الإمام علي ولا الحسين ولا الإمام جعفر الصادق.

بمعنى أننا بتنا فعلاً أمام رجل مقدس، وأهم شخصية في القرن العشرين بعد لينين، أمام رجل سعى وكان يحلم بأن يحكم إيران ومن خلالها العالم الإسلامي كله بل والعالم.

لكن الوقائع التي بينها نهاوندي تؤكد على أنه لم يكن على هذه الدرجة من الفهلوية والأهمية الفقهية

والفكرية (مقارنة بمحمد علي الشيرازي والبروجردي وحسين منتظري ومحسن الحسيني وتقي المدرسي) بدليل أن الحكومة الفرنسية لم تعيره عندما حضر اهتماماً كثيراً فأعطته إقامة لمدة ثلاثة أشهر فقط.

ويؤكد نهاوندي أن الخميني قدم بعد ذلك كأي طالب لجوء سياسي طلبا للإقامة الدائمة. وبعد أن عرف أن طلبه سيرفض كونه معارض للشاه الذي تقيم فرنسا علاقات جيدة معه. اتصل بصديقه المعروف بـ "إبراهيم يزدي" وهو إيراني حاصل على الجنسية الأمريكية وذو صلات جيدة بالمؤسسات الرسمية الأمريكية فحضر إلى فرنسا واستطاع أن يحصل له على إقامة دائمة. ومن ثم ساعده في الانتقال إلى مقره في "نوفل لو شاتو" في ضواحي باريس. كما ساعده في دعوة ابناءه لفرنسا وفي استقبال كثير من الشخصيات الفرنسية والعالمية. وظل يرافقه طيلة الخمسة عشر عاماً حتى عاد لطهران عام 1979.

والطريف في الأمر وهو مثبت أن إبراهيم يزدي هذا (ص 132) مع أنه أمريكي الجنسية إلا أنه بعد تسلم الخميني الحكم أصبح عضوا في المجلس الثوري ومن ثم عضوا في المحاكم الشرعية ومحاكم الموت ومن ثم أصبح نائبا لرئيس مجلس الوزراء في إيران. ومع أن "نهاوندي" لا يؤكد أن إبراهيم يزدي كان عميلاً رسمياً للمخابرات المركزية الأمريكية لكن صلاته وتحركاته تشير إلى أنه كان كذلك وربما أكثر من ذلك كونه كان على صلة بجهات عديدة داخل وخارج إيران وفرنسا وأمريكا وإيطاليا. حيث تمكن عام 1978 من الحصول على موافقة من الحكومة الفرنسية لفرض حراسة مشددة من البوليس الفرنسي ومن القوات الخاصة الفرنسية للخميني (ص 136). ومن ثم تولى إدارة كل علاقات الخميني العامة حيث كان يترجم للخميني ويتحدث باسمه بالإنكليزية والفرنسية والعربية والفارسية. ويشير نهاوندي إلى أن المخابرات الفرنسية استأجرت في بداية عام 1978 عدد من الشقق المقابلة لمنزل الخميني لحمايته وكانت ترتب لإجراء المقابلات الصحفية مع ولده أحمد أو لتصوير الخميني وهو ذاهب للمسجد أو وهو عائد منه. وحيث كانت تلك الصور تنشر في كل وسائل الإعلام. ويستغرب نهاوندي ذلك ويتساءل (ص 172) "لم يسبق في التاريخ الدبلوماسي أن تجييش أغلب وسائل إعلام الدول الغربية والأمريكية وعملها على إبراز شخص معادي للغرب وأمريكا. وثائر على حكومة شرعية (في إيران) تعد حليفة لها؟ ".

ويبدو أن سبب ذلك كان لأن قلة كانت تعرف انه كان أو بات مرشحا لحكم إيران أو لأن يلعب دوراً حاسماً فيها.

وهذا ما قد يفسر لماذا وكيف كانت تحيط به في فرنسا وتحميه (مجموعة من الإيرانيين التابعين للسافاك وكثير من رجال المخابرات الفرنسية وعملاء المخابرات المركزية الأمريكية والصهيونية) وهو ما بينه كلاً من نهاوندي وأبو الحسن بني الصدر (أول رئيس للجمهورية الإسلامية في إيران) في كتبهما ومقابلاتهم الكثيرة مع وسائل الإعلام. ولهذا أحيط بهالة من القدسية، لحمايته وصار يتجنب أو يقلل الظهور على وسائل الإعلام بصورة مباشرة - إلا ما ندر - بل كان يتم الاتصال به ونقل أقواله من خلال ابنه أو إبراهيم يزدي أو رسل يحيطون. (كما كان يتم مع السيستاني. تقليداً لما كان يتم مع الإمام أحمد العسكري أثناء غيبته الصغرى) وهكذا تمكن الإعلام الغربي والإيراني، بالتعاون مع من يحيطون به من جعله يبدو ويقنعوا الناس - بأنه بمثابة نائب الإمام الغائب (المهدي المنتظر) فراحوا يوحون لهم بهذا الأسلوب بأنه صالح لينوب عنه المهدي المنتظر ولأن يخلصهم من العذاب ويحقق لهم ما عجز عن تحقيقه كلاً من الإمامين علي وجعفر. ليقيم من جديد الإسلام والعدل على الأرض. وليفعل ما لم يفعله الرسول وكل الخلفاء والحكام المسلمين.

ونذكر هنا أن "نهاوندي " بيَّن بالوثائق أن كثيراً من الأحزاب الشيوعية (مثل الفرنسي والعراقي) والمنظمات الفلسطينية اليسارية (للأسف الشديد) مثل الشعبية والديمقراطية وجبهة تحرير أبو العباس وفتح الثورة كانت تدعم الخميني كونه فقط كان معروفاً لديهم بعدائه للشاه. وبما أن الشاه كان معروفاً لديهم بأنه كان عميلاً للاستعمار فكان الوقوف مع خصمه بغض النظر عن أيديولوجيته وحقيقته وتوجهاته، يعتبر تجسيداً لموقف وطني وثوري. (وهذا خلل يحتاج لمراجعة نقدية) حيث كان لهذه التنظيمات والأحزاب اليسارية دور حاسم في إعطاء صورة ثورية عن الخميني ونجاح الثورة المعادية لكل ما هو يسار وتقدم في إيران والعالم. ومن المؤكد أن مشاركة بعضها في المظاهرات التي كانت تتم في الخارج ساهم في نجاح الثورة الإسلامية في الداخل. ثم كان له دور كبير في تغيير نظرة الثوريين العرب مما جرى في إيران ومن الخميني. خاصة بعد أن أمر بإغلاق السفارة الإسرائيلية وفتح سفارة لمنظمة التحرير واستقباله عرفات.

الفصل الثالث:

من ثورة وطنية ديمقراطية إلى حركة قمعية استبدادية

المقدمات العملية للمرحلة الثالثة:

في الأول من شهر كانون الثاني من عام 1978 شب حريق مجهول السبب في سينما "ركس " في "عبدان" بالقرب من طهران، راح ضحيته حوالي 400 شخص. روجت وسائل الإعلام أن السافاك كانت تقف وراءه مما جعل الناس تهب وتتظاهر ضد الحكومة. وكنوع من التعبير عن غضبهم راح بعضهم يحرقون المقار الحكومية ومراكز الشرطة. وهنا تكرر السيناريو ذاته الذي قامت به المخابرات الأمريكية عام 1953 لكن بطريقة ونتيجة مختلفة. حيث أمر بختيار (رئيس الوزراء) الجيش بعدم التدخل لمنع المظاهرات (للتنفيس عن غضب الناس) مما أعطى المجال للمظاهرات لأن تستمر وتتصاعد وللإسلاميين والملالي من المشاركة فيها على نطاق واسع (كما جرى سابقاً لإسقاط الحكومة الثورية التي كان يقودها محمد مصدق) لكن هذه المرة لإسقاط حكومة عينها الشاه. وبما أن بختيار حمل رجال الأمن والسافاك مسؤولية عدم الحفاظ على الأمن ووقوع ما حدث. فلقد قام بخطوة غير مسبوقة لم تحدث لا في إيران ولا في غيرها. حيث أمر بحل السافاك (جهاز المخابرات العامة) باعتباره مسؤولا. والطريف وما يثير التساؤل هو كيف قبل قادتها ومسؤوليها بذلك الأمر بهذه البساطة ودون أي معارضة؟ مع أنهم أكبر قوة أمنية في العالم بعد الإف بي آي - والشاباك.

لماذا لم يثوروا على بختيار والأهم ضمن معترضة (نسأل: أين ذهب هؤلاء الذين تشير التقارير أن أعدادهم زادت عن المئة وخمسون ألف مجرم؟ إين اختفوا؟ هل ذابوا أم اندسوا بين المتظاهرين وراحوا يحرضونهم ويقودونهم؟)؟ ولكسب ود المتظاهرين تم منع اعتقال الاسلاميين، وفي اليوم التالي تشجع المتظاهرين أكثر ومن بينهم مندسين راحوا يهاجمون مقرات الدولة التابعة للشاه وراحوا يطالبون بعودة الخميني. وبناء على ذلك قام بختيار في اليوم التالي بإصدار قرار يسمح بموجبه للخميني بالعودة إلى طهران وحقه في المشاركة في السياسة، مع أنه كان يرفض ذلك من قبل ويصر على أن من حقه العودة كرجل دين فقط. وهكذا عاد الخميني إلى طهران في الأول من شهر شباط عام 1979 بصفته بديلاً عن الشاه، وهذه برأيي شكلت نقلة كبيرة في حياة إيران السياسية لأنه كان يحرم على الملالي العمل المباشر بالسياسة أو تسلم منصب سياسي في عهد الشاه.

بعد مغادرة الشاه:

تشير كثير من الوقائع التي عرضها نهاوندي وبني الصدر أن بختيار كان يعرف منذ عام 1978 أنه سيصبح رئيسا للوزراء لا ليحكم إيران، بل ليدير امورها خلال فترة غياب الشاه للعلاج. وبأن مهمته تتمثل في إدارة الأمور بما يتيح للمدعو "أرد شير زاهدي" وهو عقيد في الجيش، (زوج ابنة الشاه من زوجته المصرية فوزية) تسلم الحكم بعد غياب الشاه.

وبما أنه كان يعرف أن الجيش لن يسمح له أن يُسِلم السلطة للجبهة الوطنية الديمقراطية وكان يعرف أن الجيش والسافاك كانوا ممسكين بزمام الأمور في ظل رئاسته للوزراء. لذلك راح ينتظر الأوامر التي ستصدر من أمريكا أو من قبل القوى الممسكة بالدولة العميقة في إيران.

بما أن بختيار ومن يقفون خلفه أو إلى جانبه من قوى ليبرالية وعلمانية ويسارية مشاركة في الثورة. لم يحسموا أمرهم ويعلنوا قيام جمهورية ديمقراطية علمانية في إيران فور رحيل الشاه، وبما أنهم تركوا الأمور على حالها. فإن هذا الواقع خلق فراغا فاقم من حالة الشعور العام بالفراغ السياسي والروحي للشعب الإيراني وخلق حالة شجعت رجال الدين على أن يكون لهم دوراً أكبر في ملء هذا الفراغ. لذلك عمت الشارع الإيراني حالة من القلق والفوضى من جديد مما أوقع بيد القوى الثورية، وأظهر عجزها عن اتخاذ القرارات السريعة والحاسمة. (وهذه جريمة) مما ترك المجال للقوى الدينية والرجعية ورجال الأمن للتحرك وللقيام بما لم يقم به غيرهم سواء من قوات الجيش أوقادة الجبهة الوطنية.

وأنا إذ أُوصف فيما يلي ما جرى فلا أدافع عن اليساريين الإيرانيين ولا أعظم من شأن الملالي وقدراتهم. بل لأشير إلى أن النتيجة الطبيعية لغياب أو تغييب القيادات الثورية البارزة التي تم اعتقالها من قبل الجيش والسافاك قبل خروج الشاه (والتي تزيد أعدادهم عن مئتي ألف مناضل).

كما أعتقد أن غياب وتغييب هؤلاء المناضلين كان عاملاً رئيسياً في عدم مبادرة اليساريين تسلم الحكم. لذلك يمكن القول بأن اليسار ليس مسؤولاً عن تسلم الملالي الحكم. بل الشاه والسافاك كونهم بقيامهم باعتقال هذه الأعداد الكبيرة من الثوريين أو نتيجة الخوف من الاعتقال أو القتل، يكونون بدراية وعلم أو دونهما قد أخلوا الساحة لرجال الدين وتركوا لهم المجال بعدها ليتسلموا الحكم وليمسكوا بعدها بزمام المبادرة في اتخاذ القرارات المناسبة لهم. وفي مقدمتها إبعاد القوى الثورية والبطش بها. ما يجعلني أميل للاعتقاد بأن الثورة الشعبية الديمقراطية انتهت فعليا في عهد الشاه منذ أن تم اعتقال قادتها وزجهم في السجون أو قتلهم، أو هربهم من إيران. ومنذ أن فتح الباب للملالي للتحرك في الشارع وقيادة المظاهرات دون أن يمس أي منهم بأي أذى مادي أو معنوي. وهكذا ترك المجال لرجال الدين للتحرك بحرية. وهو ما يشير إلى أنها كانت تعلم بذلك (حتى لو دون علم مؤكد) مما يجري على الأرض وكان لابد من أن تهيئ نفسها لعملية تسلم السلطة من قبل أن يتسلموها فعلاً بسنة ونيف. ومنذ أن أحجمت القوى الثورية المتبقية عن تسلم السلطة.

وربما يكون العذر الوحيد لعدم تحركهم لتسلم السلطة هو معرفتهم بأن رجال الجيش والأمن الموالين للشاه وأمريكا (كما قال نور الدين كياتوري. سكرتير اللجنة المركزية لحزب تودة) كانوا مازالوا في مواقعهم جاهزين للبطش بهم بعنف إن قاموا بذلك الأمر لذلك وقف الحزب على الحياد. ما يعني أن الثوريين كانوا يدركون أنه سيتم البطش بهم من قبل قوات الأمن والجيش الذين كانوا ومازالوا يحكمون إيران فعلاً. وكانوا يعرفون أن تسلم رجال الدين للحكم ليس سوى واجهة لحكم الجيش والأمن والتجار ورجال الأعمال

المرتبطين بأمريكا والغرب. وأن الأمر ليس أكثر من تغير شكلي يتم فيه إحلال العمائم محل أطقم مؤيدي الشاه.

وهذا ما فهمه الخميني (أو معلمه إبراهيم يزدي) وجعله يوقن بأن الأمور باتت مهيئة له إذا ما عاد لتسلم الحكم. وما كان عليه إلا أن يوافق على العودة ليتسلم بعدها الحكم. ولم يكن ينقصه سوى سماع نبأ مغادرة الشاه وعدم تسلم الجيش السلطة. وهو ما يفهم منه أن الطريق بات مفتوحا له لتسلم السلطة. بما يتيح له هو أو من ينوب عنه بعد العودة سوى الإعلان عن تسليم السلطة له فعلاً بدلاً من الشاه وبدلاً من اليسار. لكنه مع ذلك كالشيوعيين كان يخشى من تسلم الجيش للسلطة، لأنه كان يعرف أن الجيش والسافاك ومن خلفهم أمريكا هم من يحكمون البلد فعلاً. لذلك كما يقول نهاوندي (ص 174). سافر إبراهيم يزدي إلى إيران ليتأكد من الأمور. مما روج له عن نية الجيش وبختار تسليم السلطة لأرد شير زاهدي وثم عاد إلى فرنسا وبدأ يجري اتصالاته وتأكد من أن ذلك لن يحصل. وهو ما جعل الخميني يطمئن للعودة ويحزم أمره.

وبما أن الخميني لم يكن يخشى من الشيوعيين واليساريين والثوار لأنه كان يعرف أن أغلب قادتهم كانوا قد قتلوا أو اعتقلوا (كما حصل مع خصمه اللدود، علي شريعتي) أو مغيبين في السجون والمعتقلات وإما لأن من بقي منهم حيا كان مختبئا لا يجرؤ على مواجهته لذلك قرر العودة دون خوف.

وبما أن الشاه ظهر يوم 16 كانون الثاني 1979 في المطار وهو يغادر مع عائلته طهران متجها إلى مصر وعيناه تدمعان (ومن ثم توجه إلى الولايات المتحدة للعلاج من السرطان) ما يفهم منه بتقديري، أولاً: أنه كان يعرف أنه سيغادر نهائيا وبغير رجعة وبأن الحكم الملكي الشاهنشاهي لإيران قد انتهى من تلك اللحظة التي قرر فيها المغادرة وقبل أن يستقل الطائرة.

وثانياً كان يعرف أن إيران ستدخل في اليوم التالي في فراغ سياسي لابد لجهة ما من ملئه. لذلك أعتقد ثالثاً: بما أنه كان مريض بالسرطان فكان على علم بأن إيامه على الأغلب معدودة وأنه يجب أن يسلم بالأمر الواقع ويبحث عن بديل له في حياته، أو بأي بديل عنه ترضى به السافاك وملالي شيراز. كما كان على معرفة بأن أمريكا والسافاك كانوا يبحثون عن بديل آخر بدل زوج ابنته الشاب وقليل الخبرة في ذات الوقت. (حيث كانت تصله تقارير يومية عن أي حركة تتم في الخفاء، وكان على علم بوجود نية لتسلم الحكم للخميني لذلك.. رابعاً: (اعتقد) أنه كان على الأغلب على معرفة وعلم بالاتصالات التي كانت تجريها أمريكا مع الخميني في فرنسا ومع مرجعية قم وحكومة بختيار بالذات لملئ ذلك الفراغ.

ولقد بين أبو الحسن بني الصدر "في كتاباته ومقابلاته العديدة مع الصحف عددا من القرائن والإثباتات والدلائل. التي تؤكد على أن الخميني في فترة حكم بختيار بات يلتقي كثيراً مع رجال المخابرات الأمريكية اثناء اقامته في فرنسا"، وهو ما أشار له كثير من الصحفيين الفرنسيين المتابعين للثورة في إيران. بتأكيدهم على أنه كانت تجري اتصالات سرية موازية للاتصالات التي كان عملاء السافاك يجرونها بين مختلف القوى الإيرانية داخل إيران بما فيهم جماعة الخميني (حيث كان بني الصدر يرافقه طيلة فترة وجوده في باريس) ويعملون على إقناعه بضرورة حزم أمره والعمل على تسلم السلطة فعلاً بدلاً من أن يتسلمها أعداءه اليساريين والديمقراطيين والشيوعيين.

وخامساً: بما أنهم كانوا متوافقين على تسلم رجال الدين للحكم في العالم الإسلامي فكانوا متفقين على أن تسليم الحكم لرجال الدين في إيران وهو الأفضل للطرفين كونهم أقرب لهم من القوى الوطنية

والديمقراطية. وللوقوف في وجه الانقلاب الشيوعي الحاصل في أفغانستان.

وإذا كان صحيحاً أن الشاه ترك الحكم شكلياً لرئيس الوزراء "شهبور بختيار" ولمجلس الوصاية الملكي لكنه كان يعرف أن ذلك ليس إلا لفترة محدودة ومؤقتة. لحين تسليم رجال الدين حكم إيران. ولا خوف على النظام التابع طالما أن رجال الجيش والأمن ستظل كما كانت عبر التاريخ الحارس الأمين للنظام لذلك لا خوف من الإسلاميين على النظام العميق.

وأنا أعتقد أن الشاه ما كان له ليغادر بتلك السلاسة لو لم يكن راضيا عن البديل الذي كانت أمريكا راضية به وتهيئ له الأمور. بما يفهم منه أنه كان يعرف ما تخطط له أمريكا وما تجريه من اتصالات مع الخميني، ولم يكن يمانع بصورة جدية تسلمه للحكم ولأنه كان يعرف أن الخميني كمسلم متزمت سيكون أقدر على وقف المد الشيوعي من غيره من الملالي. وأفضل من حكم اليسار. ولم تكن تفرق عنده إن كان الحاكم القادم ولياً فقيهاً ام لا، طالما أن الحكم لن يقع بيد القوى الوطنية واليسارية. بما يفهم منه أيضاً - وهو الأهم: أن ما جرى لاحقاً من أحداث كانت من الناحية السياسية وفي العمق عملية ترتيب الأمور لاستيعاب المد الثوري وإجهاضه بما يتح للخميني استلام الحكم بطريقة غير مباشرة بدعم من أطراف متعددة. أهمها المخابرات المركزية والفرنسية كما أكد على ذلك بني الصدر. ومن ثم البطش بالقوى الثورية.

وبخروج الشاه وعودة الخميني نكون قد انجزنا الفصل الأول من الثورة بنهاية الملكية (الشاهنشاهية) الليبرالية وانتقلنا للمرحلة الثانية دون تحديد طبيعة النظام القادم.

وبهذا نكون قد ختمنا بالشمع الأحمر على الفصل الأول من الثورة الشعبية المطالبة بإنهاء الملكية (الشاهنشاهية) الليبرالية وحكم الاسرة البهلوية. وانتقلنا لمرحلة حكم رجال الدين المتشددين (الأوتوقراطية) بزعامة الخميني والتي تشكل في تاريخ إيران المرحلة الثامنة من العودة للنزعة العدوانية والتوسعية للفرس والمستمرة حتى اليوم.

عودة الخميني:

وهكذا تظهر الحقائق أن الظروف باتت من جميع النواحي مهيئة لعودة الخميني لإيران ولحكمها بدلاً من الشاه منذ نهاية عام 1978، دون بذل أي تضحيات منه أو من جماعته. لأن أمريكا وجدت فيه وفيهم ضالتها المنشودة. منذ أن أقنعته بالعودة لتسلم حكم إيران الكامل. وتحقيق ما كان يدعوا له من خلال إقامة دولة إسلامية في إيران سيعممها في العالم كله. لكنه مع ذلك لم يقنع بل ظل يتوجس خيفة من الجيش والمخابرات بأن ذلك قد يكون فخا منصوباً له. لكنه عندما علم بمغادرة الشاه لطهران. ابتهج واطمأن وغير موقفه ووافق مع ممثليها في باريس من خلال تعهداتهم لـ يزدي وابنه أحمد وبني الصدر على السفر لطهران للقيام بهذا الدور.

في ذات الوقت راحت وسائل الإعلام الإيرانية تهيئ لقدومه وتضخم به وترحب به كمنقذ وراحت تجعل منه شخصية أسطورية وأخطبوطيه كما لو كان هو الذي كان ومازال يحرك الثورة والناس بالريموت كونترول عن بعد.

فراحت وسائل الإعلام الغربية والعالمية تتحضر للعمل العظيم وهي عودة الخميني.

فتجهيز أكثر من مئتين من أشهر الصحفيين في العالم لمرافقة الخميني في رحلة العودة ستجعل الأمور تبدو في نظر الإيرانيين والعالم الإسلامي المؤمنين بعودة المهدي المنتظر كما لو كانت بانتظار حدثا جللا وأكبر من مجرد عودة لمهدي جديد لأنه لن يخرج الأمة من الضلال فحسب، بل سيعيد الحق إلى نصابه في العالم كله، وهكذا ارتفعت أسعار البطاقات لسفر الصحفيين في طائرة البوينغ 747 العملاقة الذاهبة لطهران إلى عشرة أضعاف.

ومع ذلك ظل الخميني - كما يشير بني الصدر – الذي كان يرافقه، يخشى في أعماقه من العودة إلى إيران خوفا من أن يتم اعتقاله من قبل السافاك، أو تنسف طائرته وهو في الجو، أو أن يتم اعتقاله بمجرد ما أن تطأ قدماه الأرض لأنه كان يعرف أن كلاً من الجيش والسافاك كانوا مازالوا يمسكون بجميع مفاصل وزمام السلطة الفعلية في إيران.

لكن عندما حطت قدماه على أرض المطار على العكس من مخاوفه السابقة، فوجئ بذلك الترحيب المهيب من قوات أمن المطار ومن ذلك الاستقبال الجماهيري الحافل (كما تفاجئ الجميع) الذي هيئته له كلاً من الشرطة وقوات السافاك والناس التابعين والموالين للشيرازي. فحملوه على الأكتاف وراحوا يهتفون باسمه.

وهذا بذاته مؤشر على أن رجال السافاك لم ينمّحوا، ولم يتخلوا عن وظيفتهم في حفظ الأمن فأعطوا أوامر بمنع أي عمل ضد الخميني أو ضد أنصاره الذين كانوا يهتفون باسمه طوال الطريق. بل على العكس. فتحوا أوسع المجالات لهم للترحيب بالبطل المبعد والعائد من غربة طويلة والتعبير عن سعادتهم بعودته. كما لو كان المهدي المنتظر العائد من غيبته.

وهذا بحد ذاته أمر مريب كما يرى نهاوندي. حيث اكتشف أن كثيراً من المرحبين بالخميني (والذين كان يعرف الكثيرين منهم) كانوا من رجال السافاك بثياب مدنية. كانت جماعة الشيرازي قد بثتها داخلهم. وما يؤكد على ذلك هو أنه بعد يومين من وصول الخميني هدأ الشارع الثائر. وساد إيران بعدها صمت رهيب. تمهيداً للمفاجئة الكبرى التي لم يكن أحد يتوقعها أو يحلم بها (حتى رجال الدين والملالي) بالإعلان من مكتبه بأنه أصبح مرشداً عاماً للثورة وقائدا لها.

وفي يوم 4 شباط 1979 بصفته مرشدا للثورة - أصدر قراراً يقضي بحل حكومة بختيار "العلمانية" وتشكيل حكومة إسلامية بزعامة الأكاديمي الإسلامي المعروف "مهدي باذرجان" والتي تشكلت في اليوم التالي أي يوم 5 شباط (بدلاً من الإعلان عن قيام جمهورية ديمقراطية مدنية أو حكومة إسلامية). وهذا ما يقدم دليلاً عاشراً على أن ذلك الإعلان كان مرتبا له من قبل ليكون مقدمة لعمل آخر. كان يرتب بين طاقم الخميني (الذي لم يكن يومها يتمتع بأي صفة رسمية تتيح له حل أي حكومة أو تعيين أي حكومة) وبين المخابرات الأمريكية والسافاك وقادة الجيش. كي تكون تلك الحكومة المقبولة من الشعب كنشافة للغضب كي تصبح إيران جاهزة لأن تقودها حكومة من الملالي لأول مرة في تاريخ العالم القديم والمعاصر. (وهذا ما يتناقض تماماً مع الرؤية الأمريكية والأوروبية والفرنسية التي كانت ترى أن تسلم الإسلاميين للحكم في إيران أو غيرها سيعرض العالم والديمقراطية للخطر. وهو ما حصل لاحقاً فقط في أفغانستان حيث سلمت رجال طالبان المتشددين الحكم قبل أن تنسحب منها.

إعلان قيام الجمهورية الإسلامية في إيران:

مع أن مقدمات تقبل حكم الملالي لإيران قد أرسيت فعلاً - وإن على مضض - بتسلم "مهدي باذرجان " الحكم. ومع أنه لم يعد ينقصها لتظهر رسمياً، سوى الاعلان عن أن إيران أصبحت دولة إسلامية. بدستور أو بدونه. لكن لإعطاء مسألة الانتقال (من دولة علمانية إلى دولة دينية) صفة شرعية وقانونية وشعبية، ولإبعاد صفة الانقلاب والمؤامرة المفروضة من فوق رأس الشعب كان لابد من إجراء تصويت دستور جديد للحكم القادم.

الاستفتاء على الدستور الجديد:

والمفاجأة الأكبر جاءت بعد أسبوع من وصول الخميني لطهران حيث قامت مجموعة من طلاب المدارس الدينية (المؤيدة للخميني كما زعم) باحتلال السفارة الإسرائيلية ومن ثم قامت مجموعة أخرى بالهجوم على السفارة الأمريكية فاحتلتها واحتجزت من كانوا بداخلها كرهائن وراح آخرون يحرقون المكاتب الحكومية والصحف. وهكذا عمت الفوضى البلد من جديد مما جعل "باذرجان" يعلن أنه لإعادة الهدوء والاستقرار لابد من دستور جديد لإيران، فأعلن عن ضرورة الاستفتاء على دستور جديد للبلد بأسرع ما يمكن وحدد فوراً يوم 31 آذار، يوماً للاستفتاء على الدستور (والذي تبين أن الخميني والحزب الإسلامي الثوري كانوا قد أعدوه مسبقاً ومنذ زمن بعيد). إذ أنه من الصعب جداً تخيل إمكانية صياغة دستور جديد لبلد مثل إيران بهذه البساطة والسرعة إن لم يكن جاهزا ومعد مسبقاً؛ خاصة إذا كان دستوراً سوف ينقل إيران من دولة علمانية إلى دولة دينية بهذه وخلال فترة أسبوعين. بل كان لابد من أشهر بل سنوات من عمل رجال فكر وقانون مختارين وحكماء واخصائيين بالقانون والفقه والشريعة والسياسة أو أشخاص يعينهم مجلس للشعب منتخب.

كما أن الأمر كان يتطلب وقتا يتيح للناس مناقشة الدستور وليس الاستفتاء عليه بكلمة نعم أولاً. (دستور كان مقر سابقاً في فرنسا كما بين ذلك بني الصدر) كما بين أن باذرجان الأكاديمي الإسلامي كان على علم بذلك الدستور الذي كان الخميني قد أعده في باريس منذ سنوات. وهو ما يعني أن ذلك الدستور كان جاهزا ولم يكن يحتمل تغيير أي بند فيه. بل لم يكن مسموحا لأحد سوى التصويت عليه بنعم أو لا، لتتحول إيران بعد ذلك من دولة ملكية ليبرالية إلى جمهورية إسلامية وليتم العمل به فوراً. كما لو كان الدستور المعد مسبقاً قراراً للشعب الإيراني.

والمفاجأة التي لم يكن أحدا في العالم يتخيلها أو أن يصدقها هو أن نتيجة التصويت بنعم تعدت 99%. ونسبة المشاركة زادت عن 95%. (وهذا مستحيل في بلد مثل إيران كان يشكل فيه العلمانيين واليساريين على الأقل نصف الشعب الإيراني. وفي بلاد مساحتها تزيد عن مليون ونصف كم مربع أغلبها وعرة.

وكان لابد للمرء من أن يتساءل: هل وافق كل من كانوا قبل أشهر يقفون مع الشاه في الجيش والمخابرات والتجار ورجال الأحزاب الثلاثين والذين يعدون بالملايين والمؤمنين بالعلمانية والليبرالية على ذلك الدستور الإسلامي؟

والأطرف هو أن تتم الموافقة على الدستور أو عدمها بكلمة واحدة، نعم أو لا فقط) دون السماح

بمناقشة أو الاعتراض على كلمة واحدة في الدستور الجديد أو السماح بأي تعديل عليه، (حيث تم تناول والتصويت عليه كقطعة واحدة) وكما نعلم فإن كل بند في الدستور أي دستور في العالم (حتى لو كانوا همجا) يتطلب مناقشات هادئة. لكن ذلك لم يحصل حيث تبين أن كثيرين لم يعلموا ما به من نصوص إلا بعد أن طرح منها في الصحف يوم 11 شباط على الملأ بعد عشر أيام من وصول الخميني حيث لم تستفق الناس من هول الصدمة.

والخطورة هو أن إيران هذه الدولة الكبيرة والمهمة باتت بناءً على ذلك الدستور الملفق جمهورية إسلامية. وبات على الجميع الالتزام به باعتباره الدستور الذي وافق عليه الشعب كما لو كان دستوراً منزلاً من السماء.

بينما الحقيقة وكما تبين بأنه لا علاقة للشعب أو لنخبه وحتى أئمة قم الكبار بالدستور المصاغ في باريس. وأنه لا علاقة له بالجمهورية الإسلامية المنشودة. لأنها كانت مقررة بناء على طلب الغير. ولأنها حكومة لم تقم نتيجة للثورة التي قام بها الشعب ولم يكن الشعب يطالب بها. بل حكومة فرضت بقوة الأمر الواقع والتدليس والخوف من التهديد والفوضى والخراب إن لم تتم الموافقة عليها. وهكذا إضافة للكذب والتزوير فرض على الجميع تقبل قيام الجمهورية إسلامية لا يعرف أحد مضمونها. وهكذا باتت إيران من يومها (الأول من نيسان 1980) جمهورية إسلامية وبناء على ذلك الدستور الملفق، تم اعتبار الخميني (ذو الأصول الهندية) بناء على ذلك الدستور الذي تقدم به. بمثابة مرشداً عاماً لكل من الثورة والدولة الإسلامية. وبناء على ذلك تم الزعم واعتبار أن ما جرى في إيران منذ عام 1975 كان ثورة إسلامية حركها الخميني وبأنها انتصرت في إيران في اليوم الأول من نيسان عام 1980.

وضمن هذا التوجه أُسقطت حكومة "باذرجان" فورا. مع أنها كانت أول حكومة تقر الإسلام كمرجعية للحكم. لتأتي بدلاً منها حكومة بني الصدر التي تبنت الحكم باسم الإسلام رسمياً وأعلنت عن قيام الجمهورية الإسلامية في إيران وكي تحولٍ إيران من دولة ملكية علمانية إلى جمهورية إسلامية.

والطريف في الأمر هو أن هذه الحكومة الاسلامية (اول حكومة اسلامية تقر رسمياً) قد ازيحت بعد سنة ونصف بتهمة خيانة معلنها ومؤسسها. ثم جيء بعد هـ (بني الصدر) بحكومة جديدة رأسها علي رجائي وأيضاً بصورة مؤقتة، ومن ثم ليتم طرد جميع من ساهم في التمهيد لحكم الخميني أو محاولة اغتيالهم وقتلهم أو هربهم من البلد.

ما يفهم منه أن كلها كانت مجرد حكومات مؤقتة لتمرير امر معين. حكومات تدوم أشهر تليها مرحلة تالية مؤقتة وثالثة وهكذا. حتى تم التوافق بين القوى المتنفذة داخل إيران على حكومة جديدة تجعل من التكيف مع الوقائع العملية وليس المبدئية، ومن التزوير والفساد والاستبداد والقمع واقعا قائما باستمرار ومستمراً حتى اليوم.

بما يمكن من جاؤوا بالخميني للحكم ومن مازالوا يحكمون إيران فعلاً حتى اليوم من دون أن يظهروا على الساحة الرسمية (مثل الشيرازيين والتجار) ليتحكموا مع قادة الجيش والسافاك (الحكومة العميقة) بإيران وشعبها من خلاله فرض أمور جديدة غير التي حققتها الحكومات السابقة. بما يفهم منه ان جميع رؤساء الوزارات والوزراء كانوا مجرد بيادق في لعبة تديرها جهة ربانية أو أرضية قادرة.

وهكذا أصبحت "اطلاعات" مؤسسة رسمية أنشأها شقيق الخميني كبديل عن السافاك التي كانت تدير سابقاً كل شيء في إيران منذ أن شكلتها المخابرات الأمريكية عام 1947 لكن بقيادة نور الدين خلخالي.

وبهذا نكون قد أنهينا فصلاً ثانياً من فصول تاريخ إيران الأمني التقليدي وبدأنا فصلاً ثالثاً جديداً دموياً ومرعباً أكثر بلالة ما قام به كونه قام على أساس أيدلوجي وعقائدي وليس على أساس مهني وتقني.

والسؤال الذي يطرحه كل عاقل على نفسه قبل البدء ببحث أي قضية: هل يعقل أن يتم استبدال جهاز بذاك الحجم والقوة والتأثير ومعروف بتأييد الشاه والنظام العلماني والمجيئ ببديل عنه بهذه السرعة؟ إن لم يكن الجهاز نفسه بقي مع تغيير اسمه فقط. بينما الأشخاص نفسهم الذين كانوا ينتمون للسافاك (أو غالبيتهم) ظلوا في مواقعهم مع تغيير بعض والقيادات البارزة الملفوظة. بما يمكن النظام الجديد بمهمات لم يكن الجهاز يقوم بها سابقاً.

البطش بالثورة والثوار:

في فصل كيف أكلت الثورة أبنائها. من كتاب "الدماء المنسية" ذكر نور الدين كياتوري "سكرتير اللجنة المركزية لحزب تودة. أن أول عمل قام به الخميني بعد إعلان قيام الجمهورية الإسلامية في إيران هو البطش بالشيوعيين الموجودين في الجيش بحجة العمالة للسوفييت مع أن الحزب كان يقف على الحياد.

فبعد أقل من شهر" مورست أشد الضغوط على "تيسمار غلام علي" وهو أكبر ضابط في الجيش الإيراني وحائز على عدد من الأوسمة (ليس كونه كان متزوجاً من ابنة الشاه بل لأنه كان فعلاً عسكرياً فذاً). بل لأنه كان منتسباً بشكل سري للحزب الشيوعي الإيراني "تودة" كي يقدم استقالته من منصب القائد العام للأمن العسكري. وإلا سيتم كشف صلاته بالحزب وبالتالي سيتم إعدامه. فقدم استقالته وهرب مع عائلته إلى فرنسا. ثم كتب في كتابه ذاك أنه: في الأول من أيار عام 1979 (أي بعد شهر من إعلان قيام الجمهورية الإسلامية في إيران). جرت محاكمات علنية لبعض ضباط الجيش المنتمين للحزب الشيوعي حيث اجبروا تحت التهديد على الاعتراف بتقديم معلومات للسوفييت وبناء على ذلك (كما يذكر تيسمار غلام علي) تم إعدام دفعتين من الضباط بعد محاكمات صورية لـ 17 ثم لأربع وثلاثين ضابطاً من كبار ضبط الجيش العلمانيين يومي 17 و18 من شهر أيار) وكانت التهمة جاهزة "العمالة للسوفييت" والخيانة العظمى، بينما يؤكد غلام علي أنهم كانوا في الحقيقة مجرد ضباط موالين للحزب كان بعضهم ينتمون فعلاً للحزب الشيوعي بشكل سري (وهذا ما يخالف مبادئ الانتساب للجيش كما هو الحال في سوريا والعراق) أو علمانيين، لكنهم لم يكونوا عملاء أو جواسيس للسوفييت. ويؤكد تيسمار أن من اعترفوا بالتخابر مع السوفييت قد أرغموا على ذلك. وبين أن بعضهم بناء على خدعة تقوم على معرفة دقيقة بحياتهم الخاصة ستتم إخفائها والعفو عنهم إن اعترفوا. حيث اقنعوا بأنه سيتم العفو عنهم بعد أن يقدموا استقالاتهم لكن للأسف أعدموا كلهم.

وبناء على ما قاله المسؤول عن التنظيم في حزب تودة للسيد "باقر ابراهيم عضو المكتب السياسي للحزب الشيوعي العراقي في مذكراته، ففي سياق تحدثه عن الآلية التي تم فيها الفتك بالحزب الشيوعي العراقي تحدث أن ذات الألية تم بها الفتك بحزب تودة. وذلك بناء على معلومات قدمها له صديقه "كياتوري" حيث أكد لي باقر ابراهيم أنه لم يبقى في إيران كلها شيوعي واحد بعد تسلم الخميني السلطة في إيران عام 1982. فهم إما أعدموا وانتهكت أعراضهم ونهبت بيوتهم وممتلكاتهم وسحلوا أو علقوا على أعواد المشانق، وإما أجبروا على الهرب تاركين بيوتهم وأملاكهم وأرزاقهم. كما فعل صدام حسين بأغلب الشيوعيين واليساريين العراقيين في ذات الوقت". (كما لو كان للطرفين معلم واحد) تمكن من ضرب أكثر من هدف (عصفور) في وقت واحد.

والطريف في الأمر كما جاء في الكتاب بالتفصيل كيف أن "كياتوري" قد كشف الغطاء عن أغرب قضية في السياسة. حيث أشار إلى أن كثيراً من الشيوعيين الإيرانيين والعراقيين والفرنسيين تعاونوا مع الخميني عندما كان في فرنسا وقدموا له مساعدات كثيرة كونه كان معارضا للشاه. الذي كانوا يعتبرونه أكبر عميل لأمريكا في المنطقة (وهذا كان ومازال مبدئاً عاماً لدى الشيوعيين في العالم معاداة الملوك المعروفين بالعمالة لأمريكا). وبين أن أي منهم لم يقم بأي نشاط ضد الخميني أو الملالي خاصة الشيوعيين العراقيين لأنهم كانوا يقفون مع الخميني طوال الوقت فقط لكونه معادياً للشاه العميل لأمريكا. ومع كل ذلك لم يشفع لهم ذلك عند الخميني وجماعته وتم إعدام حوالي 5000 شيوعي إيراني. ومع ذلك يا للأسف كما قال كياتوري تم اعتراف السوفييت بالجمهورية الإسلامية وثمن بريجينيف في كلمته في المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي السوفيتي عالياً الثورة الإسلامية.

ويبدو أن المخابرات الغربية لنشر كياتوري ذلك الكتاب والمعلومات المرعبة التي سنأتي لاحقاً على ذكرها. قررت قتله وهذا ما حصل في باريس حيث تم اغتياله مع شقيقة في منزله في باريس.

البطش بأمر الله:

لم يكن الشاه يفكر باستخدام الجيش والسافاك للبطش بالثوريين الإيرانيين ليس لأنه كان رحيما أو رؤوفا بهم. بل لأنه كان يعرف كسياس مخضرم، كما تعرف السافاك والسي آي إيي، أنه إن تم البطش بهم لن تنتهي الأمور وستعيش إيران في فراغ مدمر. وبما أنه لم يكن يوجد يومها في إيران بديل مقنع للشعب الإيراني عن حكمه حتى لو قتل جميع الثوار الموجودين في السجون الإيرانية والتي تقدر أعدادهم بمئات الآلاف.

وكانت هذه المشكلة بتقدير كثير من المحللين أصعب مشكلة واجهتها السي آي إيه كما قال "كوبلاند". بعد تسلم الخمينيين الحكم. لكن هذه المسألة على ما تشير الأمور حلت بسرعة بمجرد موافقة الخميني على تسلم الحكم. بقتل هؤلاء المعتقلين الثوار. كون الإسلام يحض ويدعو لقتال الكفار والمشركين والمرتدين وذبحهم شرعا. فكيف إذا كانوا شيوعيين وماركسيين وعلمانيين كفرة؟ عندها فإن قتلهم لا يكون حلال فقط بل واجب. ذات الفكرة أكد عليها - أيضاً - أبو الحسن بني الصدر بأنها قد حلت بقوله: "بعد أن وافق الخميني على تسلم الحكم. وعلى قيام جمهورية إسلامية في إيران. أصبح بإمكان الشرطة والجيش أن يحكموا البلد والشعب باسم الله والدين والاسلام وارتكاب أبشع الجرائم بحق من لا يرضى بذلك. حيث كما قال "بني الصدر" في مقابلة له أذاعتها قناة الجزيرة" بعد أن تسلم الخميني حكم إيران. تم إعدام وقتل حوالي مئة ألف معتقل من اليساريين الذين كانوا في السجون في عهد الشاه، دون محاكمات. كما تم إعدام حوالي 500 شخصية بارزة في الجيش والدولة قدمت المخابرات المركزية أسمائهم للخميني. على اعتبار أنهم من المخابرات السوفيتية السرية. (ملاحظة): الأمر ذاته حصل في سوريا حيث تم اعتقال كل من قاموا بالثورة وكانوا بغالبيتهم وطنيين وثوريين ولم يكونوا إسلامويين تمت تصفيتهم في سجون الأسد حيث قدرت اعدادهم بأكثر من مئة وثلاثون ألف معتقل. منهم ما يزيد عن 11 ألف من ممثلي التنسيقيات تم حرقهم. مما يشير إلى النظام السوري إن لم يكن قد تعلم ذلك من الإيرانيين فقد تعلمه من ذات المعلم الذي علم الخمينيين والسافاك (ثم اطلاعات) كيف يتم البطش.

لجان الموت:

استناد للشرع الإسلامي كما فهمه الخميني (وربما كما افهمه له برنار لويس) تم تشكيل لجان للموت سميت لجان الإعدام. واستناداً لما ذكره أحمد رضا جلالي وهو ضابط سابق في المخابرات هرب من تنفيذ حكم الإعدام عليه؟ على السويد. وفي أكثر من ألف صفحة كتبها بين بالوثائق أن لجان الموت أن اغلبها شكلت من الغوغاء والجهلة والأفاقين وبأنها راحت تحاكم وتقرر وتنفذ حكم الإعدام بكل من هو معروف بأنه غير ملتزم بالشرع أو لا يصلي ويصوم أو غير مسلم. حيث يعتقد أن عدد من أعدموا قد يفوق الرقم الذي أعلن عنه سابقاً (مئتي ألف مواطن) وهو ما جعل يومها لجان دولية منهم لجنة للدفاع عن حقوق الانسان مكونة من 150 قاضي وكاتب وعلماء منهم علماء حائزين على جائزة نوبل. تصدروا بيانا استنكروا فيه هذه الاعدامات خاصة لأنها تستند على ما يعتقد به المرء وليس على ما قام به من أفعال.

ونسوق للتأكيد على ما سبق أن إبراهيم رئيسي رئيس جمهورية إيران الحالية كان قد أكد على ذلك بصورة غير مباشرة في محاولته للرد على الاتهامات التي وجهت له بأنه كان مسؤولاً عن أحد لجان الموت والاعدامات في طهران بقوله: "أنه كان يتصرف وينفذ أوامر كان يصدرها الخميني" ما يعني أنه لم ينفي وجودها بل استحسنه وأشاد بها عندما قال "كل ثورات العالم تفعل الأمر ذاته مع خصومها".

مما يشير إلى أن هذه الاعدامات كانت مطلوبة ومخطط لها لتخويف الناس والجنود العاديين وجعلهم يصمتون ويلبسون العمامة ونسائهم الشادور. ويطيلون ذقونهم تجنباً للنبذ أو خوفاً على حياتهم وحياة عوائلهم، بما يجعل الأبواب مفتوحة لهم في ذات الوقت لتسلم المناصب التي تغدقها عليهم المرجعية بموافقة جهاز اطلاعات. وهكذا لم تم البطش بالثورة وقيادتها بل وبكل من ويقف على الحياد وبمن يمكن أن يقف ضدها. بل وأرغم الناس على التدين.

احتجاز الرهائن في السفارة الأمريكية بطهران:

بما أن الجرائم المرتكبة بحق القوى اليسارية والشيوعيين والديمقراطيين تشير وتؤكد على أنه إن لم يكن برضى المخابرات الأمريكية فإن لها دور كبير في ذلك كونه جاء يتفق مع سياستها العامة في كل بلدان العالم الثالث ويأتي في سياق الحرب العالمية الشاملة كانت تشنها أمريكا ضد اليسار والقوى الديمقراطية في العالم.

وبما أن أحدا لم يكن يعرف من هم الأعضاء السريين للأحزاب الثورية أكثر من السافاك والمخابرات الأمريكية. لذلك لم يكن محايداً في العالم كله بما فيه الإيرانيون أنفسهم يمكن أن يتخيل أن ما حصل من هجوم على السفارة الأمريكية بطهران لم يتم دون علم السافاك أو المخابرات المركزية. وهو ما يؤكد عليه نهاوندي (ص 174) بقوله: أن مسؤولا في السفارة الأمريكية كان على علاقة جيدة برئيس اتحاد الطلبة الإيرانيين الذين احتلوا على الأغلب بتوجيهات منه السفارة الأمريكية.

وبما أن كثيرين لم يكونوا يتخيلون أو يصدقون أن ثورة معادية للإمبريالية والصهيونية وباسم الإسلام. يمكن أن تنتصر بهذه السهولة والبساطة - في إيران التي كانت تعتبرها أمريكا أهم قاعدة عسكرية وسياسية

لها في وسط وغرب آسيا لذلك كان لابد من القيام بهذه الحركة البهلوانية (الاستعراضية) ضد السفارة الأمريكية لتعطي انطباعاً بأن موقف إيران قد تغير تجاه أمريكا ويسكت أي تحرك يمكن أن يتهم الخميني بموالاتها.

وبما أن أحداً لم يصدق أن حكومة مثل حكومة الشاه المعروفة بالعمالة والتبعية لأمريكا وحليفتها إسرائيل يمكن أن تسقط بهذه البساطة وتتحول بين يوم وليلة إلى دولة معادية لهما، لذلك حامت الشكوك حول أن ما حصل في إيران كان مؤامرة أمريكية لتغيير الوجوه وهو ما لا تريده أمريكا لأنها تعرف مدى كره الناس لها. وهذا طبعاً - ما كان يعرفه قادة الانقلاب والمخابرات الأمريكية. لذا كان عليهم أولاً أن يبعدوا عن أنفسهم هذه التهمة، بما جعل الناس تصدق أن ما حصل كان ثورة وأنها ليست عملية لأمريكا بل عدوة لها. وفي ذات الوقت ليكسبوا الرأي العام الإيراني والعربي المعروف بعدائه العميق لأمريكا.

واستناداً لهذا التكتيك تحركت مجموعة من الطلاب (حوالي 500 طالب. زعموا أنهم مؤيدين للإمام "الخميني" يوم 4 تشرين الثاني 1979 أي بعد أربعة أشهر من تشكل لجنة الإعدامات وللتغطية على جرائمها. قامت بمهاجمة السفارة الأمريكية في وضح النهار واحتجزوا جميع الموظفين والعاملين في السفارة والذين كان يبلغ عددهم ستين شخصاً. بما يجعل العالم يقتنع أن الخميني معاد لأمريكا. ومن بعد ذلك الاحتلال بدى للعالم أن ما حصل في إيران كان فعلاً ثورة ضد الغرب وأمريكا وليس لعبة.

مع العلم أن احتلال سفارة لأمريكا أو غيرها في أي دولة في العالم مهما كانت كبيرة عملية سهلة وليست بطولية. إن لم نقل أنها استعراضية وسخيفة، كونها تخالف أبسط الأعراف الدولية المتعارف عليها.

لكن المهم هو أن أنصار الخميني (بين الوقائع لاحقاً أن بعضهم كانوا عناصر من السافاك) حققوا بهذه الحركة الاستعراضية (التي اعتبرها بني الصدر (أول رئيس لجمهورية إيران الإسلامية أنها مجرد مسرحية) غطاءً جيداً لعمليات الإعدام التي كانت السافاك تقوم بها. حيث حولت الأنظار عما كان يجري في الأقبية من عمليات إعدام بالجملة، إلى ما يمكن أن تقوم به أمريكا كرد فعل على ما حدث أو يمكن أن تقوم به للإفراج عن الرهائن وراح العالم كله يترقب ردات فعلها على هذا التحدي الخطير. وهكذا تم تجاهل وعدم رؤية ما كان يجري في الداخل من إعدامات وتصفيات وعمليات إبادة جماعية. وهكذا عاش الإيرانيين والعالم 444 يوماً في حالة ترقب وانتظار عملاً كبيراً سيحدث، في حين كانت عمليات التصفية تتم على قدم وساق. ولم تقم أمريكا بأي عمل باستثناء إنزال جوي قامت به طائرة أمريكية في صحراء إيران هبت فيها عاصفة نتج عنها مقتل جنديين أمريكيين.

والطريف أن كثيرين وجدوا فيما حصل في السفارة بأنه كان فعلاً تحدي لأمريكا وانتصار عليها وبأن ما حصل في إيران كان فعلاً ثورة ضد أمريكا.

الفصل الرابع:

مناقشة ما جرى في إيران منذ عام 1979 إلى عام 1980

بما أن ما حصل في إيران مع بداية وصول الخميني في الأول من شباط عام 1979 هدأ الشارع الثائر فبدى للكثير من الناس كما لو أن الثورة حققت أهدافها بعودة الخميني - وبدى للكثيرين كأن الثورة قامت من أجل عودته. بينما كان يعرف الجميع أن الثورة قامت من أجل الانتهاء من حكم الشاه والنظام الملكي الاستبدادي، وللقضاء على الفساد والفقر والتفاوت الطبقي الحاد ونشر الديمقراطية والحرية والتحرر والحد من تدخل رجال الأمن في حياة الناس وسيادة القانون والحد من الفقر والبطالة وسيطرة الغرب على مقدرات البلاد وفرض حد أدنى من المساواة والعدالة الاجتماعية. وليس كي يعود رجل منسي ليحكم الناس باسم الإسلام.

ومن المؤسف أن أغلب وسائل الإعلام تجاهلت تضحيات ملايين اليساريين والديمقراطيين والعلمانيين ورجال الدين المنفتحين على العالم خلال السنوات السابقة. وكل العمليات الدراماتيكية التي حصلت من تغيير لثلاث رؤساء وزارات وحكومات وتغييب لشخصيات بارزة ومحبوبة من الشعب. وذكر وتذكر ويهول فقط بما قام به الرجل المنسي والمجهول بعد عودته لإيران.

لا أبالغ إذا قلت أن ما حصل كان أكبر عملية تزييف جرت في التاريخ خاصة تاريخ الثورات. لذلك كان لابد من فضح هذه العملية التي ساهم الإعلام الغربي والعربي في صنعها وترويجها - ليس من خلال طمس كثير من الحقائق وعرض الأكاذيب وطمس ما جرى فعلاً. لذا كان لابد من كشف..

أولاً: التناقض بين فكرة الجمهورية والإسلام:

أ: بما أن كلمة ومصطلح جمهورية يستخدم للدلالة على نظام حكم مدني دنيوي قائم على عقد اجتماعي متفق عليه بين الحاكم والمحكومين لا علاقة له بما كان متبع أو مفروض سابقاً ولا بما هو منزل من السماء. بينما مصطلح "حكم إسلامي" يستخدم للدلالة على حكم يستند إلى مبادئ وقيم منزلة من السماء من خلال كتاب اسمه القرآن الكريم غير قابلة للتغيير. ولا يجوز تجاوز ما جاء فيه أو مخالفته.

ب: تستند فكرة الجمهورية بشكل رئيس على اختيار الشعب لحاكمه (بعدة طرق) أهمها دستور وضعي (تضعه مجموعة من المفكرين والقانونيين المختصين) بينما يتم الحكم في للإسلام استنادا على مبدأ "الحكم شورى بينكم" أي يجب أو يفترض التشاور والتوافق فقط بين نخب وزعامات أو حكماء البلد

المعروفين على مبايعة واحداً منهم يقود الناس ويدير شؤون البلد استنادا لمبادئ وقيم منزلة وثابتة. واستنادا لهذين الفرقين نجد أن العقل والمنطق لا يجيز الجمع بين الحكمين الجمهوري والإسلامي. أو بين الجمهوري والمسيحي أو البوذي.. إلخ.

ج: تقوم فكرة الجمهورية على اختيار أو انتخاب الرئيس من قبل الشعب مباشرة أو من قبل نواب يختارهم بحرية ونزاهة استنادا لتطبيق العقد المبرم بينهم. وفي حال خالف هذا العقد يزاح فوراً أو في الانتخابات القادمة ويتم اختيار بديلاً عنه بكل سلاسة وبساطة. بينما حسب الشريعة الإسلامية (في أحسن الأحوال) يمكن أن تتفق النحبة الحاكمة على بقاء هذا الحاكم أو ذاك لفترة طويلة دون تحديد زمن لها قد تكون للمات كما حصل مع أبو بكر وعمر وعثمان وعلي ومعاوية. حتى لو أضر هذا الحاكم بمصالح الناس والوطن وحتى لو خالف ما هو منزل والمختلف عليه في التفاسير المختلفة (حيث ان ما جاء في القرآن حمال أوجه أثناء التطبيق.) لذلك نرى ذكر جملة يجوز هذا ويجوز ذاك تتكرر كثيراً في جميع الأحكام الشرعية) بينما في الدستور الوضعي لا توجد مثل هذه التفسيرات المتباينة لما يجب اتباعه في الحكم. والتي إن تبين أنها ليست واضحة ومحددة بدقة يتم سن قانون أو تعديل بشأنها. وهذا فرق حاسم وأساسي لا يجيز لنا ولا لغيرنا الجمع بين أسس المفهومين والنظامين.

د: بما أن كل الدساتير في العالم هي وضعية (يضعها ويكتبها ويصيغها بشر) بما فيها الدينية، بمعنى أن بشراً مثلنا يكتبوها على الورق ويعملون على تنفيذها، بناء على ما هو منزل من السماء، أو بما يتفق عليها القانونيين والاخصائيين لذلك يمكن للحاكم أن يتبنى مفهوماً لعالم معين يختلف عن مفهوم آخر لعالم دين آخر (كما حصل إزاء أبو حنيفة). وفي حال تبين لاحقاً في التطبيق العملي، أن فقرة ما أو بنداً ما ألحق ضرراً بمصالح المجتمع يتم التوافق على تبديله وقد يتم تبديل الدستور كله. بينما في الإسلام لا يمكن تغيير المتفق عليه بين العلماء من خلال (الإجماع).

هـ: يفهم مما سبق أن الجمع بين كلمتي الجمهورية والإسلام. غير جائزة منطقياً وعقلياً ومفاهيمياً وتطبيقياً. ما يعني أن الجمع بينهما معا في نظام واحد ما هو إلا وسيلة للضحك على الناس البسطاء. ولخلط المفاهيم والحقائق بما يتيح للقوى الحاكمة أن تحكم تارة وفق الدين وتارة وفق مفاهيم الجمهورية. بما يترك لها المجال للتلاعب بما في ذلك لتمرير مصالح خاصة بها أو لمن هم مستفيدين من الحكم. بما يمكن الحكام تحويل النظام إلى حكم استبدادي تستخدم فيه كلمة الجمهورية كطلاء خارجي للتغطية على الاستبداد وعودة الحكم الملكي القديم. بنما قد يكون المالكي مستنداً على الدستور مثل الجمهوري.

مع الإشارة إلى أن إقامة نظام جمهوري بدلاً من الملكي قد يكون مطلوباً من الجماهير كونه بات يشكل لدى غالبية النخب في العالم خطوة للانتقال بالبلد من التخلف والإقطاع إلى دولة متقدمة وديمقراطية وعادلة. لكن التسمية وحدها لا تكفي وحدها بل لابد من أن ترفق بالتطبيق العملي.

ك: إن مجرد الإعلان عن قيام الجمهورية لا يعني أن البلد صار جمهورية حقيقة أو فعلاً وعملياً ولا ديمقراطيا. بل قد يكون ذلك غطاء لفرض حكم استبدادي باسم الجمهورية. كما حصل في كثير من الدول بما فيها فرنسا ذاتها وتونس ومصر والسودان والعراق والجزائر وليبيا.. إلخ. حيث فرض الاستبداد باسم الجمهورية، بل لابد من الحكم على الجمهورية من خلال ما يقوم به الحاكم لمصلحة غالبية أبناء الشعب.

فإعلان الجمهورية لا يعني بالضرورة أن النظام أو البلد أصبح جمهورية فعلاً. أو أصبح بلدا ديمقراطياً أو مستقلاً أو متحرراً أو أن ما حدث كان ثورة أو نجاحا للثورة كما حصل في أغلب بلدان العالم وخاصة

العربية. حيث تسلم العسكر الحكم الجمهوري وساد بعد ذلك الاستبداد وقمعت الحريات ومنعت الأحزاب باسم الثورة والجمهورية، بدلاً من نشر الحرية والديمقراطية والنمو والتطور، وحيث استخدم اسم الثورة والجمهورية لسرقة القطاع الخاص باسم القطاع العام أو للتعمية والتغطية على العمالة والتبعية. وكما هو واضح حتى اليوم، في كثير من الأنظمة الجمهورية الرئاسية كما في سوريا وروسيا. والتي هي أقرب ما تكون إلى الأنظمة الملكية المطلقة منها على الجمهورية. والكل يعلم أن جمهوريات الموز في أمريكا الوسطى تقدم لنا أمثلة حية عن حكومات تمثل وتجسد الفساد والخراب وتسيطر عليها العصابات والعساكر وقوات الأمن لمصلحة مافيا المخدرات.

ل: إذا ما دققنا فيما جرى في إيران فعلاً وعلى أرض الواقع، منذ أن تم الإعلان عن الجمهورية نجد أن النظام الجمهوري المزعوم، قام باستبعاد أغلب القوى والأحزاب الوطنية والديمقراطية واليسارية والدينية، أو همشها أو اعتقل قياداتها أو قتلها أو أجبرها على الهرب، وأبقى على اتجاه وحزب واحد يسيطر على الحكم وهذا ما يتناقض مع أهم أسس النظام الجمهوري (حتى مع الإسلام الذي كما بينا في حكم الرسول في المدينة لم يلغ الأحزاب). كما حصل في كوريا وروسيا وسوريا. مما يفترض بنا وضع النظام الحاصل في إيران في قائمة الدول الاستبدادية.

بناء على كل ما سبق لا يمكن أن نطلق على ما جرى في إيران بناء على الوقائع الحاصلة على الأرض أنه كان ثورة بل انقلاب لفرض حكم فردي استبدادي (ثيوقراطي) أبشع من النظام الشاهنشاهي القديم حيث على الأقل لم يمنع الشاه الأحزاب المعارضة من البقاء والتعبير عن مطالبها وإن بهامش ضيق من الحرية والنشاط.

ثانياً: قراءة ما جرى في سياق التغيرات العالمية:

أ: التدخل ضد السوفييت في أفغانستان:

من المؤسف أن كثير من المنظرين الإسلاميين يتناسون أو يتجاهلون أن الدور الذي قام به المجاهدون العرب والإيرانيين بعد أن حكموا إيران كان له دور كبير في هزيمة السوفييت في أفغانستان صب وما زال يصب في مصلحة الغرب وأمريكا. يجيز لنا القول بأنهم شكلوا بوعي أو بعلم أو بدونهما أداة لتحقيق تلك الهزيمة بنظام كان يقف إلى جانب الشعوب. وبالتالي كانوا أداة بيد قادة الثورة المضادة للثورة العالمية والديمقراطية والعدالة الاجتماعية في المنطقة والعالم وبالتالي ساهم في هيمنة الإمبريالية المتوحشة على العالم وعلى بلادهم وكانوا بالتالي دون أن يعوا سبباً غير مباشر فيما عانت منه بلدانهم ومما يعانون منه حتى اليوم.

نذكر من نسي أن العالم في عز وعنفوان الثورة التي تصاعدت بشدة في إيران عام 1977 فوجئ بقيام الحزب الديمقراطي الأفغاني بقيادة "نورتراقي" بانقلاب في أفغانستان في شهر نيسان من عام 1978، ضد محمد ظاهر شاه (حليف السوفييت وبما أن تراقي كان معروف بأنه شيوعي متطرف، لذلك بدى للعالم أن ما حدث في افغانستان هو انقلاب شيوعي (مع أن التحقيقات أظهرت أنه كان عميلاً للمخابرات المركزية الأمريكية). بما يفهم منه أن نجاح مثل هذا الانقلاب في أكثر البلدان الإسلامية تخلفا ورجعية لا يعدو كونه قفزة في الهواء لابد أن يقع فاعلها على رأسه وتنكسر عنقه - اللهم إلا إذا كان ذلك بالأساس مؤامرة. كتلك التي حصل في السودان عام 1971 نتيجة انقلاب مزعوم ومشبوه قام به أحد الضباط كي يتخذ منه ذريعة

للفتك بالشيوعيين والحزب الشيوعي السوداني وأغلب القوى الديمقراطية بهدف إيصال حزب الأمة الاسلامي للحكم. وهذا ما كان يدعوا للشك والاعتقاد بأن المخابرات المركزية الأمريكية كانت وراء ذلك الانقلاب المشبوه الذي حصل في أفغانستان لكي تتخذ منه أمريكا حجة للتدخل في أفغانستان كي تحول دون تحولها نحو الشيوعية. فبدأت ترسل المساعدات للقوى المناهضة للشيوعية بما يحول دون تحول الجارة إيران إلى نظام موالي للسوفييت وكيلا تكر السبحة في الدول المجاورة، كما تتساقط أحجار الدينامو.

الأمر الذي استدعى من الطرف الآخر ممثلاً بالحزب الشيوعي الأفغاني (حزب خلق) بقيادة "حفظ الله أمين" من القيام بانقلاب آخر ضد انقلاب نور تراقي المشبوه. وطلب المساعدة من السوفييت. وكان هذا الانقلاب والتدخل السوفييتي بمثابة الذريعة التي استخدمتها المخابرات الأمريكية كي تؤلب الحكومة الأفغانية والشعب الأفغاني والحكومات والشعوب الغربية والرجعية المعادية للسوفييت والاشتراكية في المنطقة والعالم ضد ذلك الانقلاب الشيوعي الكافر. والعمل على هزيمته، بما يبرر لهم تسليح المعارضة الإسلامية في أفغانستان والباكستان، وتجييش المسلمين في كافة أصقاع العالم (خاصة السعودية) التي تكفلت بدفع الأموال اللازمة لمحاربة وإسقاط الشيوعية وهزيمة السوفييت في أفغانستان. وبالتالي فتح حرب جهادية مقدسة ضد الشيوعية واليسار حيث اضطر "أمين" إلى طلب المساعدة العسكرية من السوفييت لمواجهة التدخل الخارجي الذي تقوده أمريكا.

والغريب في الأمر هو موافقة الكرملين على التدخل في أفغانستان بسرعة دون مناقشة أبعاد وأخطار هذا التدخل سواء في مجلس السوفييت الأعلى أو في الحزب. حيث ثبت فيما بعد أن هذا التدخل السوفيتي تم نتيجة لموافقة المخابرات السوفيتية وقادة الجيش فقط. حيث كان من المتوقع حسب تصور الكرملين أنه إذا ما نجح اليساريون والعلمانيون في حكم أفغانستان ومن ثم في إيران حيث كانت الثورة مشتعلة ضد الشاه. فإن لهيب الثورات اليسارية سوف يمتد بعدها ليطال كلاً من العراق ومن ثم سوريا والباكستان.. إلخ. بينما رأت أمريكا والغرب في ذلك التدخل خطراً جدياً يهدد وجودهم في الشرقين الأدنى والأوسط ومن ثم في العالم كله. لذا كان لابد من إجراء سريع يبدأ من الجارة إيران. فلم يكن أفضل من الإسلاميين لتسلم حكم إيران كي يقيموا سدا منيعا يوقف التمدد السوفيتي.

وبما أن باكستان الرجعية كانت مؤَمنة (حليفاً موثوقا) لأمريكا تكون أمريكا بذلك الحكم الإسلامي في إيران قد أقامت سدان منيعان أمام التوسع الروسي من أفغانستان. من جهة الشرق والغرب.

ولم يكن ينقص الأمر سوى أن تسقط المساعدات السعودية من فوق ومن كافة الحدود والمنافذ للمجاهدين العرب المسلحين بأحدث الأسلحة الأمريكية وبإدارة أمريكية لوجستية للمعركة. مما أدى إلى إلحاق هزيمة فادحة بالسوفييت أشد فداحة من هزيمة أمريكا في فيتنام. ساهمت بالتالي في سقوط النظام السوفيتي. ما يشير إلى ن سير الأمور بدءاً من تسلم الخمينيين حكم إيران عام 1979 إلى إرسال المجاهدين العرب كان يرمي إلى قلب الأمور في أفغانستان رأسا على عقب. لمصلحة أمريكا. مما يشير إلى أن المسلمين كانوا دون أن يدروا أداة وسلاح بيد الإمبريالية الأمريكية مما مكنها من الانتصار عالمياً ومن ثم الالتفات لهم كي تنكل بهم اليوم.

مما يشير -أيضاً- إلى أن التدخل العسكري السوفيتي كما أثبتت بعض الوثائق المنشورة من قبل الغرب بعد ذلك أن ذلك التدخل كان فخا نصبته المخابرات الأمريكية لتجر السوفييت إلى مواجهة مع العالم الإسلامي كله ولكي تغرق في المستنقع الأفغاني كما أوقعت روسيا أمريكا في المستنقع الفيتنامي عام 1963.

ب: هزيمة السوفييت في أفغانستان:

وهكذا غرق السوفييت في أفغانستان في الوقت ذاته الذي وصل فيه الخمينيين لحكم ايران فتمت محاصرتهم وخنقهم.

بما يفهم منه أنه لو لم تتحول إيران إلى دولة إسلامية فإن أمريكا كان يجب تقيمها في إيران بالقوة لتهزم وتحاصر السوفييت. وأنها كانت سوف تسقط الشاه وتأتي بالخميني أو بما يشبهه كون الشاه فقد قدرته على مجابهة الخطر السوفييتي وبالتالي فقد دوره في المنطقة وكان لابد من إزاحته وفرض حكومة إسلامية لتوقف المد الشيوعي في المنطقة. ولما توقف التمدد السوفيتي في العالم بعد هزيمته عسكرياً وارهاقه اقتصادياً. تكون الاستراتيجية الروسية لنشر الاشتراكية قد سقطت.

ونحن في هذا المجال لا يمكن إلا أن نعترف بالدور الفذ الذي لعبه الأفغان والمجاهدين العرب في تلك الهزيمة. ومن كيف ساهموا في انتصار ما تسمى ثورة إسلامية في إيران ومن ثم في محاصرة السوفييت وانهاء الاشتراكية وضرب حركات التحرر في جميع بلدان العالم.

مما كان يجب أن يفهم منه من يومها (ولعل هذا ما فهمه غورباتشوف ومن يحيطون به) بعد أن وصل للحكم عام 1985 أن إمكانية توسع النفوذ السوفيتي (باسم الاشتراكية) من خلال التدخل العسكري لم يعد له مجال في هذا العالم وبالتالي لم يعد للقوة العسكرية للسوفييت تلك الفعالية. وأن الاشتراكية والنظام السوفيتي القائمة على الصناعات العسكرية والدكتاتورية بحاجة لإصلاح فطرح فكرة إعادة النظر بشفافية (الغلاسنوست) وإعادة البناء (البريسترويكا) ولما بدأ بالإصلاح تفاقمت الأزمات الداخلية العديدة التي كان يعاني منها الاتحاد السوفيتي منذ زمن ستالين. وبعد عام من وصوله للحكم وقع عام 1986 على اتفاق يقضي بإخراج القوات السوفيتية من أفغانستان. وبعد عامين تبين أن بقاء الجمهوريات السوفيتية متحدة بالطريقة الستالينية لم يعد واردا أو ممكنا، مما أدى إلى تفكيك الاتحاد السوفيتي وفسح المجال لـ "يلتسين (رئيس روسيا السوفيتية) للهجوم على مجلس السوفييت والتحول إلى الرأسمالية. مما أدى عام 1991 إلى تفكك المنظومة الاشتراكية وهيمنة الولايات المتحدة على العالم. وبالتالي تراجع وتردي أوضاع دول العالم الثالث أكثر مما كانت عليه. وهذا ما يدفعنا إلى البحث عن العوامل التي أدت إلى هذا التردي والتي مهدت وتمهد الطريق لمزيد من التردي. لعلنا نتمكن من تجنب المزيد منها مستقبلاً.

فإن أول ملاحظة تسجل عن خطورة ما جرى في إيران هو أن عملية تحويل الثورة الوطنية الديمقراطية الشعبية إلى حركة دينية قد هدأت نومت الشعب الإيراني على أمل أن تحدث الحكومة الاسلامية تغييرات في الحياة العامة تنعكس ايجابيا على حياة الناس. وهو ما مهد الطريق لتقبل الحكم الأوتوقراطي (الاستبداد الديني). الذي ربما سيحدث نهضة في البلاد.

لكن ما حصل على أرض الواقع كان مرعباً. فبعد أن استتب الحكم لرجال الدين وبدلاً من أن يلتفتوا للداخل راحوا يفتحون المعارك في الخارج ليلهو الناس عما يجري في الداخل من جرائم وتشويه.

وهو ما كان علي شريعتي قد نبه له حيث أطلق على مشروع إقامة دولة إسلامية في إيران واعتبارها منطلقاً لتغيير العالم. مصطلح "الاستحمار" (في كتابه النباهة والاستحمار). لأنه حسب رأيه "لم ولن توجد دولة بإمكانها أن تغير العالم " (حتى بعد قيام الإسلام في الجزيرة العربية وحكم ابو بكر والخلفاء الراشدين. لم ينتشر الاسلام في العالم كله ولم يتغير العالم). فالوقائع والمنطق يؤكدان على أنه لا يوجد ولن يوجد دولة في العالم تستطيع أو يمكن أن تفرض ديناً أو مذهباً أو نظاماً معيناً على جميع بلدان العالم.

وبما أن منظريها أدركوا أنهم لن يحدثوا فرقاً في الداخل الإيراني لذلك راحوا يفتحون المعارك مع الخارج والزعم بأنها كثورة جاءت لتغير العالم. بما يفهم منه أن فتح المعارك مع المحيط والعالم والتدخل في الشؤون الداخلية للدول المجاورة كان حتمياً وجزءاً أساسياً في السياسة الخارجية لحكام إيران الجدد. لذلك لا يمكن مناقشة هذه السياسة الخارجية خارج ما كانت تسعى له أمريكا من تغيرات في النظم العربية وخرج سياق ما جرى ويجري في العالم أو خارج رؤية التغيير الحاصل أو المراد إحداثه في العالم.

وطالما أن الثورة المزعومة لم تأت من فراغ ولم تنزل من السماء بل كانت وما تزال نتاج إفرازات الواقع الموضوعي القائم في العالم الذي تسيطر عليه الإمبريالية. لذلك يفترض العقل والمنطق أن توضع في سياق ذلك العالم الواقعي. ومحاكمتها بناء على ما قامت بع بالفعل والواقع وليس بناء تلك الأوهام الأيديولوجية أو التدخلات الإلهية.

التي زعمت أن الثورة الإسلامية الإيرانية هي ثورة بديلة عن الثورتين البرجوازية والاشتراكية. وبأنها هي التي ستعيد للثورة الإلهية التي نزلت على نبينا محمد ألقها وعنفوانها، وبالتالي فهي الثورة التي سوف تغير العالم وتنشر السلام والوئام والأمان والعدل في العالم.

وبما أن شيئاً من السلام والوئام والعدل لم يحدث لافي إيران ولافي العالم الاسلامي بعد مضي أكثر من أربعين عاماً. فهذا معناه أن هناك خللاً فيما قد حصل من الأساس في الرؤية والتنظير والفعل والعمل والحل. لابد لنا من معرفته والبحث عنه لنتجاوزه.

هل لأن طبيعة الأمور هي هكذا كما حصل عبر التاريخ في كل الامبراطوريات والثورات؟ أم لأن ما جرى في إيران لا يختلف عما جرى في كل من ألمانيا وايطاليا من عمليات للقضاء على الثورة الشعبية الديمقراطية؟

الانتقال من الأيديولوجيا إلى السياسة:

من تابع ما جرى في ألمانيا اوفي إيطاليا أو اليونان أو اسبانيا أثناء الثورات الشعبية التي حصلت فيها يكتشف ببساطة أن الفاشية والنازية كانت أفضل الأيديولوجيات للقضاء على الثورات الشعبية الديمقراطية. وهذا ما طبق في إيران من خلال الفاشية الدينية.

)لذلك فالحكم الصحيح على أي قوة لا يتم بناء على ما تطرحه من شعارات وما يقال معها أو ضدها من مواقف استنادا للإيديولوجيا والشعارات السياسية، بل استنادا لما تم وتحقق على أرض الواقع من أحداث دموية ومرعبة. والتي شكل فيها الدين ورجاله غطاء للجان الموت والإعدامات وإقامة المشانق في الشوارع ونشر رائحة الموت كما حصل في إيطاليا وألمانيا والعراق ضد الثوار، وكي لا ينكشف هذا التيار على حقيقته لجأ إلى:

<u>أولاً: توتير العلاقة مع أمريكا:</u>

بما أن الطلاب للتغطية على الجرائم التي كانت ترتكب في الأقبية زعموا أنهم عثروا على وثائق تثبت أن السفارة الأمريكية في طهران كان لها ليس الدور الحاسم في إسقاط ثورة "محمد مصدق" عام 1953 فحسب. بل الدور الحاسم في إعادة الشاه إلى حكم إيران. وبما أن هذا الأمر قد يتكرر ويعود الشاه للحكم. لذلك طالبوا أمريكا بأن تسلمهم إياه. واعتبروا الرهائن مجرد وسيلة للضغط على أمريكا كي تسلمهم الشاه.

وبعد أن تبين للطلاب (وهو مما لا حاجة لتبيانه) أن أغلب موظفي السفارة هم عملاء للسي آي إيه. مما أظهر للعالم أن الطلاب كانوا على حق في حجز الموظفين. وفي مطالبة أمريكا بتسليم الشاه الذي ذهب لأمريكا لتلقي العلاج. لكن بما أن القاصي والداني كان يعرف أن الشاه كان مريضاً بالسرطان وأن إيامه معدودة (أي لا يمكن له أن يقدر حتى لو أعيد بالقوة من أن يحكم إيران) لهذا فإن هذه المطالبة (كما بين أبو الحسن بني الصدر) كانت كذبة في مسرحية هزلية. ترمي إلى تحقيق أهداف أخرى منها اسقاط حكومة "بختيار" كونها كانت حكومة مدنية مقبولة من فئات واسعة من الشعب الإيراني وعارضت هذه الخطوة التي قام بها الطلاب لأسباب دبلوماسية وأخلاقية.

لكن الخميني أوحى للناس بأن تلك الحكومة المدنية - هي حكومة عميلة لأمريكا وبالتالي كان لابد من إسقاطها ليعين الخميني بدلاً منها حكومة جديدة وهكذا جاء بـ "مهدي باذرجان" الذي تبين أيضاً. أنه وحكومته كانوا مؤقتين أيضاً. حيث بعد أن أنجزت حكومة مهدي باذرجان مهمة التصويت على الدستور وإعلان قيام الدولة الإسلامية، لم تعد هناك حاجة فأسقطت وتسلم الحكم بعدها لحكومة إسلامية قرر الخميني أن يرأسها "أبو الحسن بني الصدر". تبين أن ذلك مؤقتاً أيضاً ليتسلم بعدها الخميني الحكم المطلق.

ومن يوم أن اتخذت المفاوضات حول الرهائن طابعاً سياسياً بين حكومة بختيار والحكومة الأمريكية. وبشكل فعلي بين رئيس المخابرات الأمريكية وليم كيسي وبين شقيق الخميني ومن خلفه المخابرات الإيرانية. وهو ما بينه ابو الحسن بني الصدر بقوله أنها كانت تدور بين الطرفين لتسليم أمريكا 24 مليار دولا نقد وذهب للشاه كانت موجودة في بنوك أمريكا ومسجلة باسم الحكومة الإيرانية. واعترافها أيضاً بإيران كـ "دولة إسلامية" (وهذا لا يفرق معها كثيراً سواء كانت إسلامية أو مجوسية) مقابل الإفراج عن المخطوفين في السفارة. وهذا ما كشف عنه الخميني في خطاب له في كانون من عام 1980 حيث قال بعظمة لسانه "أن كارتر وافق على تسلم الإسلاميين الحكم مقابل الإفراج عن المحتجزين". (ألا يؤكد ذلك ان احتجاز الرهائن كما قال بني الصدر كان مجرد مسرحية) لكن بما أن هذا الأمر لم يتحقق فوراً، بل كان لابد لإخراجه من إجراء مفاوضات كانت تجري مع الجمهوريين كون الوقائع كانت تشير إلى أنهم سيتسلمون حكم أمريكا بدل الديمقراطيين من خلال إيصال ريغن لسدة الرئاسة في أمريكا. حيث وعدهم بالإفراج عن أموال مجمدة في أمريكا لإيران بعد الإفراج عن الرهائن. فور الإعلان عن فوز "ريغن" (ممثل اليمين المتطرف في أمريكا والعالم) بالرئاسة الأمريكية. وهو ما حصل فعلاً حيث تم الإفراج عن الرهائن في يوم اعلان فوز ريغن وتم في ذات اليوم اعتراف الإدارة الأمريكية الجديدة بإيران جمهورية إسلامية. وهذا ما كان يرفضه الديمقراطيون سابقاً. ما يكشف عن تلاقي عضوي بين اليمين في البلدين.

ثانياً: الموقف من إسرائيل:

بما أن بداية تغير الموقف الشعبي الوطني والقومي واليساري العربي من إيران بدأ منذ أن قامت حكومة أبو الحسن بني الصدر في 19 شباط 1980 بأوامر من الخميني بإغلاق السفارة الإسرائيلية وفتح سفارة لفلسطين بدلاً منها. بعد أسبوع واحد من الإعلان عن تحول إيران إلى جمهورية إسلامية. وإعلان الخميني عن جعل كل آخر يوم جمعة من شهر رمضان يوماً عالمياً للقدس بهدف توحيد وتجميع المسلمين في العالم لتحريرها من رجس الصهاينة، حيث سيكون ذلك مقدمة لتحرير فلسطين كلها وإزالة إسرائيل من الوجود.

ومما لا شك فيه أن هذا الإعلان كان حتى لو كان للدعاية والإعلام فهو لا شك خطوة متقدمة في

مواجهة المشروع الصهيوني مقارنة بالتراجع الحاصل في الموقف العربي من القضية الفلسطينية في ذلك الوقت. ولهذا شكل هذا الموقف الإيجابي على بساطته أساسا لتغير موقف كثير من الجماهير العربية ومؤيديها من النخب العربية والأنظمة من إيران وبالالي برر لها المضي بالتحالفات معها كما فعل الأسد والقذافي. والوقوف في ذات الوقت من كانوا يعتبرونهم أعداء (نظام صدام حسين ومؤيديه في الكويت والسعودية وفلسطين). وما عمق هذا الاعتقاد عن ثورية إيران هو قيام صدام حسين المعروف بالدكتاتور العميل والمشبوه، بشن حرب على إيران. فبدى لو كان ينفذ للغرب وأمريكا وإسرائيل ما يريدون، مما جعل كثير من الجماهير العربية تقف ضد النظام العراقي ومؤيديه وتقف مع إيران.

ثالثاً: فضيحة الأسلحة الأمريكية المرسلة من إسرائيل:

والطريف في الأمر وعلى الرغم مما كشف عنه لاحقاً من أن إيران الإسلامية كانت قد تلقت أسلحة من إسرائيل. (فيما عرفت لاحقاً بفضيحة إيران غيت أو كونترا غيت). أن كثير من العرب والمسلمين المعادين لإسرائيل تقبلوا الحدث بكثير من البساطة مع أنها كانت تستدعي الإدانة والشجب والاستنكار. إذ كيف يمكن لدولة تزعم أنها ستحرر فلسطين من رجس الصهاينة وتقبل في ذات الوقت وتتقبل أسلحة من الدولة التي تزعم أنها ستزيلها من الوجود؟ وكيف يمكن لتلك الدولة التي ستزال أن تقدم الأسلحة لمن سيزيلها؟

والمنطق يقول: أن من يعتبر إسرائيل عدواً له ويقيم يوماً للقدس لتجميع الناس لإزالة الدولة التي تحتلها من الوجود، لا يمكن له بتاتاً وبأي شكل من الأشكال ولا تحت أية ضغوط أو أسباب، أن يقبل منها أي سلاح. سواء بثمن أو كهدية حتى لو كانت رصاصة. أم لأن الحقد الفارسي على العرب والعراق كان ومازال أقوى من العداء لإسرائيل وأمريكا وأن تقبله وتبريره يشكل انحرافاً في طريقة التفكير والنظر إلى الأمور؟

الفصل الخامس:

الدور الإقليمي والدولي الجديد لإيران

مما لا شك فيه أن إيران شكلت خلال العصور القديمة أهم إمبراطورية في العالم ولفترات طويلة جداً. وأن هذا كما كان محركا لصعود الفرس في العالم كقوة مهيمنة أكثر من مرة عبر التاريخ. لذلك كان لابد أن يبقى هذا العامل محركا للإيرانيين وأن يشجعهم على إعادة بناء تلك الامبراطورية. كلما سنحت لهم الظروف. لكن بما أن العالم كما بينا قد تغير جذرياً منذ القرن السادس عشر ولم يعد للإمبراطوريات القديمة دور في العالم الجديد. لكن مع ذلك ظل الفرس يحلمون ويسعون لإقامة امبراطوريتهم القديمة. وكما حصل سابقا من خلال البدء بالعراق.

بما أن الدور الإقليمي لأي دولة لا يتم فرضه بناء على رغبة ما تقرره أو ترغب به القوى الحاكمة في أي بلد بل يتم فرضه نتيجة القوة الفعلية الشاملة لمجموع القوى العالمية (امريكا والصين وروسيا واوروبا واليابان وتركيا) لتلك الدولة أو نتيجة للفراغ الذي ينجم عن غياب وتأثير القوى العالمية مثل أمريكا أو الاقليمية الأخرى مثل العرب (ممثلين بمصر والسعودية والعراق).

وبما أن أمريكا قبلت بحكم البعث وصدام حسين والأسد والقوميين العرب في مصر وسوريا والعراق واليمن وتركت لهم المجال كي يكون لهم دور إقليمي كقوى قومية لإزاحة أعوان الانكليز والفرنسيين. لكن عندما بات المطلوب اسقاط السوفييت والاشتراكية كان اللجوء للدين أجدى من القومية العربية ومن الاعتماد على القوميين.

لهذا راحت تشجع الفكر الديني كونه أجدى في محاربة الفكر القومي والشيوعي معاً. وبما أن خطر اليسار الوطني المحلي قد سقط وزال في إيران والإقليم بعد سقوط المعسكر الاشتراكي عام 1991 فلم تعد هناك ضرورة للاحتفاظ بالأنظمة القومية، بل باتت التضحية بها أمراً مطلوباً. وبات فرض أنظمة جديدة تجمع ما بين القومية والدين أو تتسمك بالدين وحده مطلوباً أكثر.

وطالما أن لا فرق عند الرأسمال بين الأديان الإسلامية أو البوذية أو الهندوسية أو المسيحية، فلقد وجد مفكر يهم مثل المفكر الصهيوني الكبير "صموئيل هنتجتون" ان الاسلاميين ما زال بإمكانهم العطاء أكثر، ويمكن أن يشكلوا بديلاً عن القوميين لمواجهة بقايا حركات التحرر الوطني، وهذا ما حصل فعلاً حيث راحت أمريكا وأوروبا وإسرائيل يتعاملون مع الإسلاميين كقوة حليفة وصديقة، أو العمل على التحالف معهم لمواجهة الوطنيين والديمقراطيين الجدد؟ ولهذا باتوا يستقبلون الفارين منهم من بطش الأنظمة الوطنية

في اوروبا وراحوا يفتحون لهم الأبواب والمراكز الاعلامية والدعوية (خاصة في بريطانيا) ثم راحوا يرعونهم ويدافعون عنهم إذا ما تعرضوا للاضطهاد في بلدانهم، ولم يكن ذلك حبا بهم أو بالإسلام بل كي يستخدمونها كأدوات لإسقاط ما تبقى من أنظمة وطنية أو ديمقراطية أو ثورية القائمة أو لمواجهتها إن كانت هناك إمكانية لظهورها، أو لتدمير بلدانها أو لتحارب بعضها البعض من منطلقات مذهبية أو طائفية، وبما أن إيران الفارسية باتت بعد عام 1955 (قائدة لحلف بغداد) وباتت تملك خامس قوة عسكرية في العالم. وقاعدة للعدوان على الدول المحيطة بإيران وخاصة الوطن العربي، ولمنع قيام أنظمة وطنية فيها بدءاً من الجارة العراق. وبما أن أمريكا والغرب كانت قد جعلت من إيران قاعدة أساسية لها في الشرقين الأدنى والأوسط في فترة الحرب الباردة فمن غير المتوقع أن تتخلى عن هذا الدور والموقع بعد أن وصل الإسلاميين للحكم ليس لمواجهة اليسار والقوميين والوطنيين في إيران فحسب في كل الإقليم، لذلك كان (حسب رؤية برنارد لويس وكسنجر وتشيني وبوش) لابد من أن تستخدم الفكر الاسلامي وإيران الشيعية كأداة لضرب الإسلام السني والجهادي في المنطقة وبالتالي السماح لها بالتوسع في الإقليم بما يلبي طموحات شعبها والنوازع القومية للفرس أو الدينية لأئمة الشيعة المغبونين والميالين للانتقام من العرب أو العاملين على تعميم مذهبهم أو لتحقيق أهداف أخرى مستجدة، وكان لابد لها من استيعاب طروحات الجمهورية الإيرانية الجديدة ومن العمل على وضعها في سياق استراتيجيتها العامة في المنطقة والعالم.

ومن تلك الطروحات أطروحة تغيير الأنظمة القومية في الوطن العربي من خلال العمل على إقامة حكومات إسلامية تحكمها حكومة إسلامية عالمية (مركزها لندن). وهي الأطروحة التي تبناها الخميني وأبو العلا المودودي وسيد قطب والنبهاني منذ زمن بعيد وعمل على تنفيذها على أرض الواقع من جديد "قاسم سليماني".

الحكومة الإسلامية العالمية:

بما أن الهدف من تسلم رجال الدين للثورة الإيرانية لم يكن يهدف إلى نشر الإسلام في إيران فقط، بل في العالم كله بدءاً من العراق، لذلك أعطوا لأنفسهم الحق في نشر وتعميم المذهب الشيعي وخاصة مذهب الولي الفقيه شرقاً وغرباً وبالقوة كما فعلوا أيام الساسانيين، بدءاً بالعراق وانتهاء بمصر والسودان وليبيا واليمن والجزائر.. إلخ. ومن ثم التوسع في جميع بلدان العالم بما يتيح للإسلام ان ينتشر حتى يعم العالم.

وهذا ما عبر عنه بشكل صريح "محمد علي الشيرازي" الناطق الرسمي باسم محمد مهدي الشيرازي أهم مرجع شيعي في قم بقوله في معرض رده على أسئلة أحد الصحفيين على هامش المؤتمر الاسلامي الذي عقد في المنامة. "إن الحوزة العلمية في قم لا تقدر المصالح الوطنية للدول الإسلامية، ولا يمكن للحوزة الدينية من التخلي عن المصالح العقائدية للشيعة"، ثم قال بصراحة: "إن مدرسة جعفر الصادق ترى أن مسؤولية رجل الدين (الشيعي) ليست محددة بالحدود الفراغية للبلد الذي يوجد فيه مسلمين، لذلك فإننا نسمح لأنفسنا بالتدخل في جميع البلدان وليس لأحد الحق بأن يعترض علينا أو أن يردنا عن غايتنا الأساسية في إقامة دولة إسلامية تتبع للولي الفقيه في كل بلد يوجد فيه مسلمين في العالم".

بما يعني أن ملالي قم بعد أن تسلموا حكم إيران، أعطوا لأنفسهم الحق للتوسع الذي أعطاه الكاهن ساسان للفرس القدامى (أتباع المذهب الماني المشتق من الزرادشتية الشبيه بولاية الفقيه المشتقة من

المذهب الاثنى عشرية) للتوسع غرباً، لكن هذه المرة باسم مذهب الولي الفقيه، وذلك يكونوا بذلك قد أعطوا لأنفسهم سلف ومن دون موافقة أحد، الحق في تقييم وتصنيف الحكومات الاسلامية أم لا، حسب موقفها من مذهب الولي الفقيه، وبالتالي الحق في التدخل في شؤونها الداخلية.

وبما أن هذا الأمر كان لابد من يؤلب جميع شعوب وحكومات العالم عليهم. لذلك وجد العقلاء منهم (من يسمون بالمعتدلين. أنه لا يجوز الإعلان عن ذلك أو التصريح به رسمياً أو علناً.

وبما أن مثل هذا الأمر له جانبين نظري وجانب عملي. فلقد وجدوا أن كثيراً من المصاعب والعقبات تقف وستقف في وجههم. (قديمة مترسخة ومستجدة وعابرة) لذلك كان لابد من البحث عن حلول نظرية لتلك العقبات أولاً ومن ثم مواجهتها عمليا. ومن ثم وضع الخطط العملية اللازمة لذلك والعمل على تنفيذها. وهكذا ترك الجانب العملي والتطبيقي لجماعة الشيرازي من خلال ما كان قد شكله سابقاً مع تقي مدرسي ومنتظري من خلال ما عرفت بـ "منظمة العمل الشيرازية" ومن خلال المدارس والحسينيات التي أنشأوها سابقاً في العراق وسوريا ولبنان والبحرين بقوية العصبية الشيعية وتأليبهم على السنة والعرب.

وتبين الوقائع أنهم جمعوا بين الجانبين العملي والنظري من خلال ترك المجال للدعوة والإقناع بنظرية الولي الفقيه للمؤسسات الرسمية. (وهو التيار الذي كان يقوده الخميني ورفسنجاني) مع ترك المجال للتيار الشيرازي وقوات الباسيج (العملي) استخدام القوة والعنف ضد كل من يعارض الثورة في الداخل والخارج (عن طريق منظمة العمل الشيرازية وفرق الموت والاعدام والاغتيال) مع عدم ممانعة إرسال المقاتلين للخارج. وهو نفس المبدأ والطريق الذي سلكه جميع الإسلامويين سواء في مصر أو سوريا أو افغانستان. طريق الدعوة باستخدام الفكر والسياسة واللين. وطريق القوة والعنف والقتل والذبح في ذات الوقت كما فعل تنظيمي القاعدة وداعش.

وبما أنه بات للمسلمين الشيعة الخمينيين دولة مركزها إيران فكان لابد لهم من تشكيل قاعدة فكرية وسياسة بشرية موازية للحكومة المركزية وأن تعمل على نطاق العالم. من أجل خلق تشكيلات جهادية مقاتلة. وعلى هذا الأساس تشكل.

أولاً: الحرس الثوري الإيراني:

بما أن الجيش الإيراني كان يضم ما لا يقل عن نصف مليون مقاتل وبما أن الكتلة الأساسية للجيش لم تصب بأي خلل، وبما أنه ظل متماسكا. بمعنى أنه قادراً على تغيير النظام الجديد. وبما أن الجميع وبخاصة "اطلاعات" (السافاك قديما) كانوا يعرفون جيداً أن الجيش أداة النظام القديم يمكن أن يتحرك في أي لحظة ويجري انقلابا عليهم. لذلك أصدرت المرجعية (بعد شهر من إعلان قيام الجمهورية) أي بعد تسلم بني الصدر رئاسة الجمهورية الإسلامية بخمسة أيام يوم 5/5 من عام 1979 مرسوماً يقضي بتشكيل تنظيم الحرس الثوري واعتباره جيش الثورة. ليضم قوة من الميلشيات المدنية المؤمنة بالولي الفقيه والموالية لهم من القادرين على حمل السلاح والوقوف في وجه الجيش فيما إذا قرر التدخل لمنع ما يقرره المرشد.

وهو بالضبط ما حصل في سوريا عام 1963 حيث شكل الانقلابيين ما سمي بالحرس القومي ليقف ضد أي انقلاب يمكن أن يقوم به الجيش وليقوم بعمليات البطش بكل من يمكن أن يتحرك من جماهير الأحزاب المناهضة لحكم البعث أو حكم الخمينيين. وهكذا تحول الحرس الثوري إلى قوة ترهب الناس والجيش معا. حيث تم إعدام كثير من ضباط الجيش السابق العلمانيين واليساريين دون محاكمة (كما بينا

سابقاً) مما أرغم بقية الضباط (سواء في سوريا أو إيران) إما السكوت على ما يجري أو مباركته أو التخفي بانتظار لحظة مناسبة للانقضاض على الحكم.

لكن لم يدر ضباط الجيش الإيراني أن الحرس الثوري الذي بدأ بالمتطوعين المعبأين دينيا (حوالي تسعين ألف) والذين لم يكن ينقصهم إلا أن إطالة لحاهم ولبس العمامة ليتم قبولهم كمتطوعين في الحرس فيحصلون على مميزات معنوية ورواتب عالية مقطوعة وميزات مالية (بطاقات تموينية) أعلى مما يحصل عليه ضباط الجيش النظامي. لذلك راح يتوسع تدريجيا حتى بات يضم حوالي ثلاثمائة ألف قسمت إلى قطعات برية وبحرية وجوية (مع العلم أن الخميني كان يسعى كما صرح إلى جعله يضم ستة ملايين إنسان مؤمن. يجعله جيشا شرعيا موازيا للجيش النظامي. سيأتي يوم يبطش بهم.

وبناء على ذلك أصدر الخميني قراراً تم فيه اعتبار الحرس الثوري جزءا من الجيش الإيراني. لكن دون أن يخضع لقيادة الجيش بل للولي الفقيه فقط. بمعنى أنه بات من الناحية المعنوية قوة أقوى من الجيش كونه يتبع للولي الفقيه المرسل من الله. وهكذا أصبح الحرس الثوري على أرض الوقع جيشا مقابل وأقوى من الجيش النظامي ولم يلبث أن أصبح القوة الأقوى بعد أن بدأ يحصل على أفضل أنواع الأسلحة مما قيد الجيش وجعله خاضعا لما يقرره الولي الفقيه أو ما تقرره الفئة الضيقة القوة الخفية (أو ما تعرف بالدولة العميقة) التي تقرر كل شيء وتصدره باسم الولي الفقيه. ثم لم يلبث أن راح يقيم تشكيلات جديدة من المدنيين في كل أنحاء البلاد مثلما فعل الحزب الشيوعي في الاتحاد السوفييتي سابقاً حتى وصل عدد المنتمين إليه إلى حوالي مليون مقاتل جاهز تحت السلاح لقمع أي تحرك يمكن أن تقوم به أية قوة ضد النظام.

ثانياً: قوات الباسيج:

بما أن الخميني كان يطمح لتشكيل جيش ثوري قوامه عشرين مليون مقاتل ليغزو به العالم ويفرض حكم الإسلام، فلقد قرر تشكيل قوة جديدة للدفاع عن الثورة الإسلامية والتي ستقوم في الخارج مستقبلاً بنشر الإسلام وأطلق عليها مصطلح (منظمة تعبئة المستضعفين في العالم) أو الباسدران (الباسيج) من جميع القوميات. ولذلك تشكلت له كتائب وفروع في كل دول العالم مثل فاطميون في أفغانستان وزينبيون في الباكستان وأبو الفضل العباس في العراق.. إلخ، كقوات للتدخل السريع في كل مكان يرى الولي ضرورة له.

مع التأكيد هنا على أن قيادتها كان يجب حسب قانون تشكيلها أن تكون مقتصرة على رجال الدين الشيعة المؤمنين بضرورة تعميم الدين الجديد (القائم على نظرية ولاية الفقيه) على جميع المسلمين الشيعة أولاً ومن ثم على السنة ومن ثم على غيرهم من الكفار في العالم رجالا ونساء. ولذلك سمح للنساء العمل والتطوع فيها.

ولهذا باتت قوة محترمة كونها نسوية ولا تتبع للحكومة الإيرانية، ولأن مهامها دعوية خارجية وكونية، أكثر مما هي داخلية. وكونها تابعة للولي الفقيه فقط. ولا تخضع للمحاسبة والمساءلة إلا من قبله. لذلك اكتسبت صفة معنوية كبيرة. أتاحت لها الانتشار في كل مكان في إيران وخاصة لدى المستضعفين والحالمين بنشر الإسلام في العالم للفتك بالأشرار والظالمين والكفار. وهكذا تدريجيا راحت تتدخل في كل شيء وتقرر ما تراه مناسباً في جميع أوجه الحياة بدءاً من لبس الحجاب ولونه ونوعه إلى أكبر قضية في الحياة (ما يذكر بالمطواع في السعودية) وهذا لم يكن معروفا خارج إيران.

وبما أنها كأداة للتدخل الخارجي خاصة في البلدان الإسلامية المجاورة لها لذا بدأت نشاطها في الجارة

العزيزة على قلوب الشيعة والفرس (العراق) كون النجف الشريف يشكل تاريخيا ومعرفيا المرجعية الشيعية الأولى في العالم أكثر كونها معروفة بعدائها لنظام صدام حسين. ولهذا بات اسقاط النظام العراقي ضروري للسيطرة على الحوزة العلمية في النجف بما يجعل من قم بمثابة المرجعية الدينية والحكومة المركزية لعامة المسلمين الشيعة في العالم ولنشر الإسلام الجديد بدلاً من النجف الأشرف. وبالتالي بما يتيح للولي الفقيه التدخل في أي بلد إسلامي دون معارضة شيعية. وبما يمكنها من شن الهجوم عليه إذا ما عارضها ولم يرضخ لها بالحسنى.

وهذا ما تم بالفعل من خلال تأليب الناس على حكامهم في العراق والسعودية والبحرين والكويت. (بينما أقام أفضل العلاقات مع نظم علمانية في سوريا وليبيا) وكان يفترض به كإسلامي - أن يقيم أفضل العلاقات مع القوى والحكومات العربية كون أغلب سكانها مسلمين. لا أن يعاديه ويهددها ويعمل على إسقاطها أو تقويضها ولا أن يرسل قواته لمقاتلتها بدلاً من مقاتلة أمريكا والغرب وإسرائيل التي حملها مسؤولية كل ما لحق بالعالم من خراب زعم أن ثورته قامت لمحاربتهما.

وبما أن التوجه لمحاربة العرب في البداية كان أسهل من محاربة الغرب وأمريكا لذلك كان هذا التوجه مقنعا للفرس أكثر لذا كان لابد من نظرية تهيئ الشعب الإيراني تقبل فكرة التوسع المذهبي في البلدان المجاورة خاصة في العراق. وبما أن الشاه كان أعجز من أن يشكل مثل هذا التنظيم في ظل تصاعد المد الوطني والقومي في العالم والوطن العربي وبخاصة في العراق. لذلك كان لابد من تشكيل ايديولوجي عدواني ومسلح ومدعوم من السلطة الحاكمة في إيران ولهذا تم تشكيل يجمع ما بين القومية والدين وهكذا تشكل.

ثالثاً: فيلق القدس:

بما أن القضية الفلسطينية كانت القضية المركزية لكل العرب والمسلمين (وجوهرها تحرير القدس) حتى للكثير من الثوريين والتقدميين في العالم فكان الادعاء بتمثيلها والدفاع عنها أفضل وسيلة لجمع أكبر عدد ممكن في إيران وخارجها وللتحكم بهم للتدخل وإحداث الفوضى والشغب وفقاً لما تريده أو تسعى له القيادة الخفية للحرس الثوري. لذلك جرى تشكيل فيلق أطلق عليه فيلق القدس، منتقى من نخبة النخبة في الحرس الثوري يتبع مباشرة للولي الفقيه والذي يعتبر وحده رئيسه المباشر. بما يتيح للقيادة الإيرانية الخفية إمكانية التدخل في جميع البلدان العربية والإسلامية. وهكذا أصبح فيلق القدس قوة عسكرية فوق قومية (مثلما فعل غيفارا وكوبا في السبعينات) وراحت تعطي لنفسها حق التدخل (باسم الله لتنفيذ أوامره كما تتمثل للولي الفقيه. وتتجسد على يديه أوامر لا تناقش كونها صادرة عن الولي الفقيه باعتباره ممثلاً للمهدي المنتظر الذي وعد الرب به عباده الصالحين. وهكذا بات كل من يقود هذا الفيلق بدلاً من الخميني وخامنئي. مثل قاسم سليماني أو اسماعيل قاني) شبه مقدسين لهم الحق في تقرير ما يريدون وخلافا لما يسعى له شعب ذلك البلد وأحزابه ونخبه وحكامه القاصرين. ولهم الحق في القيام بأية عمليات بما فيها عمليات التهريب والاغتيال والقتل وسرقة الأموال وارتكاب أبشع الجرائم.

وهكذا استطاع سليماني إبداع فكرة الثورة المستمرة (كما فعل تروتسكي) وابقائها مشتعلة في العراق وسوريا ولبنان واليمن من خلال حقنها أيديولوجيا وتغذيتها بالأموال اللازمة والمطلوبة من خلال نهب الأموال من العراق بما يجعله مفقراً وتابعاً لإيران وخاضعاً لها ولوليها أكثر من جهة ومن جهة أخرى لاستخدام هذه الأموال لتحديث الترسانة العسكرية لإيران ونقلها لمواليها في اليمن والعراق وسوريا ولبنان (بذريعة تحرير القدس ولتدمير إسرائيل بينما في الحقيقة لم نر خلال أكثر من أربعين سنة أي استخدام

لفيلق القدس أو لسواه من التشكيلات العسكرية أو الجهادية. ضد اسرائيل بل ضد الشعوب والبلدان العربية فقط) بما يتيح لها إخضاع جميع البلدان الإسلامية وخاصة العربية السعودية ودول الخليج لإيران. وهكذا أصبح سليماني بمثابة المنسق العام بين كل القوى الموالية لإيران في هذه الدول حيث وضع خطة تمكن الحكومة العميقة في إيران من التحكم بمصير جميع تلك البلدان حيث يقدم لهم ما يحتاجونه أو ما يقرره لهم من أموال وأسلحة. وخطط لتركيع الشعوب والأحزاب والدول لمصلحة الحكومة العالمية الممثلة للإسلام الموجودة في إيران.

رابعاً: الحرب العراقية الإيرانية:

استنادا لما قاله رئيس جمهورية إيران الإسلامية ابو الحسن بني الصدر. ولما أكد عليه أيضاً الفريق "رعد الحمداني" رئيس الحرس الجمهوري لصدام حسين في مقابلة مع الجزيرة: أن قرار صدام بالهجوم على إيران كان قراراً أمريكياً كي يحقق لها عدة أهداف. أولها: ما يجعل الخميني يظهر كما لو كان مستهدفا من أمريكا وعملائها (مثل صدام). وثانيها ما يمكن الطرفين العراقي والإيراني (صدام والخميني) من تصفية خصومهم في البلدين، من خلال الحرب، بحجة رفضهم الدفاع عن وطنهم (وهو ما يثبت أن الرجلين من خلال الحرب (التي وصفت بالعبثية والمجنونة، بعد ثماني سنوات) نفذا لكل من أمريكا وإسرائيل أكثر مما يمكن أن تحلم بتحقيقه. حيث قتل خلال المعارك التي كانت تجري على جبهات القتال حوالي مليون جندي وضابط إيراني (أي تم التخلص من كل الجيش الذي تمت تربيته وإعداده في عهد الشاه على العقيدة الغربية في القتال وعلى الولاء للشاه) ونصف مليون جندي وضابط عراقي.

وثالثاً: بسبب أن المعارك كانت تجري على الحدود مكن الطرفين بغطاء من دخان الحرب والدفاع عن الوطن تمت تصفية المعارضين للنظامين في الداخل. حيث كانت ترتكب بصمت، مجازر رهيبة ضد القوى الوطنية واليسارية (كما أكد على ذلك أبو الحسن بني الصدر أول رئيس للجمهورية الإسلامية في إيران) مجازر تمكن فيها رجال السافاك (الذين اندسوا في اطلاعات أو داخل الحرس الثوري بعد أن أطالوا ذقونهم ولبسوا العمائم) من تصفية وقتل أو اعتقال أو سحل، ما يزيد عن نصف مليون إيراني مدني في الداخل. حيث قتلوا كل من كان معروفا لديها (السافاك والسي آي) أنه علماني أو تقدمي أو يساري وفي مختلف المدن والقرى الإيرانية. الأمر ذاته حصل في العراق بذريعة أنهم يقفون ضد الحرب على إيران بصفتهم عملاء لها.

رابعاً: وهكذا بعد تسلم جماعة الخميني حكم إيران، وتحكم صدام بالعراق والجهاديين والقاعدة حكم أفغانستان. تمت في تلك المرحلة أو بعدها عدة انقلابات في السودان وإندونيسيا ضد حركات التحرر الوطني. وهو الوقت الذي صعد فيه اليمين المتطرف في كلاً من أمريكا وبريطانيا وإسرائيل. ما يجعلنا نعتبر الحرب على العراق كانت خطوة أولى أو حلقة في سلسلة التغيرات التي تم البدء بها اليمين في العالم في سياق الحملة المعادية للشيوعية - والتي أدت في عام 1990 - إلى إنهاء الاتحاد السوفييتي والمنظومة الاشتراكية وجميع حركات التحرر الوطني، وإخراس جميع الحركات العمالية والشبابية واليسارية في أوروبا والعالم. ومن ثم سيادة الإمبريالية المتوحشة أو ما بات يسمى القطب الواحد بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية ومن خلفها الصهيونية العالمية. وصعود اليمين العربي والمد الديني الخميني في إيران والشام والعراق.

خامساً: تصدير الثورة والحرب على العراق والبطش بالوطنيين:

بما أن صدام حسين البعثي والعلماني كان قد تسلم السلطة المطلقة على العراق في تموز 1979 أي

في ذات السنة التي تمت فيها الموافقة على تسلم الخمينيين السلطة المطلقة في إيران. لذلك فإن أول عمل قام به هو سحق البعثيين اليساريين والشيوعين، كما فعل الخميني في إيران. لكن بما أن الاعلام العربي صور صدام كما لو أنه وحده العميل لأمريكا والغرب وتجاهل أن ما قام به الخميني ضد اليسار كان أسوأ مما فعله صدام ويخدم أمريكا أكثر وتم تجاهله ونسيانه. وهكذا وجد منظري الخميني في العراق، أن الفرصة باتت مناسبة للإطاحة بحكم البعث العلماني، من منطلق أنه نظام عميل لأمريكا. وهكذا راح رجال الدين الشيعة يحرضون الناس على القيام بثورة إسلامية في العراق كما جرى في إيران للإطاحة بالنظام العميل.

وهكذا راحت المرجعية الموالية لقم في العراق (في النجف وكربلاء) تروج لنظرية ومذهب الولي الفقيه. وهذا ما جعل صدام يعتبر ذلك نية جدية لحكام إيران ليس لتصدير الثورة الإسلامية للعراق، بل لاسقاطه، فقام بقصف بعض القرى الحدودية في شمال إيران (كما زعم لتلافي هذا الخطر) كحركة استباقية ضد إيران بما يحول الأنظار مما يجري في الداخل ضد القوى اليسارية إلى إيران. وبما يحول دون نشوب ثورة ضده في العراق (ولعله دون أن يدري بتلك الخطوة دعّم مزاعم رجال الدين الشيعة في العراق وإيران والمنطقة بأنه كان فعلاً عميلاً لأمريكا، واثبت دون أن يدري أن الحكومة الجديدة في إيران هي حكومة ثورية معادية للإمبريالية.

وتكملة لعملية المزاودات وخلط الأوراق قامت الحكومة الجديدة بالرد على ذلك القصف بقصف سبع مواقع في العراق. مما أعطى لصدام المبررات لشن هجوم عسكري واسع على إيران بزعم استرداد أراضي متنازع عليها في شط العرب منذ عام 1925 أو هكذا زعم ليبرر عملية إضعاف الحكم في إيران. وبالمقابل استغل الخميني هذا التدخل لشن حرب واسعة على العراق بما يمكنه من تحويل الأنظار عما يجري في داخل إيران من تصفيات وتوجيه الأنظار إلى العدو الخارجي مما أدى إلى تحول الحرب المحدود في شط العرب إلى حرب شاملة بين البلدين استمرت ثمان سنوات جرت خلالها أمور كثيرة منها أهمها تصفية كثير من القيادات المعارضة للحرب بين البلدين. ومنها موافقة أمريكا على إجراء مفاوضات مع الحكومة الإيرانية للإفراج عن موظفي السفارة مما جعل تلك الموافقة تبدو كما لو كانت انتصاراً للثورة، وهكذا استمرت المفاوضات بين كر وفر حوالي سنة ونصف (444 يوم بالتمام والكمال) تمكنت حكومة بني الصدر أثنائها التنسيق مع الجمهوريين الجاهزين للحكم للإفراج عن الرهائن مقابل تقديمهم أسلحة أمريكية لإيران لمواجهة التوغل العراقي الأثيم. وهكذا بدى لو أن الخميني انتصر على أمريكا وفرض شروطه عليها (وإن كان ذلك كما تبين لاحقاً وكما بين بني الصدر في كتاباته ومقابلاته) ان ذلك التفاهم تم بين كلاً من المخابرات الإيرانية والمخابرات الأمريكية للإفراج عن الرهائن مقابل أن تفرج أمريكا عن بعض الأموال التي تعود للشاه لإيران. لكن بعد فترة تبين أن هناك أمور أخرى أخطر تم الاتفاق عليها، ظهر منها تقديم الأسلحة الأمريكية لإيران. على عكس ما فعلت روسيا التي أوقفت إرسال الأسلحة إلى العراق. لذلك لجأ صدام لبريطانيا فاشترى منها أسلحة جديدة فحول بذلك اتجاهه من المعسكر الاشتراكي إل المعسكر الغربي. وبما أن دول الخليج والسعودية المعروفة بالتبعية والعمالة لأمريكا قد دعمت صدام حسين في حربه على إيران. وبما أن مصر المطبعة مع إسرائيل قد استقبلت الشاه العميل ووقفت مع صدام العميل ضد إيران، وبما أن كثيراً من المنظرين والشعراء والكتاب اليساريين والوطنيين استخدموا كل ذلك للتأكيد على أن صدام كان عميلا وأن إيران كانت ثورة وأن حافظ الأسد ومعمر القذافي ثوريين كونهم وقفوا مع إيران الثورة. مما أدى إلى تغير نظرة غالبية الجماهير العربية ليس لإيران فحسب بل لكثير من القوى في المنطقة والعالم.

ومن يومها تغيرت مواقف غالبية النخب والمثقفين والعرب من كثير من القضايا. أهمها اعتبار ما

جرى في إيران ثورة ضد أمريكا وإسرائيل وعملائهما في المنطقة (دون تدقيق أو تفكير) وهكذا تمكنت إيران من خلق وإيجاد قاعدة فكرية وشعبية واسعة داخل الوطن العربي وخاصة في لبنان، لتبدوا بعدها إيران الإسلامية هي ثورة ضد إسرائيل والغرب وأمريكا وبديل عن القومية والشيوعية والأحزاب الإسلامية السنية. وهذا ما مكنها من الانتقال للمرحلة الخامسة من خلال:

التوسع في الوطن العربي:

على العكس تماماً من هذا التصور جاء كتاب الصديق والمفكر الفلسطيني "حمدان حمدان " بعنوان "الخليج بيننا. قطرة نفط بقطرة دم" والذي صدر في عام 1993 ليعطي صورة مغايرة عما نشرته وسائل الإعلام العربية والغربية: حيث بين (وهذا جزء بسيط مما تناوله في كتاب زادت صفحاته عن 712 صفحة). وأنا لا أتفق معه في كل ما كتبه، بل اختلفت معه بصورة مباشرة في كثير مما كتبه في جلسات عامة كانت تتم في مقهى الروضة. لكن من الضروري إظهار ما كشف عنه من حيث أولاً أن ما قام به صدام من هجوم على قرى كردية شمال إيران عام 1980 كان رسالة من صدام للخميني تشير إلى أنه مستعد لمواجهة تصدير الثورة الخمينية للعراق ليس من خلال فقهاء النجف الأشرف بل باستخدام السلاح والاستعداد لشن حرب شاملة على إيران.

ثم دحض حمدان ثانياً كل ما قيل عن تنفيذ صدام لأوامر أمريكية بذريعة استرداد أراضي في شط العرب كان قد تنازل عنها للشاه عام 1975 في الجزائر مع هواري بومدين (كما زعمت بعض وسائل الإعلام). حيث بين أن اتفاق الجزائر تتضمن التوقف عن مطالبة العراق بالأهواز مقابل أن تتوقف إيران عن دعم الأكراد في شمال العراق. وعدم تدخل إيران في شؤون العراق الداخلية. وطالما أن إيران الخميني لم تلتزم بذلك بالاتفاق لأنها حرضت (بوثائق وتسجيلات) أئمة الشيعة في النجف على القيام بثورة على النظام، لذلك رأى حمدان أن الاتفاق بات لاغياً وأن إيران هي التي نقضته.

ثالثاً، بما أن صدام حسب رأي حمدان -كزعيم للعراق- يشكل خط الدفاع الأول عن العرب وبأن حربه ضد إيران هي للحيلولة دون التوسع الإيراني الفارسي في الوطن العربي. لذلك كسب تلقائيا الرأي العام العربي خاصة في دول الخليج والسعودية. ولهذا وقفت أغلب حكومات الدول العربية الرجعية (التقليدية) مع صدام حسين البعثي والعلماني.

رابعاً، بين بالأدلة أن كلاً من شط العرب وعربستان والأهواز كانوا قبل عام 1925 يتبعون تاريخياً وبشرياً وجغرافياً للعرب وأن أجزاء واسعة من جنوب غرب إيران هي أرضي عربية يجب استردادها (جزء منها يتبع للسعودية والكويت والإمارات).

خامساً: ثم بين أن احتلال العراق لشط العرب كان يرمي إلى منع سرقة إيران للنفط والغاز العربي من الأراضي المشتركة بين تلك البلدان وإيران. ثم بين أن 70%من نفط إيران هو مسروق من الخزان المشترك مع العرب.

سادساً: بين حمدان بالتفصيل كيف ساهمت إيران في خدمة شركات النفط العالمية خاصة الأمريكية. نتيجة لتوقف الدولتين عن ضخ النفط بعد الحرب على العراق مما أدى إلى ارتفاع في أسعار النفط من 25 دولار للبرميل إلى 37 دولار.

ثم بين كيف أن رفض الخميني وقف الحرب التي وافق صدام على وقفها عام 1982 تماشيا مع طلب دول عدم الانحياز. جعل إيران تضخ مزيداً من النفط في الأسواق للحصول على الأموال اللازمة لتمويل

الحرب. وذلك خلافا لما دعت له كلاً من فنزويلا والسعودية وروسيا مما أدى إلى انخفاض في الأسعار من 37 إلى 29 وفي عام 1985 ثم وصل لـ 20 دولار ثم نزل في نهاية عام 1888 إلى 14 دولار ومن ثم صار يباع النفط العراقي في السوق السوداء بتسع دولارات أي بأقل من سعر التكلفة مما ألحق بالاقتصاد العراقي والعربي خاصة للدول المصدرة للنفط (بما فيها أصدقاء إيران في ليبيا والجزائر أضراراً فادحة) خسائر فادحة تزيد عن تزليون دولار. وهذا ما صب في خدمة الدول الغربية وأمريكا. ثم بين كيف أن الحصار الذي فرض على العراق باسم النفط مقابل الغذاء كان له دور كبير في تدمير الروح المعنوية للشعب العراقي.

سابعاً: وبما أن إيران في فترة الحرب راحت تحتجز السفن التي تنقل النفط العراقي وبعض السفن التجارية لدول عدة. الأمر الذي اتخذت منه أمريكا وبريطانيا ذريعة لإرسال سفنها الحربية لحماية السفن. مما حول الخليج العربي (من يومها) إلى بحيرة تعج بالسفن الحربية الغربية. وبهذا تكون إيران حسب رأي حمدان قد أدخلت الخليج والمنطقة والعالم في أتون تنافسات وصراعات نفطية وتجارية وعسكرية لا قبل لها بها من قبل. وتكون ما سميت ثورة إسلامية وباسم الإسلام قد أدخلتنا في صراع اقتصادي ومالي كان ومازال الغرب (الذي زعم الخميني - أنه جاء ليهزمه) هو المستفيد الرئيسي والأساسي منه، فساهم بدراية أو بدونها في زيادة الهيمنة الأمريكية على العالم. وهذا ما يمهد لشرح ما حصل في المرحلة السادسة التي مر بها العالم نتيجة للثورة الخمينية.

ثامناً: بما أن الخميني أرغم على تجرع كأس السم كما قال بموافقته على وقف الحرب عام 1988. لكنه عمليا كما تبين لاحقاً أنه للانتقام من صدام ومن حركتي فدائيي الشعب ومجاهدي خلق. لأنه كان لهما حسب زعمه دور كبير في دعم العراق وفي هزيمته، عدا عن دورهما في إدارة المظاهرات التي عمت إيران والداعية لوقف الحرب المجنونة.

لكنه بدلاً من أن يشكرها لأنها دعت لإيقاف الحرب التي كان من الممكن لو توقفت عندما وافق صدام على لإيقافها، من الحيلولة دون موت حوالي مليون إيراني ونصف مليون عراقي بلا جدوى.

ومن ثم استدار إلى تلك الحركات المناهضة للحرب وراح يحملها مسؤولية خسارته الحرب فشن حرباً عليهم خاصة على مجاهدي خلق. فأعاد مع نهاية الحرب عام 1988 إحياء لجان الموت التي راحت تحاكم كل من طالب بوقف الحرب ووجهت لهم تهم الخيانة العظمى حيث تم إعدام أكثر من خمسة آلاف إنسان. ومن الأشخاص الذين تمكنوا من الهرب كان زوج ابنة حميد عباسي (المعروف بحميد نوري) والذي كان يشغل منصب مساعد مدير سجن "كوهر دشت" غرب طهران. فهرب "مصداقي" هو وزوجته من إيران ولجأ إلى السويد. وبعد ثلاثين سنة وبعد أن أحيل نوري للتقاعد قدمت له ابنته دعوة للقيام برحلة سياحية بحرية تنطلق من ستوكهولم، وهكذا حضر إلى المطار ليجد قوات الأمن السويدي بانتظاره. وبما أن يحق لمحاكم السويد محاكمة مواطني الدول الأخرى على الجرائم المرتكبة ضد القانون الدولي أو جرائم الحرب. وبحكم هذه الولاية القضائية، أمر القضاء السويدي محاكمته. وهكذا بعد 93 جلسة استماع لما يزيد عن ستين مدعيا شخصيا عليه، ومئتي شاهد، استمرت خمسة أشهر. تبين بعد استشارة قضاة مختصين بالفقه الإسلامي وموقف الفقه ممن يرتكبون جرائم بناء على معتقدات المرء الفكرية والسياسية وليس بناء على أفعال جرمية ارتكبها. أصدر القاضي السويدي يوم 14 /7/ 2022 قراراً يقضي بالسجن المؤبد عليه. وهذا ما يؤكد على أن كل ما ذكرناه عن جرائم ارتكبها نظام الخميني ضد القيم الإنسانية والإسلامية هي جرائم مؤكدة، حيث لم ينفي التهم الموجه له عندما قال "نوري" (انه كان ينفذ الأوامر الصادرة إليه من السلطات العليا).

الفصل السادس:

دور إيران الخمينية في تفتيت وتدمير المنطقة

الفوضى الخلاقة وسياسة اليمين الصهيوني

(المرحلة الخامسة):

بما أن المفكر اليهودي الصهيوني "برنارد لويس" درس تاريخ العرب والمسلمين والتيارات الفكرية والمذهبية في الإسلام. وراح يدرسها في الجامعات البريطانية والأمريكية. وبما أنه كان ضليعاً في معرفة أدق تفاصيل الخلافات الفكرية والمذهبية والقبلية التي ظهرت في تاريخ العرب والمسلمين وعلى معرفة جيدة بالتيارات والقوى الاجتماعية الحاملة لها. لذلك بات عارفاً وضليعاً بكيفية استخدامها لتوسيع الخلافات المذهبية واستخدامها في السياسة لمصلحة إسرائيل. لذا راح ينظر ويخطط لتقسيم العرب والمسلمين وتفتيتهم أكثر مما فعل أستاذه "حاييم وايزمن" زعيم الحركة الصهيونية عام 1916 فوجد أنه بعد أن انتهى الصراع بين الاشتراكية والرأسمالية بعد سقوط المعسكر الاشتراكي عام 1991 وبعد أن تبنت الإدارة الأمريكية فكرة تحويل الصراع في العالم إلى صراع بين الأديان حسب رؤية "هنتحنتون" كبديل عن الصراع مع الاشتراكية التي انتهت. على ضرورة الاستفادة من الخلافات المذهبية الموجودة بين السنة والشيعة وبين العرب والفرس منذ القدم، بما يتيح للصهاينة وإسرائيل وأمريكا تعميق تلك الصراعات وخلق صراعات جديدة بينهم على أساس اختلاف المذاهب، بدلاً من الصراعات السابقة بين القومية والوطنية والصراع مع إسرائيل. بما يؤدي إلى نقل الصراع بين العرب والمسلمين أنفسهم بدلاً من صراعهم مع الغرب وإسرائيل بما يبعد إسرائيل عن الصراع ويمكنها من الاستفادة منه لإضعاف الطرفين ويمكنها بالتالي من الهيمنة على الشرق الأوسط من دون قتال. وهي ما عرفت بسياسة الفوضى الخلاقة - وبناء شرق أوسط جديد تبناه شمعون بيريس أولاً، ثم كونداليزا رايس وزيرة خارجية أمريكا في عهد بوش الابن. وهكذا تلقف أفكاره وكتبه كبار الساسة المتصهينين في أمريكا وبريطانيا. من كسينجر لبوش ومن تاتشر لبلير لرايس لبول وولفويتز لديك تشيني.. فراحوا يعملون منذ عام 1992 على تفتيت المنطقة على أساس الإيديولوجيا والدين والمذهب والملة. بعد أن قسموها لدويلات على أساس قومي ووطني. لكن هذه المرة من أجل فرض هيمنة إسرائيل على المنطقة. فوجد (وهو ما تبناه هؤلاء الساسة الكبار) أنه يمكن الارتكاز على الثورة الإيرانية المستندة على المذهب الشيعي والتي تتوافق مع رغبة حكام إيران للتوسع من خلال تعميم هذا المذهب في العالم الإسلامي. وهو ما يشكل -حسب ما رآي برنارد- أساساً جيداً لتمزيق الوطن العربي مذهبيا على أساس سنة وشيعة ومن ثم استغلالهم سياسياً بما يمكن الغرب وإسرائيل من تفتيتهم أكثر من خلال دعم

إيران ضد العراق.

أولاً: كونه يحتوي على طائفة شيعية كبيرة ويشكل البوابة الشرقية للوطن العربي وخط الدفاع الأقوى عنه. إذا ما تم اختراقها سهل اختراق بقية الدول العربية التي تحتوي أقليات شيعية كما في سوريا والسعودية والبحرين واليمن. وهو ما توافق مع تحركات الشيرازي في سوريا ولبنان في عهد الشاه. والعمل على تذكير العلويين والاسماعيليين والدروز بأنهم شيعة وعليهم أن يلتفوا حول مرجعتيهم في قم وليس في النجف. مما يمهد لتمزيق جميع البلدان العربية.

ومن الملفت للنظر في هذا الصدد أن لويس برنارد في كتابه "تنبؤات" الصادر عام 1997 كان قد طرح فكرة تقسيم العراق إلى ثلاث مناطق (سنية شيعية كردية) وتقسيم سوريا إلى أربعة مناطق والسودان إلى أربعة (قبل أن ينفصل الجنوب) ولبنان إلى ثمان ومصر إلى قسمين وليبيا إلى شرق وغرب وجنوب واليمن إلى ثلاث.. إلخ، وهو تقريباً ما تحقق فعلاً في سوريا والعراق واليمن أو يكاد في بقية الدول العربية. وهكذا حسب رأي برنارد. كان لابد من تشجيع واستخدام إيران لاحتلال العراق ثم تسليمه لها ومن ثم تفتيتها وتدميره. وهذا ما تم تحقيقه عام 2003. بعد العدوان الأمريكي على العراق وتسليمه لمليشيات إيران. ومن ثم فتح المجال لإيران لتدخل من خلال الطائفة الشيعية في العراق وسوريا ولبنان في بقية البلدان العربية مثل البحرين واليمن والكويت والسعودية وحيث يوجد شيعة. وهذا ما يتوافق مع رؤية هنتجنتون واليمين الصهيوني.

صراع الحضارات (الأديان):

حيث بين المفكر اليهودي الصهيوني "صموئيل هنتنجتون" في كتابه الذي يحمل ذات العنوان والصادر عام 1994" أن الدول الغربية المؤمنة بالمسيحية بناء على فكرة صراع الأديان (الحضارات) لتبقى متحدة بعد سقوط الشيوعية لابد من أن تجد عدو جديد (ولو وهمي) بما يجعلها متحدة. فوجد في الإسلام ذلك العدو الافتراضي. والأهم أنه قابل للاستخدام بسهولة، لأنه جرب في أفغانستان وسواها سابقاً ونجح في تلك المهمة. ولأن قسم كبير من المؤمنين به هم حلفاء موثوقين للغرب في فترة الصراع مع الشيوعية. بما يجعل من السيطرة الدائمة عليهم سهلة وبما يمكنهم بالتالي من السيطرة على العالمين العربي والإسلامي أو في جعلها راسخة أكثر. وإبعاد القوميين واليساريين عن الحكم نهائيا.

وهكذا زعم "هنتجنتون": أن العصر القادم سيكون صراع أديان أكثر من كونه صراع بين سياسات واقتصاديات. (وهذا طبعاً غير صحيح ويشكل تزييفاً والتفافاً على الواقع). بما يجعل روسيا وسلافها المؤمنين بالأرثوذكسية (بعد أن سقطت الشيوعية) وأمريكا وأوروبا وكل الدول المسيحية الغربية (الكاثوليكية والبروتسنتينية) يتكتلون لمواجهة الإسلام.

وهكذا تلقف الفكرة رئيس مجلس الأمن القومي الأمريكي "بول وولفوتز" اليهودي الصهيوني وطورها من خلال ربطه بين تلك الدعوة ودعوة استاذه السياسي الصهيوني والعبقري "هنري كسينجر" الداعية "لعملية الاحتواء المزدوج" للبلدين، والتي استخدمتها أمريكا أثناء الحرب بين العراق وإيران (وهي السياسة التي اتبعها الإدارات الأمريكية المتعاقبة منذ أن كان مديراً لوكالة المخابرات ووزيراً للخارجية ورئيساً لمجلس الأمن القومي). فسعى لتوسيع دائرة الاحتواء كي تشمل العالمين العربي والإسلامي كله بدلاً من العراق وإيران. ومن ثم تلقف الفكرة اليمين المسيحي والصهيوني في بريطانيا، وراح الطرفان يعملان على تنفيذها من خلال

تسهيل عملية تشجيع والسكوت على - أو تقديم الدعم غير المباشر للخميني ليقوم بتصدير الثورة إلى العراق ومن ثم للدول العربية الأخرى.

ثم بين "وولفويتز" أن سياسة الإدارة الأمريكية ستؤول إلى الفشل إذا ما اعتمدت على قوة إيران وحدها فقط في هذه الحرب كون الإيرانيين أقل منهم عددا وقوة من العرب، وطالما أنها لم تتمكن من هزيمة العراق في حرب الثمان سنوات. إذن كان لابد لأمريكا من إلحاق هزيمة بالعراق أولاً من خلال فرض حصار عليه، ثم توجيه ضربة له واحتلاله، بما يؤدي إلى سيطرة إيران والشيعة على العراق بما يجعل النفوذ الفارسي والإيراني الشيعي قوياً وقادراً بالتالي على إحداث تغيير جذري في التوازنات التاريخية والسياسية القائمة بين السنة والشيعة في المنطقة منذ عصور قديمة. ويمكن الفرس من تحقيق أطماعهم التوسعية.

وهذا ما اتضح بالقرار الذي اتخذه وزير الدفاع الأمريكي "ديك تشيني" ورئيسه بوش الابن بغزو العراق عام 2003 حيث تقر أن يتم بعد ذلك تسليمه لإيران وميليشياتها كي تقوى وتتوسع في المنطقة. من خلال نشر إسلام جديد يفتح حرباً لا تنتهي بين المسلمين السنة والشيعة. وهكذا راحت أمريكا تغذي الحرب بين الطرفين المتصارعين داخل العراق، وبما يجعل العرب المسلمون ينقسمون (هم أساسا منقسمون) بين مؤيد لإيران الشيعية الثورية وبين مؤيد للعراق. وبالتالي إلى توسيع دائرة الحرب لتشمل كل العرب وإيران. فيقتتلون حتى يدمروا بعضهم البعض بالنيابة عن الدول الغربية (المسيحية).

وطبعاً يفترض هذا أيضاً أو يتطلب فسح المجال أمام كل الشيعة (الخمينية والاثنى عشرية والعلويين والزيدين والدروز والإسماعيليين) الذين يشكلون أقلية 20% بين المسلمين ليتقووا ويصبحوا قوة مؤثرة أكثر من قبل (لكن تحت السيطرة الغربية) وبما يجعلهم قادرين على جر الإثنيات (الأقليات الدينية مثل المسيحيين) والقوميات الأخرى الصغيرة إلى جانبهم، بما يؤدي إلى خلخلة التوازنات والتفاهمات السياسية والتاريخية القديمة القائمة في جميع البلدان العربية. والقائمة منذ ما يزيد عن خمسمائة سنة. بما يجعل العرب يعودن للصراع كما كانوا أيام معاوية ويزيد (شيعة يسعون للثأر والانتقام وسنة يشعرون بالخطر الفارسي الشيعي فيستفزون ويستعدون للحرب التي ستنشب تلقائيا بين جميع الأطراف وتتحول إلى عمليات ذبح على الهوية قد تدوم مئة سنة. كما حصل في كثير من الحروب الدينية عبر التاريخ. وهكذا اتفق بوش وبلير على توجيه ضربة للعراق وتقديمه لإيران الفارسية الشيعية كهدية، بما يجعلها قوة قادرة على تهديد العرب السنة وجعلهم يتقاتلون مع الشيعة، فيدمروا بلدانهم وشعوبهم، وبما قد يجعلهم يلجؤون إلى أمريكا وإسرائيل لتنقذهم من الخطر الجديد بل وينسون الخطر الإسرائيلي والأمريكي.

دون تجاهل أن الدول الغربية ستتمكن من خلال هذه الحروب من بيع السلاح الفائض لديهم من زمن الحرب الباردة للطرفين والتي زادت عن ترليون دولار (ألف مليار دولار) (كونهم لا ينتجونه ولأنهم يمتلكون موارد مالية واقتصادية كبيرة وفائضة) تتيح للدول الغربية وأمريكا التمكن مالياً واقتصادياً بالعالم ككل بما فيه القوى الأخرى المنافسة. ويمكن مصانعها الحربية تستمر بالعمل ومن السيطرة السياسية على الجميع.

وبما أن كثيرين قد يستغربون فكرة تقديم الدعم الأمريكي والغربي والصهيوني لإيران التي تعلن يوميا أنها تحاربهم وسوف تسقطهم. لذلك أجد أن من المفيد التذكير بما قامت به أمريكا عام 1934 بدعمها للنازية المعادية لفظاً لأمريكا والغرب من أجل استخدامها لتدمير أوروبا.

الفرس بين الصهيونية والنازية:

مما لا شك فيه أن العنصرية والفكر العنصري شكل وما زال يشكل أكبر خطر على البشرية خاصة في القرن العشرين. وبما أن جذور هذه النزعة العنصرية والتوسعية لليهود الصهاينة والفرس والنازيين واحدة. فهذا يجعلها تتشابه مع تلك النزعة كما ظهرت في ألمانيا من خلال النازية ومع النزعة العنصرية الاستعلائية للصهاينة اليهود والفرس. وبما خطر العنصرية أيا كان مصدره يشكل تهديداً لنا نحن كعرب وفلسطينيين. فإن هذا كان لابد أن يدفعنا للتدقيق فيما يجمع بين هذه النزعات الثلاث.

فمن يدقق في السياسة الكونية لأمريكا سيجد أنها استخدمت كل النزعات العنصرية والعدوانية أو ركبت عليها ووجهتها بما يخدم مصالحها غير عابئة بما يحصل لحاملها من موت ودمار وخراب.

وهكذا وجدت الادارة الأمريكية - (كما بينا سابقاً) - أنها عليها أن تستغل هذه النزعة التوسعية والعدوانية لإيران والتي تتقاطع كثيراً مع حاجة أمريكا كقوة عالمية طاغية لضرب أعدائها في العالم العربي والمنطقة. كما استخدمت النزعة التوسعية لألمانيا النازية لتدمير كلاً من أوروبا وروسيا السوفيتية. وكما استخدمت قوة ألمانيا الاقتصادية في السابق سوف تستخدم قوة إيران الاقتصادية وموقعها الاستراتيجي في وسط آسيا (الذي يشبه موقع ألمانيا وسط أوروبا) لتنفيذ السياسة الكونية لأمريكا والصهيونية الرامية للسيطرة على العالم من خلال ضرب وإخضاع البلدان والشعوب العربية المعادية للغرب وأمريكا وإسرائيل.

قراءة جديدة في النازية والخمينية:

سعى الإعلام الغربي والعربي خلال فترة صعود النازية وخلال الحرب العالمية الثانية إلى إقناع الناس في أمريكا والعالم كله بأن أمريكا واليهود الصهاينة كانوا أعداء للنازية. كما يصورون اليوم لشعبهم وللعالم بأنهم أعداءً لإيران الخمينية.

لكن من يدقق فيما جرى أو يعيد النظر فيما نتج عن الحرب العالمية الثانية وبعد أن صحت الناس من التلفيقات (البروبغندا) الإعلامية الأمريكية، وهول الحرب والدمار والموت يجد بناء على ما قدمته بحوث ودراسات موثقة بأدلة قاطعة بينت أن ذلك العداء المزعوم للنازية من قبل أمريكا لم يكن سوى كذبة.

بينت الوثائق أن رأس المال اليهودي الأمريكي هو الذي مكن الحزب الاشتراكي القومي الألماني (النازي) من الحصول على المال اللازم لتشغيل الآلة العسكرية للنازية، مما أدى عام 1934 إلى استيعاب أعداد كبيرة من الشباب خاصة العمال والطلاب والخريجين الألمان العاطلين عن العمل في الجيش وحمل السلاح وبالتالي زاد هذا في أعداد المنتمين للحزب النازي وهو ما جعل هذا الحزب يحكم ألمانيا. وبالتالي في إيصال هتلر إلى الحكم بذريعة الانتقام من اليهود والشيوعيين الذين حملهم الحزب مسؤولية هزيمة ألمانيا في الحرب العالمية الأولى، وبالتالي ما لحق بألمانيا من خراب وتردي اقتصادي وفقر. وبالتالي لشن الحرب العالمية الثانية كنوع من الانتقام ورد الاعتبار للشعب الآري. وهذا ما كان سبباً في تدمير نصف مدن أوربا وثلثي مدن روسيا. حيث قتل أكثر من أربعين مليون إنسان وخسائر تقدر حالياً بعشرات التريليونات من الدولارات للاقتصاد العالمي. حيث كان يقف وراء كل هذا الخراب الذي سببته الحرب. الرأسمال المشغل للآلة العسكرية. والمستفيد لاحقاً من هذا الدمار هو الرأسمال المشغل للصناعات الحربية. وحيث بينت الوقائع والأدلة وبالأرقام: أن رأس المال المرسل إلى النازيين كان رأسمالاً أمريكياً ويهودياً وممول من قبل صناعيين كبار أمثال هنري فورد (مجموعة صناعة المحركات اللازمة لصناعة محركات الدبابات. ومجموعة

مورغان ورِوكفلر المالية.) المتعاونة مع ابراهام كوهين، وتوماس لامونت ووليام هاري الزعيم النازي المعروف صديق ورفيق هتلر. وهكذا لعب هذا الدعم المالي والفني دوراً حاسماً في تطور وتقدم الآلة العسكرية لألمانيا النازية. وهذا ما أثبته كلاً من البروفيسور "انتوني ساتون"، استاذ الاقتصاد في جامعة كاليفورنيا في كتابه "وول ستريت وصعود هتلر إلى السلطة" والذي بسببه طرد من الجامعة. وكتاب مئة عام من الحرب لمؤلفه وليام إنغدال. وكتاب "أصل الشر" لمؤلفه ألكسندر بوريسوف والذي بين فيه أنه لولا هذا الدعم المقدم من أمريكا والصهيونية العالمية لهتلر ضد الشيوعية والاتحاد السوفيتي لتغير وجه العالم.

فلولا هذا الدعم المالي والتقني المقدم من أمريكا والحركة الصهيونية للنازيين لما تم أيضاً تغذية العنصرية المعادية لليهود في ألمانيا. ولما تم قتل ملايين اليهود ولما تم تنامي العنصرية الصهيونية ولما تم العمل على هجرة وتقبل تهجير قسم كبير من يهود أوروبا الفقراء إلى فلسطين. حيث كان هذا القتل وذاك التهجير سبباً في تعاطف كثير من شعوب العالم خاصة في أوروبا مع الصهاينة وكان هذا سبباً رئيسيا في تنامي قوة الحركة الصهيونية. وتزايد الاقتناع بحقهم في إقامة دولة خاصة بهم لينجو من الموت.

مقارنة بين النازية والخمينية:

قد تبدو المطابقة بين موقف كل من حكام أمريكا وإسرائيل من ألمانيا النازية سابقاً وموقفهم من إيران الفارسية الخمينية حالياً، لأول وهلة أمراً غريباً. لكن من يراجع ما كتبه هؤلاء الباحثين والكتاب والمؤرخين والسياسيين والصحفيين الحربيين الذين عاصروا الإنزال الأمريكي في النورماندي. فلقد بينوا أن قصف الطيران الأمريكي للقوات والمواقع الألمانية في فرنسا وداخل ألمانيا عام 1944 لم يكن لقوات عسكرية، بل كان يستهدف مراكز مدنية وسياسية وإدارية لإيهام العالم أن الأمريكان هم من هزموا النازية والفاشية. مع أنهم يعرفون (وهو ما بينته الوقائع) أن بداية هزيمة النازية الاستراتيجية بدأت في ستالينغراد عام 1943. وأنه كان للخسائر العسكرية والبشرية الكبيرة التي تكبدتها ألمانيا في روسيا، والتي تكبدتها روسيا نتيجة توجيه هتلر لقواته لغزو روسيا عام 1941 بدلاً من غزو بريطانيا ورد فعل روسيا على ذلك كان له الدور الحاسم في هزيمة النازية والفاشية.

وهو ما جعل أمريكا تستغل الفرصة للتدخل في النهاية (بعد أن هزمت النازية على يد الروس والشعوب الأوربية) وتسرق النصر الذي قدمته الشعوب الأوروبية والروسية بتقديم أكثر من أربعين مليون قتيل بينما لم تقدم أمريكا سوى بضعة آلاف. وهو ما مكن أمريكا في ذات الوقت من دخول برلين بينما تركت الجيش الأحمر الروسي يقاتل النازيين من شارع إلى شارع ومن بناية لبناية ومن بيت لبيت كي يحتل الرايخستاغ وهو ما جعل هتلر ينتحر. وهو ما جعل أمريكا بعد ذلك من احتواء ألمانيا أكثر من قبل.

لذلك تجاهل الإعلام الغربي والأمريكي كل ذلك وصوروا للعالم ولشعوبهم أن من هزم النازية هو من جاء في النهاية واحتل برلين الغربية، دون أن يخوض أية معركة حقيقية في شوارعها مع القوات النازية. فصوروا لنا وللعالم كله بأن أمريكا هي التي هزمت النازية بينما الحقيقة هي أنها فقط جاءت لتقطف ثمار النصر الذي ساهم السوفييت وشعوب أوروبا وقواها الثورية وأنصارهم في تحقيقه. وبالتالي روجوا خلال الفترة التي تلت الحرب العالمية الثانية أن كلاً من أمريكا والحركة الصهيونية كانتا منذ البداية وعلى طوال فترة صعود النازية كانت معادتين لها بينما تظهر الوقائع أنهم هم الذين أمدوها بالمال والتكنولوجيا اللازمة لصناعة الدبابات والطائرات وأنهم سكتوا على توسعها في بولونيا وبلجيكا وهولندا وفرنسا. (كما فعلوا مع

إيران) وهو ما تؤكد عليه أبحاث ودراسات كثيرة ظهرت خلال فترة الحرب. لكنها أخمدت وقمعت، نتيجة لارتفاع أصوات القنابل والغارات على الجبهتين الروسية والأوربية، لكنها لم تلبث لاحقاً أن ارتفعت وظهرت للعلن حيث تبين أن هذه الحركات الأربع النازية والفاشية والصهيونية والإمبريالية تشكلان وجوه عديدة لعملة واحدة اسمها معاداة الشعوب وأنهما في العمق والواقع والفعل تكملان بعضهما البعض. وهو ما ينطبق اليوم على الخمينية. بسبب أنها (كما بينا) تشترك معها في النزعة الاستعلائية والميل للهيمنة على الشعوب الأخرى. ومن حيث كونها مثلها حركة عنصرية منغلقة وعدوانية تنهل من النبع ذاته. وتتبع الأسلوب ذاته.

وكما استند الصهاينة على المظالم التي لحقت باليهود على يد نبوخذ نصر وهيرودوس وهتلر. واستخدموها لاستدرار العطف على مشروعهم التوسعي. كذلك فعل الفرس الشيعة الذين استندوا على المظالم التي لحقت بهم على يد العرب والسنة للانتقام.

حيث ثبت أن الطرفين اليهودي والفارسي كانا ومازالا يكذبان في عدائهم ومقاتلتهم للأشرار، ولبعضهما. بينما تبين أنهم في الحقيقة والفعل كانوا ومازالوا يمارسون القتل والتدمير ضد الشعوب العربية والمسلمة السنية والتي لا ذنب لها فيما حصل للطرفين سابقاً.

عداء الخمينية المزعوم لليهود:

ومن المؤسف أن نقول إن الإعلام الغربي سعى إلى إقناع الناس في العالم كله بأن أمريكا والغرب يعادون إيران كونها معادية لليهود كما كانت النازية. في حين ثبت بالوثائق والأدلة القاطعة عن أنه كان لصعود النازية (الرايخ الثالث) والخمينية دور مفيد للصهاينة اليهود كونه خلق رد فعل شعبي معاكس لكل من يعادي الصهيونية.

حيث استغل الصهاينة ما قامت به النازية لطرد اليهود من ألمانيا كي تهجرهم إلى فلسطين بعد أن توقفت الهجرة اليهودية إليها. حيث أثبتت كثير من الوثائق التي قدمها باحثون أمريكان في (كتاب إبراهيم أبو لغد عن عملية تهويد فلسطين إلى أن أعلى نسبة من اليهود الذين هاجروا من ألمانيا والنمسا وأوروبا الشرقية إلى فلسطين قد تمت بعد صعود النازية عام 1937 (حيث ارتفعت أعداد المهاجرين من عام 1934 إلى عام 1939 حوالي عشرة أضعاف).

الدور ذاته قام به الخمينيين من خلال دعوتهم منذ بداية تسلمهم حكم إيران (كما فعل النازيون بعد تسلمهم الحكم القضاء على اليهود) إلى إزالة إسرائيل وصراخهم صباح مساء. الموت لإسرائيل والموت لليهود. مما جعل الصهاينة وحماتهم بذريعة الدفاع عن حق اليهود في البقاء والوجود إلى غزو لبنان عام 1982 وسحق عظام الفلسطينيين ومن ثم في زيادة أعداد اليهود المهاجرين من روسيا (حيث وصل عددهم إلى مليون مهاجر.

ومن المؤسف أن النتيجة العملية لتلك الأقوال والشعارات وحتى الدعم العسكري لحماس والجهاد تحولت على أرض الواقع إلى موت للعرب والفلسطينيين أكثر بمئات المرات مما ألحقته من موت للصهاينة.

بدليل أن حكام إيران أنفسهم بعد أن تسلم رئاسة الجمهورية محمود أحمدي نجاد. وبعد خطاباته في جنيف والأمم المتحدة ومؤتمر مكافحة العنصرية والتي ركز فيها على إزالة إسرائيل. أدركوا أن تلك السياسة

ألبت العالم عليهم وخسروا أكثر مما ربحوا. وبعد أن بينت الوقائع أن تلك الشعارات والمزاعم وحتى الدعم المحدود للجهاد وحماس وحزب الله صبت في خدمة اليهود الصهاينة وفي زيادة دعم الغرب وأمريكا للنزعة العدوانية لإسرائيل. ولما تبخرت كل تلك الشعارات هباء، توقفوا عن ترديدها نهائيا. حيث تبين للجميع أنها لم تكن سوى نوع من "المتاجرة بالقضية الفلسطينية" والشعبوية الرخيصة.

الفصل السابع

الدور الهدام لإيران في الدول العربية:

المرحلة السادسة:

إذا ما راجعنا سياسة إيران المعلنة وقارناها بما قامت به هي وميلشياتها. فعلاً وعلى أرض الواقع في كل من العراق وسوريا ولبنان واليمن والبحرين والسعودية خلال الأربعين عاماً الماضية سنكتشف أنها لم تنجح في أي أمر دعي له الخميني أو نادى به هو وحكام إيران (التحرر من الغرب والصهيونية ومواجهتهما). سوى ممارساتها المدمرة ضد الدول والشعوب العربية فقط. وهو ما يتجلى بما قامت به ضد العراق عام 1982 في رفضها وقف الحرب وأخذ الأسلحة من إسرائيل لتدمير العراق. وبما قامت به ضده بعد ذلك بعد عام 2003 وبما تزال تقوم به في العراق ودول الخليج العربي والسعودية واليمن وسوريا ولبنان. بينما لم ولن تجرؤ على التدخل في شؤون دول اسلامية أخرى ومجاورة لها ويوجد فيها شيعة كثر كما في أفغانستان والباكستان.

ما يفهم منه أن خطر إيران الفعلي والحقيقي بات موجها فقط – ضد- وعلى الشعوب والدول العربية وخاصة ذات الأغلبية السنية. وهو ما يستدعي إعادة النظر في كل ما طرحته ما تسمى ثورة إسلامية في إيران، سواء ما يتعلق بصلتها بالإسلام أو من عداء مزعوم للغرب والصهيونية. عداء وإسلام لم نر منه شيئاً - إلا الضرر والحيف والخراب، حيث كما تبين لنا خلال الأربعين عاماً الماضية أن كل ما قالته عن الإسلام لا يمت للإسلام بصلة وأن عداءها الحقيقي وحربها الفعلية موجهة فقط ضد البلدان العربية كما فعلت بالضبط الامبراطوريتان الأخمينية والساسانية في الماضي، وعلينا أن لا ننخدع بالتسمية.

فمن يراجع الخرائط التي تمددت فيها تلك الامبراطوريات الفارسية قبل 2500 عام و1600 عام يجد أنها تتطابق إلى حد كبير مع المناطق التي تتمدد فيها إيران الخمينية وميلشياتها حالياً. لذلك علينا أن نتحرر من..

1: وهم إقامة نظم إسلامية مماثلة لما تم في إيران:

لأنه بات من المؤكد أن النظام السياسي الذي قام في إيران بعد عام 1980 لا علاقة له بأي نظام سياسي ظهر في تاريخ المسلمين ولا يشبهه لا من حيث الأيديولوجية والمنطلقات ولا أسلوب الحكم.

ولأنه كما تبين مما جرى في إيران من قمع وبطش وإعدامات واستبداد لا يمكن أن يكون مقبولاً من

أحد. كما تبين أن تسلم الخميني حكم إيران كان أقرب إلى عملية تسليم واستلام بين الشاه العميل الرسمي للإمبريالية والصهيونية وبين الخميني. وهو ما جسده قول "الشيرازي" عملية استبدال ديكتاتور يلبس القبعة بدكتاتور يلبس العمامة ويتحدث باسم الاسلام " تحت إشراف ورعاية المخابرات الأمريكية وموافقة الصهاينة.

ومما يحزن له هو أن كثيراً من المفكرين الإسلاميين خاصة في الدول المجاورة لإيران راحوا يفكرون بالتالي القيام بثورة إسلامية مماثلة لما قام به الخميني - كي يتسلموا بعدها الحكم في بلادهم. وبالتالي ليقيموا دولة إسلامية كتلك التي أقامها الرسول والخلفاء الراشدين والأمويين والعباسيين مع أن كل الوقائع على الأرض تتنافى مع هذا الوهم. وهكذا راح شتى أنواع "الإسلامويين" ينشطون ويعملون على نشر ما يعتقدون أنه الإسلام الصحيح، والعمل على إقامة الدولة الإسلامية العادلة والصالحة. والعمل على إسقاط الأنظمة العلمانية التي فرضها الغرب أو التابعة له والملحقة به. ومحاربة جميع التيارات العلمانية والوطنية والتقدمية كشرط اولي لإقامة الدولة الإسلامية القديمة التي أقامها الخلفاء الراشدين.

والطريف أن هذا التوجه لم تنتج عنه ثورة إسلامية بل ما عرفت بجبهة النصرة والدولة الإسلامية في الشام والعراق (داعش) والتي بدأت بمحاربة وقتل وقتال السنة وكل مسلم يخالف منظريها وقادتهم الرأي.

وللأسف لم يدرك جميع الجهاديين الإسلاميين الحقيقيين والمؤمنين بداعش وجبهة النصرة أن توجههم لإقامة دولة إسلامية جعلهم يقعون ضحية للاستراتيجية الغربية الصهيونية التي وضعها كل من كسينجر وهنتجتون وبيريس وبرنارد لويس. والرامية إلى تدمير المنطقة وشعوبها من أجل بناء شرق أوسط جديد تهيمن عليه إسرائيل بجعل العرب والمسلمين السنة والشيعة يقاتلون بعضهم البعض.

وضمن هذا السياق نرى أن عملية انشقاق أول تنظيم جهادي في مصر عن حركة الإخوان المسلمين "باسم الجهاد الإسلامي، المناهض للإخوان المسلمين عام 1977. جاء في هذا السياق. وهو ما ينطبق على حركة الجهاد الإسلامي وحركة المقاومة الإسلامية (حماس) في فلسطين وحزب الله في لبنان وأحزاب جهادية ظهرت في السودان والصومال واليمن والجزائر حتى القذافي العلماني راح يدعو لإسلام جديد. وهكذا راحت الحركات "الإسلاموية" المتشددة تتصاعد وتقوى في كل من العراق وليبيا وسوريا وتونس. وراحت إيران تقدم لهم الدعم المادي والمعنوي مما جعل كثير من التنظيمات العربية السنية والشيعية تتحول إما إلى أدوات بيد إيران أو بيد أمريكا للبطش بالقوى الوطنية والقومية والتقدمية في بلدانها أو ضد أنظمتها وحكامها العلمانيين. وهكذا أُدخل الوطن العربي في دوامة من الصراعات لم يكن أحد من قبل يحلم بها أو يتوقعها. حيث ظهرت على الهامش في جميع الدول العربية تنظيمات إرهابية تستخدم العنف مثل جند الشام في سوريا والأحباش في لبنان.. إلخ. مما خلق توترات بين جميع مكونات الشعوب العربية ساهمت بتفتت شعوبها وتضويعها أكثر. وتردي أوضاعها الاقتصادية والاجتماعية والفكرية والروحية، وهو ما أوصلنا إلى ما نحن فيه من تفتت وتشظي على المستويات كافة. وهو ما يتوافق مع عملية التمهيد لتقسيم المنطقة أكثر مما قسمتها اتفاقية سايكس بيكو وفقا لرؤية لويس برنارد وبيريس لبناء شرق أوسط جديد.

2: شق الصف العربي:

بغض النظر عما إذا كان صحيحا أن الحق كان مع صدام حسين في شن حرب على إيران عام 1980 أم لا. وفيما إذا كان رفض الخميني إيقاف الحرب عام 1982. هو الذي جعلها تستمر ست سنوات دمرت

الطرفين أم لا. لكن من المؤكد أن استمرار تلك الحرب جعلت جميع المفكرين والسياسيين العقلاء يسمونها بالحرب العبثية أو الحرب المجنونة، ومما لا جدال فيه أن الداعي لاستمرارها ورفض توقفها كان الخميني الذي اعتبر توقفها بمثابة تناول جرعة من السم. مما يشير إلى أنه كان بعلم أو بدونه ينفذ لإسرائيل ما تريده وصب في مصلحتها في تدمير البلدين والمنطقة.

والمؤسف له أن ما حصل بعد ذلك هو أن أغلب النخب العربية (خاصة التقدمية) استمرت بإدانة العراق وصدام وتحميله مسؤولية الجرائم الحاصلة لكونه بدأ الحرب. باستثناء قلة قليلة من النخب العربية التي انشقت عن أحزابها كما حصل مع الحزب الشيوعي العراقي الذي انشقت عنه عدة مجموعات (مجموعة باقر إبراهيم ومحمد فارس وفاضل الربيعي) ومجموعات بعثية وقومية ظهرت في سوريا ومصر والأردن راحت تدين إيران وتحملها مسؤولية استمرار الحرب والدمار الحاصل للبلدين والشعبين. وهكذا انشقت النخب والشعوب العربية (عدا عن حكامهم) لقسمين. قسم وقف مع العراق العربي وقسم مع إيران الفارسية.

وهذا شكل (بتقديري) من الناحية التاريخية والنظرية بداية انشقاق جديد وواسع داخل الصف القومي العربي - بين مؤيد للعراق ومؤيد لإيران. فبعد أن كان القوميين عرب ينشقون سابقاً على ضوء الموقف من الغرب وأمريكا وإسرائيل والصلح معها أو محاربتها. بما كان يعرف بالصراع العربي الصهيوني. باتت المواقف الوطنية والقومية منذ عام 1982 تتشقق حول الموقف من صدام وإيران (محور تابع أو مؤيد لإيران ومحور مؤيد للعروبة وصدام والعراق). بما يعنى أن إصرار الخميني على الاستمرار بالحرب بعد أن وافق صدام على وقفها. جعلنا كعرب دون أن ندري أعداء وأصدقاء. فخلق عداوات جديدة لم تكن تنقصنا. وهذا (في تقديري) شكل انحرافاً خطيراً، شكل بداية تقبل البعض لفكرة التحالف مع إسرائيل وأمريكا على فكرة التحالف مع صدام حسين واعتبار العراق عدوا كإسرائيل. حيث قام النظام السوري باعتقال كل سوري مؤيد للعراق كما منع السوريين من السفر للعراق كما إسرائيل وهذا ما كتبه على جوازات سفر السوريين "كل دول العالم عدا العراق وإسرائيل"، وهي بادرة خطيرة تشكل انحرافاً خطيراً في الوعي العربي وفي الأولويات. وسقوطاً أخلاقياً مريباً.

3: تدمير الجبهة الشرقية للعرب:

كثيرون لا يذكرون أو ينسون ما قام به الجيش العراقي في حرب تشرين. (للتذكير لم يكن الدكتاتور صدام حسين زعيما للعراق بل أحمد حسن البكر) الذي لولا تدخله بضوء أخضر من السوفييت كانت دمشق سوف تحاصر وتحتل وكان من المحتمل أن يسقط النظام.

لن افتح جدالاً جديداً عن أحداث عشتها كضابط في حرب تشرين وكتبت عنها بالتفصيل الممل. في رواية وثائقية بعنوان "التجاوز". لكنني أذكر من لا يذكر وباختصار شديد أحداثاً دامية.

فبعد أن استعادت إسرائيل أغلب الأراضي التي احتلها الجيش السوري قبل يوم 9 تشرين. راحت يوم 16 (بعد أن وافق السادات على وقف القتال) تتوسع في الأراضي السورية فاحتلت جيباً واسعاً (بقدر مساحة الجولان) يمتد من "أم باطنة" إلى "سعسع وكناكر" والتي تبعد عن مركز العاصمة دمشق 30 كم فقط.

لذلك ارتعدت فرائص القيادة السورية فأقامت خندقاً عند الكسوة على بعد 16 كم من العاصمة واختفت عن الأنظار. ولم يكن ينقص الجيش الاسرائيلي للإطباق على العاصمة دمشق يوم 22 تشرين إلا

أمر بالتقدم لمحاصرة دمشق واسقاط النظام أو تغييره أو إرغامه على الاستسلام، لكن بما أن قيادة الجيش العراقي كانت قد استبقت الأمور وأرسلت قوة بقوام ثلاث فرق مكونة من ستين ألف مقاتل وستمائة دبابة ومئتي طائرة.. إلخ)، لأنها كانت على علم بما حصل للجيش السوري من دمار عن طريق السوفييت (رغم أن الأسد والسادات لم يعلموا "حسن البكر" بنيتهما البدء بالحرب على الأقل ليأخذ احتياطه) فأمر الرئيس العراقي حسن البكر جيشه بالتحرك نحو سوريا بدءاً من يوم العاشر من تشرين حيث وصلت الفرقة المدرعة 12 يوم 12 تشرين إلى دمشق، ففوت بذلك التحرك الفرصة على محاصرة دمشق وحال دون إسقاط النظام. وبدأ المعركة مع العدو من الحركة مما أوقف تقدمها من جهة سعسع كناكر، ثم التفت الفرقة السادسة العراقية على الجيب الذي شكلته داخل الأراضي السورية بين تل المال وقيطة. وأقامت الفرقة الثامنة خطا دفاعيا لحماية طريق درعا يمتد ما بين تل عنتر وغباغب. حيث منعت القوات الغازية من السيطرة على طريق دمشق درعا (حيث كانت المدفعية الإسرائيلية تقصف الطريق من تل عنتر الذي احتله عندما تريد. فحالت دون عزل الجنوب السوري عن شماله. مما أوقف تقدم ذلك الجيش وحال دون سقوط العاصمة دمشق وسقوط النظام. وهذا أمر حسب تقديري لم تنساه القيادة الصهيونية للعراق.

وبما أنها كانت يومها أعجز من مواجهة الجيش العراقي البطل فلقد أرغمت على التوقف وتغيير خطتها. ومع ذلك لم تنسى ما حصل ولم تسامح الجيش العراقي على ما فعله يوم 12 تشرين لذلك دعمت إيران كنوع من الانتقام مما جرى عام 1973. ولما لم تنجح إيران في تدمير هذا الجيش تقدمت أمريكا ذاتها فقامت بتدميره عام 2003 ثم قامت بتسليمه لإيران وحلفائها الذين قاموا بتدمير بقايا الجيش العراقي والدولة العراقية وهو ما عجزوا عنه عام 1973، حيث كان هذا الجيش والدولة العراقية وعلى الرغم من كل ما كان ويمكن أن يقال عن النظام السياسي الحاكم ملكي أو جمهوري أو بعث أو صدامي. وسيظل الشعب العراقي حجر عثرة في وجه أي تقدم للمشروع الصهيوني.

لذلك لا يمكن النظر في مواقف جميع القوى التي وقفت مع إيران ضد العراق منذ عام 1982 وفي عام 2003 وحتى اليوم بمعزل عن نية قادة إسرائيل الانتقام من العراق وجيشه لما فعله عام 1973، كونه حال دون تدمير البوابة الشرقية للوطن العربي. وسواء تم ذلك بعلم أو بدونه. بما يعني أن إيران بعدوانها على العراق عام 1980 والعمل على إسقاط النظام فيه ومن تسلمها حكم العراق بعد العدوان عليه عام 2003 لم تكن سوى أداة لتدمير البوابة الشرقية للوطن العربي، وأن إصرارها وعملائها وإيران وميليشياتها على الاستمرار بتدميره ونهبه.. إلخ، هو ركن أساسي لتنفيذ المشروع الصهيوني، عمل عجزت وتعجز إسرائيل وأمريكا عن القيام به.

4: الأضرار الناتجة عن تبني إيران ملف القدس:

لسنا بحاجة للتأكيد على أن تغيراً جذرياً حصل في الموقف من فلسطين والقدس على النطاق العالمي بعد أن رفع الخميني عام 1980 شعار تحرير القدس ويوم القدس العالمي. حيث كان لرفع الشعار جانب دعائي جعل من القدس وليس فلسطين قضية مركزية. وجانبين غير مرئيين. نظري وعملي. فمن الناحية النظرية قزَّم القضية الفلسطينية فتحولت من قضية تحرر وطني وتحرير فلسطين من الاحتلال الصهيوني، إلى قضية صراع ديني بين المسلمين واليهود. والتركيز على القدس فقط كمركز ديني. ومن قضية مواجهة مع الاستعمار والتوسع والاستيطان إلى صراع حول المقدسات والقدس فقط.

أما في الجانب العملي فلم تقم إيران سوى بتسيير مسيرات في أخر يوم جمعة من شهر رمضان في العواصم الدول الموالية لإيران تستمر ساعة أو ساعتين مع خطابات رنانة، وكفى المؤمنين شر القتال.

بينما ترك المجال للملك حسين والحسن الثاني وفيصل الحسيني وسري نسيبة وعمر البشير تسلم ملف القدس. باعتبارهم سنة للحيلولة دون تحكم الفرس الخمينيين الانفراد بالقدس أو لأنهم أولى - ما أتاح المجال لأن يتسلم ملف القدس قيادات سنية لم تكن بحجم المسؤولية التي تتطلبها مواجهة عملية تهويد المدينة. ثم ساهمت عملية أسلمة القضية الفلسطينية وعمليا تقزيمها من خلال تحويلها إلى مجرد حرب دينية حول القدس والمقدسات الإسلامية، وليس قضية تحرر , وكان هذا لابد أن يعطى المجال للغرب وأمريكا المسيحي لتقديم الدعم لإسرائيل ولتقوم بكثير مما كانت تقوم وقامت به في القدس من خلال توسيع الاستيطان فيها. حتى وصلنا إلى وضع مكّن إسرائيل من الإعلان (في عهد ترامب) عن ضمها، واعتبارها عاصمة لها بدلاً من ان تكون عاصمة لفلسطين. وهكذا بدلاً من تحرير القدس الغربية ضوعنا القدس الشرقية.

لا يعني هذا ولن يعني أننا نعفي الدول الغربية وأمريكا والصهاينة من مسؤولية السكوت على عمليات التوسع والاستيطان وتهجير الفلسطينيين من بيوتهم وانحيازهم للعدوان. كما لن نشكك في صدق نيات حكام إيران أو السعودية والمغرب والأردن والسودان والجزائر ولا في صدق نيات حلفائهم في الوطن العربي وفلسطين ولا في نية قادة حركتي حماس والجهاد الإسلامي. وصدقهم في الحفاظ على الطابع الديني المسيحي والإسلامي للقدس. مع أهمية الجانب الديني في القضية لكننا لا يمكن إلا أن تؤكد على أن التركيز على الجانب الديني للقضية الفلسطينية والقدس مع عدم إبراز العنصرية الصهيونية والتوسع والاستيطان خدم إسرائيل وشكل وما زال يشكل خطراً على القضية الفلسطينية.

مكن - من الجهة المقابلة - كل من إيران وحلفائها (بعلم أو بدونه) من التحكم بالوضع الفلسطيني الخارجي والداخلي حيث ساهمت مواقفهم (بوعي أو بدونه) في توسيع دائرة الانشقاق القائمة منذ زمن بعيد في الساحة الفلسطينية من صراع بين وطني ولا وطني، ومن صراع بين علماني وديني إلى صراع ديني ومن صراع بين مؤيد لإيران والشيعة وبين السعودية وتركيا ومؤيد للسنة كاستمرار لصراع الأديان في العالم حسب رؤية "صموئيل هنتنجتون وجورج بوش". حيث أصبح الصراع حول القدس وفلسطين والمنطقة بعد ظهور إيران الخمينية صراعاً مذهبياً بين مسلمين وعلمانيين وسنة وشيعة وعرب وفرس بدلاً من صراع بين وطني وتقدمي وبين غير وطني وغير قومي. وبين كيان بات يزعم أنه يدافع عن بقائه وبين من يريد تدميره وإزالته من الوجود. وبالتالي دون دراية جرى احتواء الجميع فلسطينيين وعرب في السياسة الأنجلوصهيونية الداعمة لحق إسرائيل في الوجود والدفاع عن نفسها. وهذا ما مكن إسرائيل عمليا - من ناحية ثانية أن تستخدم ذلك الصراع الجديد بين الطرفين وتحوله لمصلحتها مما قد يمكنها من الاستمرار بذات النهج في المستقبل، وهذا خطر مستقبلي غير مرئي اليوم.

5: التحكم بمداخل ومخارج الوطن العربي الأربعة:

بعد أن احتلت إسرائيل لبنان واخرجت المقاومة الفلسطينية من لبنان عام 1982 فلقد خلى جنوب لبنان لحزب الله وحركة أمل. وبما أن غالبية أبنائه كانوا من الشيعة فكان من الطبيعي أن يتزعما حركة مقاومة تعمل على إخراج المحتل الإسرائيلي الذي أعلن أنه دخل ليخرج المقاومة الفلسطينية من لبنان، وبأنه بعد

أن أخرجها لم يعد هناك أي مبرر لبقائه. وهذا ما كان سيحدث في جنوب لبنان بمقاومة شعبية حتى لو كان سكانه هندوس أو بوذيين وسيتلقون الدعم من الهند والصين.

لكن بما أن أغلب سكان الجنوب كانوا من الشيعة فكان من الطبيعي أن يناضلوا ضد الاحتلال وأن يتلقوا الدعم من إيران. وكان هذا عمل عظيم لكنه دون أن ندري أتاح لحزب الله سمعة جيدة صرفها على أرض الواقع لمصلحة إيران والولي الفقيه. حيث كسب كثير من الجماهير والقوى الوطنية اللبنانية والعربية. مما أتاح المجال للحزب وإيران للتحكم بلبنان الذي أصبح بمثابة قاعدة لها شرق البحر الأبيض المتوسط. دعمها وجود نظام (علوي شيعي) داعم لحزب الله في سوريا. دعمته للبقاء ضد شعبه فتمسك بها وبوجودها على أرضه مما جعل إيران تتحكم بشرق المتوسط. وفي ذات الوقت عملت إيران بحكم التاريخ والجغرافيا أو بسبب لعنتهما. على تمكين الحوثيين الشيعة من السيطرة على اليمن (لأسباب عديدة لا مجال للبحث فيها) مما مكن إيران من السيطرة على مضيق باب المندب وبالتالي بمداخل ومخارج البحر الأحمر من جهة الجنوب.

وبما أن إيران كانت قد سيطرت على شط العرب التابع تاريخيا للعراق والذي يشكل المدخل الشمالي للخليج العربي (منذ عام 1925 بدعم من الإنكليز). وكانت تسيطر على مخرجه الجنوبي في مضيق هرمز. ما يفهم منه أن إيران الخمينية باتت تسيطر وتتحكم بالمداخل الأربعة للتجارة البحرية لبلاد العرب. تستطيع عندما تقرر أو يحلوا لها أن تقصف السفن الداخلة أو الخارجة فتشعل المنطقة وتحاصرها وتحصرها، وبالتالي تفرض عليها ما تشاء بمجرد التلويح بعمل ما فيها، وهذه نقطة استراتيجية مهمة للغاية لا أعرف أن كان أحد من القادة العرب قد أدرك أبعادها؟

6: السيطرة التجارية:

بما أن إيران جغرافيا تشكل حلقة وصل أساسية لطرق التجارة العالمية بين الشرق الأقصى والغرب عبر ما كان يعرف منذ القدم بـ "طريق الحرير" بما جعلها وشعوبها تشهد ازدهاراً وغنى وبما أنها تمتلك اقتصاد قوي وإنتاج غزير من النفط والغاز وتسيطر على بحر العرب وتملك جيشاً قوياً شجعها أن تسعى وتعمل جادة على استعادة الدور الذي لعبته في التاريخ القديم. لذلك وجدت دولا أخرى وكبيرة مثل الصين وروسيا في توجهات إيران التوسعية أداة تتمكن من خلالها المرور إلى وسط وجنوب غرب آسيا دون المرور بالبلدان العربية وقناة السويس. لذلك سعت لتحسن علاقاتها الاقتصادية والسياسية مع إيران المتنفذ الجديد في المنطقة. متجاهلة موقف حكامها وشعوبها.

وبما أن تلك الدول كانت وما تزال تغلب مصالحها الاقتصادية على المواقف الأخلاقية والمبدئية. لذلك باتت إيران ترى أن تشبثها في المنطقة العربية وتوسعها فيها ومحاصرتها تشكل مكسباً كبيراً لها يمكنها مساومة تلك الدول. مما زاد من أهمية الاحتلال وشجع إيران وأدواتها على التمادي أكثر.

7: الديماغوجية (الغوغائية والشعبوية):

بما أن التأييد الشعبي العربي انتقل إلى تأييد إيران والمنظمات والأحزاب المؤيدة لها استنتاجاً لما توله في إعلامها دون تدقيق في الأفعال. فهذا وحده كان ومازال يشكل خطراً نظرياً ومعنوياً على القوى الوطنية

والثورية العربية. والجانب غير المرئي من هذا الخطر يكمن في إمكانية أن تتحول وتصبح متنمرة فتقود الشعب البسيط وبالتالي قيادة الوطن العربي كما كانت أيام الساسانيين.

8: التعمية الفكرية:

بما أن نظرية الفقيه الولي القائمة على فكرة المعصومية وهي كما بينا لا علاقة لها بالإسلام. وبما أنها من الناحية الموضوعية والتاريخية تشكل عودة للوراء في الفكر الإسلامي والإنساني لما قبل الديانات والرسل. من حيث تقديس وتأليه إنسان واحد. وهنا نذكر من لا يذكر أن كثير من المرجعيات الشيعية البارزة رفضت وقاومت فكرة أن يتولى فقيه واحد قيادة الأمة والتحكم بمصيرها – ومنهم وأبرزهم محمد علي الشيرازي الذي طالب بمجلس شورى للفقهاء يدير ويقود الأمة وليس (فقيه) شخص واحد مهما كان ضليعا لأن الفرد لا يمكن لا يمكن أن يكون معصوماً عن الخطأ. حيث يمكن فقط لأتباع كل مجتهد أو فقيه أن يخالفوا فقيه آخر. أما إرغامهم على تقبل فتاوى فقيه واحد بعينه فهذا ظلال. ولذلك فإن عملية تكييف العقول والنفوس على تقبل كل ما يصدر عن شخص واحد مهما كان عليما باتت تشكل خطراً على نفسيات وعقول البشر والشعوب الإسلامية والعربية أخطر من الكفر.

9: خطر الحزن والبكاء والسواد وروح الثأر والانتقام:

فتقديس أشخاص مثل علي أو الحسين واعتبارهم معصومين كالرسول (مع أننا نجلهم ونحترمهم ونحزن على طريقة غيابهم مثل الشيعة) لكن لا يمكن ولا يجوز أن يجعلنا نقضي كل عمرنا نندب ونحزن ونبكي ونلبس السواد، ونصرخ "هيهات منا الذلة" و"يالثارات الحسين" من البشر الحاليين الذين لا علاقة لهم بمقتله والذين يتألمون لمقتله ويدينون ويجرمون القتلة.

والخطورة غير المرئية أنه تشكلت على هدى هذه الأفكار والأحقاد السوداء ميلشيات ظلامية مسلحة عنيفة ومجرمة وثأرية ودموية (في كل العراق ولبنان وسوريا واليمن والبحرين.. إلخ) راحت تطلق على العرب السنة تسميات مثل الكلاب والقردة والخنازير – يحل الفتك بهم وقتلهم وذبحهم. وعلى هذا الأساس قامت ميلشيات شيعية بذبح الفلسطينيين في سوريا ولبنان وقامت بتدمير بيوتهم وقراهم. كما فعل الفرس الأخمينيين والساسانيين.

وبما أن تلك الميليشيات والدعاوي حققت لإيران كثير من النجاحات التي أصبحت بسببها قوة إقليمية وبمثابة بلطجي وارهابي لذلك فالخطورة غير الظاهرة هي أن إيران ستظل تتمسك بهذه الدعوات والعصابات إلى ما شاء الله.

10: خطر تقديس الأفراد:

من المؤكد أن الإيمان بالولي الفقيه (مهما كان علیماً وفقيهاً فهو إنسان) وتقديسه الأعمى واعتباره معصوماً ستؤدي بصورة تلقائية إلى تقبل كل ما يصدر عنه وبالتالي ستغيب تلقائيا، القدرة على التفكير المنطقي والعقلاني والقدرة على النقد وتشغيل الأدمغة لدى جميع من يؤمن بالولي الفقيه. مما سيؤدي إلى هيمنة الفكر الظلامي الغرائزي والعمى الفكري وتغييب العقل والمنطق.

لذلك فهناك خطورة غير مرئية تكمن في قابلية تحول كل هؤلاء البشر إلى أدوات عمياء ووحوش كاسرة تبطش وتدمر وتقتل وتفتك وتحرق دون تفكير بالعواقب طالما أن لهم الجنة كونهم ينفذون أومر ولي الله على الأرض.

والخطورة غير المنظورة لا تأتي منهم فحسب بل تنشأ من إمكانية تحولهم إلى أدوات للتدمير بيد قوى ومافيات عالمية تتحالف معهم إيران مثل روسيا ومن إمكانية استخدامهم كأدوات لتنفيذ مصالحها كقوة أكبر؛ أو لمصلحة مافيا عالمية مترابطة موجودة في جميع بلدان العالم. تستخدمها مقابل أغراض دنيئة أو للقيام بعمليات تدمير أو تخريب في بلدانهم ونهبها. ولعل هذا ما قد يجعلنا ندرك خطورة اعتماد المافيا الروسية ومن يقفون خلفها على إيران وميليشياتها في سوريا ولبنان أكثر فأكثر لاستخدامها في جميع أنحاء العالم. وهذا أمر مرعب يفترض أن يدفعنا لليقظة والحذر. من الدور الهدام والتدميري لإيران وميليشياتها وفكرها.

الباب الثالث:
آفاق ومستقبل الهيمنة الإيرانية

بما أن أغلب دول العالم الثالث، خاصة حكومات دول ما يسمى عدم الانحياز، والتي يزيد عددها عن مئة وستة عشر دولة تتأرجح بين المعسكرين. وتخضع أو توالي هذه الدولة أو تلك من الدول الرأسمالية الكبرى السبع تحت قيادة الولايات المتحدة الأمريكية، أو لتلك الدول الاشتراكية مثل روسيا أو الصين. فإن هذا الواقع الدولي تغير بعد عام 1991 (بعد انهيار وتفكك المعسكر الاشتراكي) الأمر الذي نجم عنه فراغاً سياسياً واقتصادياً وعسكرياً، كان لابد للدول الأصغر مثل الهند والبرازيل وتركيا وإيران من أن تملئه. وبما أن الدول العربية بالذات -أكثر من غيرها- كانت تفتقر لدولة مركزية قادرة على السيطرة على ما حولها من دول مفككة وضعيفة، فإنها باتت محكومة بالتبعية لإحدى الدول الرأسمالية أو لدولة مثل روسيا أو الصين أو تركيا أو إيران كونها تمتلك اقتصاداً وقوة عسكرية تمكنها من الهيمنة على ما حولها وتمتلك ماضياً امبراطورياً عريقاً ونزعة للتوسع.

وبما أن للدول العربية ماض غير مشجع مع تركيا كوريثة للدولة العثمانية التي حكمتها أربعمائة سنة، لذلك كان من الصعب على تركيا أن تجد لها موالين لها في الدول العربية مما فتح المجال لإيران وحدها كي تسعى وتعمل على خلق موالين لها في الدول العربية أكثر من غيرها.

وبما أن إيران كانت قد طرحت نفسها منذ عام 1980 للعالم على أنها دولة معادية للغرب وأمريكا وإسرائيل، وأنها تقف مع الحق العربي في فلسطين، لذلك وجدت آذاناً صاغية لدى بعض الحكومات والاحزاب والشعوب والجماعات والقيادات العربية. وهو ما مكنها ومكن أدواتها بعد سقوط بغداد عام 2003 على يد أمريكا من الهيمنة على العراق من خلال أدواتها والموالين لها. وبما أن أمريكا وجدت في إيران بديلاً مناسباً أفضل من روسيا للهيمنة على العراق وتلك الدول التي كانت تناكفها العداء. لذلك تركت لها المجال للتمدد في دول أخرى مثل سوريا ولبنان واليمن.

ومع أن كثيراً من الساسة والباحثين والكتاب بينوا واثبتوا أن جمهورية إيران الإسلامية لم تكن سوى أداة بيد الغرب وأمريكا للهيمنة على الوطن العربي الذي كان رافضاً بالمجمل الولاء للغرب وأمريكا أو إسرائيل. إلا أن قسماً آخر رفض مثل هذا الطرح وراح يروج لفكرة مفادها أن إيران كدولة إسلامية وتمتلك إمكانات اقتصادية جيدة يمكن إذا ما تحالفنا معها وفتحنا لها قلوبنا وعقولنا، أن تقف إلى جانبنا وجانب حقوقنا المشروعة ونهزم معاً كلاً من المشروع الرأسمالي الغربي والمشروع الصهيوني التوسعي.

لن نشكك بهذا الطرح، وسوف نسلم جدلاً بأن حكام إيران صادقين وجادين وبأنهم ليسوا أداة بيد أمريكا والغرب، وبأن إيران حكومة وشعباً يمكن أن تقف إلى جانبنا وتساندنا وتضع إمكاناتها الاقتصادية أو العسكرية أو جزء منها لمصلحتنا أو لهزيمة المشروعين الإمبريالي والصهيوني اللذان يهددنا.

ليس من حق أحد أن يجعلنا أخذ هذا على أنه مسلمات. بل يفترض أن نضع مثل هذا الطرح للنقاش والدراسة على ضوء الوقائع التي توفرت لنا خلال ربع القرن الماضي كي لا نؤخذ غيلة.

حيث يمكن بعدها أن نتخذ المواقف والقرارات الأكثر صحة.

الفصل الأول:

حدود وإمكانات إيران

1: إمكانات إيران الاقتصادية والعسكرية:

هل يمكن لإيران أن تحقق بإمكانياتها الخاصة، (حتى أية دولة كبرى وقوية عسكرياً واقتصادياً، مثل روسيا، أو الصين) أن تسقط أمريكا او النظام الدولي (النظام الامبريالي) الذي تهيمن عليه أمريكا؟ حتى لو امتلكت مئات القنابل الذرية وآلاف الصواريخ البالستية والنووية مثل روسيا؟

هل يمكن لهذه الدول مجتمعة أن تحقق ما عجز عنه المعسكر الاشتراكي الذي استوعب قبل نصف قرن نصف البشرية تقريباً، أو ما عجز عنه تجمع البريكس (الصين وروسيا والهند والأرجنتين وجنوب إفريقيا {نصف سكان واقتصاد العالم}؟

من الواضح أن قيادات تلك الدول مع أنها تمتلك عشرة أضعاف ما تمتلكه إيران من إمكانات سواء اقتصادية أو مالية أو عسكرية. لم ترفع شعار محاربة الغرب واسقاط النظام الامبريالي لأنها تعرف أنها باتت جزءاً منه وأن إسقاطه يعني سقوطها هي معه. فكما نعلم أصبح العالم موحداً ومعولماً لدرجة أنه إذا أصيب طرف فيه بهزة أثرت على بقية دول العالم. وهو ما حصل عام 2008 بعد أزمة قروض السكن في أمريكا؟

ومن المفيد أن نذكر أن نصف تجارة إيران الخارجية كما الصين، هي مع أمريكا والدول الغربية والتابعة لها اقتصاديا والتي إذا ما لحق بها ضرر سوف يلحق بها فورا. وهذا ما أدركته القيادات الاقتصادية الإيرانية والصينية. لذلك لم ترفع أي منها شعار إسقاط النظام الإمبريالي أو الغرب وأمريكا، لأنها تعرف أنها تشكل جزءا من هذا النظام المعولم والموحد الذي إن سقط سوف تسقط هي معه. ما يفهم منه أن السعي لتغيير النظام الدوالي أو أسقاطه ليس أكثر من كلام وأوهام أيديولوجية.

2: وهم إمكانية تعميم الإسلام أو نظرية الولي الفقيه:

من المفيد تذكير جميع العقائيين أن العيش في امكانية أي عقيدة او مذهب او دين من أن يعم لعالم ليس الا وهما وضلا لاً , عليهم أن يتخلوا عنه وهذا سيكون في مصلحتهم ومصلحة غيرهم وضمن هذا الفهم نسأل :

هل تمتلك إيران الخمينية نظرية فكرية وسياسية واقتصادية يمكن أن تجمع كل شعوب العالم الثالث

ونخبها وقياداتها على نظرية جامعة توحدهم بما يمكنهم من بناء نظام دولي جديد حتى يتمكنوا من هزيمة الإمبريالية العالمية؟ إذا كانت روسيا الماركسية اللينينية والتي جمعت حوالي نصف سكان الأرض قد فشلت في ذلك فهل ستتمكن إيران الخمينية من النجاح؟

إذا كان قادة ومنظري إيران أعجز من أن يقنعوا شعبهم وشيعتهم بنظرية الولي الفقيه فكيف سيكونون قادرين على إقناع الآخرين المؤمنين بعقائد مختلفة والمتمسكين بها أكثر مما هم متمسكين بأيديولوجيتهم، أو تعميمها عليهم واتباعها؟

وبصدد هذه الناحية نذكر من نسي أن شعوب العالم تتبنى ديانات ومذاهب مختلفة. خمسة رئيسية وأكثر من ألف ديانة غريبة وعجيبة ومنذ أكثر من ألفي عام وما تزال تؤمن وستظل تؤمن بها، ولن تتخلى عنها. لذلك فتصور حكام إيران أو غيرهم من أنهم يمتلكون أيديولوجية مثالية وفائقة القدرة (حتى لو كانت سماوية) أو أنها كأيديولوجيا قالة لان تكون كلية أو شاملة تغني وتزيح، أو أن تكون أو أن تصبح بديلاً عن سواها من الديانات والمذاهب.؟ اعتقد أن هذا ليس سوى عبث ووهم وضلال.

فإذا كانت عملية الإقصاء التي قام بها الخميني وأتباعه لمنظرين شيعة جعفريين، وحتى ممن كانوا مؤمنين بفكرة الولي الفقيه (كما بينا سابقاً) جعل أنصار الخميني يعملون على إبعاد وتجاهل قوى ثورية وتيارات فكرية إسلامية ثورية أخرى. كانت موجودة في إيران (شيعية جعفرية وسنة وإسماعيليين وزيديين وعلويين ومرشديه وأحمدية وبهائية وبابية). وحيث كان ومازال يوجد لها مؤيدون كثر ولا يستطيع أحد نزع صفة الإسلام عنهم ومنهم. قد جعلهم ينفرون من إيران بسبب تبنيها وسعيها لفرض تلك النظرية عليهم.

ما يعني أن البشر لم تعد تتقبل فرض أي نظرية عليهم. ويرفضون أن يصادر أحد حقهم في تقديس ما يؤمنون به - أو أن يلغي حق المؤمنين بأي دين أو مذهب من التمسك به ولو عن جهالة. أو في منعهم من التعبير عما يروه مناسباً لهم. وهذا للأسف ما فرضته إيران على شعبها - حتى في المجالس البلدية وعلى نطاق ضيق مع الإيزيدية والبهائية مع أن يشكلون أغلبية في مناطقهم. وبما أن هذا الأمر يتنافى مع أهم قيم الحرية الفكرية والديمقراطية (الحسنى والموعظة) والعدالة في العالم ومع الإسلام، ما يؤكد على أن هذا المسعى محكوم عليه بالفشل سلفاً.

وهو ما أكد عليه كثير من أئمة الشيعة، بما فيهم المؤمنين بنظرية الولي الفقيه. لذا لابد أن يكون فرض هذا النظام مرفوضا من قبل جميع أحرار ومفكري جميع الأديان والمذاهب في العالم. بما في ذلك وأولهم العرب.

وهذا هو رأي كبار علماء وأئمة الشيعة الاثنى عشرية (الذين أتينا سابقاً على ذكر أسمائهم والذين تم إسكاتهم أو إبعادهم أو اغتيالهم لهذا السبب). لأنهم دعوا "التتقبل التعدد الفكري والمذهبي للناس في العالم وفي بلدهم وغيره من البلدان" وتأكيدهم على أن التعدد والاختلاف العقائدي الفكري هو أمر جيد. بدليل أنهم هم أنفسهم دعوا في فترة ما لمؤتمرات لـ "الحوار بين المذاهب والأديان" أو للتقريب بينها.

وكما يقول المثل "كل على دينه ومعتقداته الله يعينه".

3: التناقض بين قوة إيران الاقتصادية وطموحاتها السياسية:

بين المؤرخ والباحث الأمريكي "وليم كنيدي" في كتابه "صعود وسقوط الامبراطوريات خلال 500 عام" والصادر عام 1986 في واشنطن. والمكتوب عام 1984. أن الإمبراطورية السوفيتية سوف تنهار لأسباب اقتصادية ومالية قبل انهيارها الفعلي بست سنوات. من خلال ربطه الدقيق بالتواريخ والأحداث والأرقام والوقائع أن التفاوت بين القدرة على النهوض والتوسع وبين الإمكانات المتاحة بما سيؤدي إلى حصول عجز مدمر. بما يفهم منه إيران مهما امتلكت من قوة عسكرية واقتصادية لن تتمكن من هزيمة الغرب وأمريكا. لذلك على قادة إيران والسائرين في ركبهم أن يعرفوا حجمهم وحجم امكانياتهم وبأن الطموحات الكبيرة للتوسع والزائدة عن الإمكانات الذاتية والواقعية سوف تسقطهم. وأن رفع الشعارات الطنانة لهزيمة الغرب والصهيونية لا يمكن أن تعمي أبصارنا وأبصار شعبهم ومؤيديهم عن رؤية الحقيقة المرة "قوة هذا النظام".

لا يعني هذا أنني ادعوا للتسليم أو الاستسلام لهذا النظام العالمي، وأن لا نفكر ونعمل على تغييره. بل يفترض قبل ذلك أن نفهم العالم بشكل صحيح ودقيق ومن ثم نبني رؤية أكثر صحة تستند على رؤية جامعة جديدة لعالم جديد يقوم بها مفكرين من جميع الدول والاتجاهات الفكرية والسياسية والاقتصادية. ومن ثم طرح مشروع فكري سياسي اقتصادي منطقي وواقعي قابل للتقبل العام والتطبيق وليس الجعجعة (الهوبرة، والشعبوية).

من هذه الزاوية أرى أن كل ما طرحه منظري الإسلام السياسي منذ سقوط الإمبراطورية العثمانية وخصوصا من خلال ما سمي ثورة إسلامية في إيران كونه إقليمي ويفتقد للرؤية الشمولية للعالم وللقوى والتيارات الأخرى. ليس سوى كلام للاستهلاك المحلي الداخلي أبعد ويبعد شعوبنا عن التفكير والبحث عن بديل سياسي واقتصادي أكثر عدلا. دون أن يعني ذلك التخلي عن الإسلام أو المسيحية أو البوذية أو أي دين ولا عن التدين والعبادة.

4: أخطار التسلح والتدخلات الخارجية في تدمير إيران وشعبها:

تؤكد تقارير كثيرة على أن ما صرفته إيران على التسلح ودعم المليشيات التابعة لها في العالم العربي خلال ربع القرن الماضي يشكل أكثر من نصف الميزانية العامة لإيران. والتي لو صرفت على التنمية والتعليم والصحة والصناعات المدنية.. الخ، لحققت رفاهاً اجتماعياً ونهضة لها ولجيرانها. بينما ما فعلته حكوماتها كان على العكس موت ودمار وتدمير وتخريب وترميل -على الأقل- ربع نساء إيران والعراق. وهو ما انعكس سلباً على حياة أغلب فئات الشعب الإيراني وهو ما أدى إلى حصول عدة مظاهرات واضرابات. كان أخرها ما تمثل بالمظاهرات التي بدأت قبل خمسة أشهر. وبما أنها لا تزال مستمرة حتى اليوم نتيجة لمقتل "مهسا أميني" حيث لا يمكن أن يكون مقتل إنسان أو عدة متظاهرين سبباً في استمرار هذه المظاهرات في عموم إيران لو لم يكن للعوامل الاقتصادية والمعيشية والثقافية دور حاسم.

يفهم مما سبق أنه:

أ: لم يبق من إيران على المستوى الأيديولوجي والسياسي والاقتصادي والعسكري سوى ما يشير إلى ما ذهبنا إليه سابقاً. من أن إيران الحالية باتت فقط قوة عماء وتعمية وظلام وتظليم وظلم

وانتقام ونهب وتجويع وهدم وتخريب وتفتيت وتدمير للشعب الإيراني وللبلدان والشعوب العربية. وأن كل ما روجت له الثورة الإسلامية من عداء للغرب وأمريكا والصهيونية أو من سعي لنشر الإسلام أو انتقاما للحسين وآل البيت ليس سوى كلام للاستهلاك المحلي. استفادت منه عمليا أمريكا والغرب وإسرائيل.

ب: أن كل ما قامت وتقوم به إيران لم يخدم الغرب والصهيونية فحسب. بل حقق لهم ما لا يستطيعون القيام به والحصول عليه بإمكاناتهم , بل من خلال عمليات تدمير وتفتيت وهدم قامت بها إيران للبلدان العربية باسم الدين والمذهب والاسلام.

ج: بما أن تلك القوى سكتت في الماضي على تصرفات إيران المدمرة للطرفين. فعلى الأغلب سوف تستمر على هذه السياسة. ولذلك فإن حكام إيران سوف يستمرون بهذه السياسة التدميرية في المستقبل.

وبما أن النظام الإيراني مثل أي نظام في العالم يخضع لقوانين موضوعية خضع لها سابقا وخضعت لها امبراطوريات كثيرة (صعود وسقوط). سوف يسقط. وأعتقد أنه قد وصل بعد عام 2023 إلى بداية الانهيار النهائي. أو دخل في مرحلة النهاية والأفول.

إعادة بحث الملف والخطر النووي لإيران:

مع أن هذا الملف يحتاج وحده لكتاب خاص. إلا أننا نشير إلى بعض الحقائق التي تبين وتفسر لماذا اتخذ هذا الملف كل ذلك الزمن الطويل والمفاوضات المعقدة والأخذ والعطاء خاصة بين أمريكا وإيران ولم يأخذ مع دول أخرى مثل الباكستان والهند والأرجنتين هذا الوقت. ما يفهم منه أن وراء ذلك أمور أخرى تحتاج للبحث والتدقيق للكشف عنها أو للتأكيد عليها.

1: من حق جميع دول العالم بما فيها إيران بناء مفاعلات نووية للأغراض السلمية ليس كبديل عن الطاقة الأحفورية القابلة للنفاذ ولما تخلفه من غازات تؤثر على المناخ. بل لاستخدامها في الطب والزراعة والصناعة. وربما في مجالات لم نتوصل لمعرفتها بعد.

2: بين الباحث والمؤرخ "وليم إنغدال" في كتابه "مائة عام من الحرب" أن شركات النفط الأمريكية وقفت ضد عملية تعميم مشاريع الطاقة النووية السلمية لتستمر في نهب العالم من خلال بيع النفط ومشتقاته. وبأنها هي التي أرغمت حكومتها كي تعمل ضد أي جهة أو دولة في العالم تسعى لتطوير مشاريع نووية حتى للأغراض السلمية لأن ذلك يخرج دولها وشعوبها عن السيطرة. وهو ما ينطبق ذلك على إيران وسواها.

3: بما أن الحد الفاصل بين استخدام المفاعلات النووية للأغراض السلمية والعسكرية لا يمكن معرفته والسيطرة عليه إلا من إشراف ومراقبة وكالة الطاقة الذرية الدولية فلقد وافقت إيران على ذلك من أيام الشاه واستمر هذا الموقف من أيام الخميني حتى عام 2007 (حيث وقف الخميني ضد استخدام الذرة في الحرب استنادا لمواقف إنسانية وشرعية وظل يقف ضد ذلك الأمر حتى وفاته عام 1989). لكن ما فجر الوضع هو تصريحات الرئيس الإيراني محمود أحمدي نجاد الذي أعلن عام 2006 أن بلده تجاوز الحد المسموح به في عملية التخصيب (2,8 %) وأعلن أنه يتحدى أمريكا والغرب.

وبما أنه كان يهدد بإزالة إسرائيل وهزيمة الغرب فلقد أخاف الجميع من أن يكون عمل إيران بالمشروع النووي سوف يشكل مستقبلاً خطراً محتملاً وقوياً على الغرب، وما زاد الطين بلة هو اكتشاف وكالة الطاقة الدولية وجود مفاعلات سرية ووجود نسبة تخصيب عالية. مما جعل الغرب والشرق يقف ضد المشروع النووي لإيران. فراح يفرض حصاراً على إيران بما فيه بيع النفط لوقف نشاطاتها السرية مما أرغم إيران عام 2011 للدخول في مفاوضات مع الدول الخمس بزعامة أمريكا استمرت حتى أبرم الاتفاق المعروف عام 2015.

4: تبين أن المشكلة في الاتفاق أن إيران ساومت فيه بين عملية التخلي عن مشروعها النووي مقابل التمسك بمشروعها التوسعي في المنطقة العربية. وربطت بين عملية توقف عن زيادة التخصيب الازم لصنع قنبلة نووية كشرط يمكنها من الاستمرار بصناعة الأسلحة التقليدية والبالستية وهو ما يعني أن الاتفاق يتيح لها ومازال يعني التمسك بحقها في التدخل في الشؤون الداخلية للدول العربية. ويؤكد على أن إصرار إيران على الاستمرار بمشروعها التوسعي هو الأهم وهو ما اتضح من خلال سعيها الدائم لعدم التطرق لما قامت وما يمكن أن تقوم به ميليشياتها في الدول العربية. وهو ما أتاح ولا يزال وسوف يتيح لها الولوج إلى المنطقة بحرية.

ولعل هذه النقطة والتي لم يتناولها كثير من الباحثين بالدرس من خلال تجاهل عملية الربط بين المشروع النووي وبين المشروع التسليحي التقليدي الذي قامت وتقوم به إيران وميليشياتها سابقاً وحالياً. وتجاهل أن خطره سيكون على الدول العربية أكثر من خطره على الغرب وأمريكا وإسرائيل. ولهذا وجب ويفترض بنا كعرب أن نركز على المشروع التسليحي التقليدي والمشروع التوسعي لإيران أكثر من التركيز على المشروع النووي.

لهذا راحت كل من أمريكا (وإسرائيل بشكل غير مباشر تغض النظر وتسكت) تستخدم النزعة التوسعية لإيران من خلال مدها بالسلاح لمواجهة العراق عام 1980. وبعد أن وجدت أن تقديمهما الأسلحة بصورة مباشرة وعلنية لمواجهة العراق، قد ألحق وسيلحق بها وبهم وسمعتهم وسمعة إيران خسائر معنوية. لذلك وجدوا في الأسلحة التي تمتلكها روسيا الجديدة (الإمبريالية المافياوية بعد عام 1991) بديلاً عن السلاح الذي يمكن أن يقدموه هم لإيران. فتركت المجال لروسيا كي تقدم لإيران خبراتها في مجال تكنولوجيا الصناعات النووية والحربية والصواريخ مقابل عدم معارضة روسيا للتمدد في المنطقة. وخاصة في سوريا وليبيا. وهكذا استفاد الإيرانيين من حاجة روسيا للمال بعد الفوضى التي حلت بها عام 1991 ووجدوا فيها فرصة للاستفادة من خبراتها التسليحية ولتطوير قدرات إيران العسكرية الذاتية. لأنهم يعرفون أنها لن تكون موجهة ضدهم، بل ضد الدول والشعوب العربية. لأن قادة روسيا يعرفون أن تلك الأسلحة لم تكن ولن تكون ولن توجه لإسرائيل أو أمريكا ولن تستخدم ضدهم. وليس حتى ضد أفغانستان أو الباكستان. لذلك تركوا لإيران المجال لتوقع بعلمهم مع روسيا (بعد أن تحولت للإمبريالية) عقدا لبناء خمس مفاعلات نووية للأغراض السلمية تحت إشراف روسيا، وفي ذات الوقت استيراد براءات اختراع لصناعات عسكرية سوفيتية عديدة متوقفة. سوف تستخدم ضد الدول العربية لمصلحة أمريكا وإسرائيل.

بدليل أن كل أو أغلب الصناعات العسكرية الإيرانية التي تمت - وخاصة الصواريخ (فاتح، وقدر وسجيل وعاشوراء.. إلخ) كما يرى الخبراء هي صواريخ مطورة عن صواريخ روسية قصيرة أو متوسطة المدى (200 إلى 400 كم) بمعنى أنها مصنوعة أساسا كي تستهدف فقط الدول العربية المجاورة لإيران. أما بعيدة

المدى (3000 كم) التي يمكن أن تصل إسرائيل فقدرتها التدميرية ضئيلة جداً، هذا إن وصلت إليها بعد حوالي نصف ساعة من إطلاقها، حيث يمكن كشفها خلال تسع دقائق وتدميرها فوق الأراضي السورية أو العراقية.

ومع أن أمريكا كانت وراء تشجيع روسيا عملية تطوير مشاريع إيران العسكرية والنووية (تفعيل وتخصيب واستعادة المواد المشعة) إلا أنها في ذات الوقت راحت تتفاوض معها من خلال وكالة الطاقة الذرية وأوروبا بهدف الهيمنة الاقتصادية والعلمية عليها. واتخذوا من منع تحول برنامجها النووي السلمي إلى عسكري، ذريعة كيلا يغضبوا إسرائيل. ولهذا توصلوا إلى اتفاق معها يحول دون توصلها إلى درجة التخصيب التي تمكنها من صنع قنبلة نووية. قد تطال إسرائيل. حتى لو كان احتمال ذلك ضعيف جداً. ولذلك كانت إيران وما تزال تصر على العودة للاتفاق. وتبدي الاستعداد الكامل للتوقف عن التخصيب لكن دون التخلي عن مشروع تطوير الصواريخ البالستية قصيرة أو متوسطة أو بعيدة المدى والطائرات المسيرة التي تخدم مشروعها التوسعي في المنطقة. وليس لمواجهة الغرب وأمريكا. بل ربطت بين المشروعين. وكانت دائما مستعدة للتخلي عن المشروع النووي وتؤكد على أنها لن تتخلى عن المشروع الصاروخي البالستي والأسلحة التقليدية والطائرات المسيرة.

المشروع التوسعي لإيران:

بما أن أمريكا لم ولاتزال ولا تمانع مشروع إيران الصاروخي والميليشياوي في بلاد العرب طالما أنه يصب في مصلحة سياستها الرامية إلى تهديد وابتزاز الدول العربية وإخضاعها، لكن بما أن حلفاء أمريكا في السعودية والخليج أدركوا ذلك وباتوا ينؤون من دفع الأموال الطائلة بلا توقف أو افق لتوقف دفعها ومن دون أن توثق تهديدات إيران وميليشياتها، وبما أن إسرائيل باتت من الجهة المقابلة تخشى من المشروع السري لإيران الذي لن يهدد الدول العربية فحسب بل يهددها هي أيضاً، لذلك قام ترامب عام 2018 بإلغاء ذلك الاتفاق بما يجنب إسرائيل تلك الأخطار، وبما أن التوفيق بين مشروع إيران العدواني والتوسعي (الصاروخي والميليشياوي) بات يتناقض بين ما تريده أمريكا منها ومنه من جهة، ومع ما يريده حلفائها العرب منها من جهة أخرى من ضمانات، خاصة مما تخشى منه السعودية من جهة ثالثة وبين ما تخشاه إسرائيل. من عمليات توسع على حدودها الشمالية بما قد يعطي المجال لمليشيات إيران في سوريا ولبنان ضرب مواقع إسرائيلية كوسيلة لكسب الشعبية على حسابها لذلك وقفت ضد ذلك التمدد (مع أنها سكتت منذ عام 2003 على تمددها في العراق ومنذ عام 2011 على تمددها في سوريا طالما أن ذلك كان يصب في مصلحتها كون ذلك يضعف ويدمر البلدان والشعوب العربية). ولذلك باتت إسرائيل تقف ضد التوسع الإيراني في سوريا ولبنان. هو بتقديري ما جعل ويجعل من التوصل إلى اتفاق جديد أمراً صعباً.

ما يهمنا من وراء كل هذه الجعجعة. هو التأكيد على:

أولاً: أن من حق إيران وكل دول العالم امتلاك مفاعلات ذرية من أجل استخدامات الطاقة للأغراض السلمية. وأن تخضع منشآتها النووية لإشراف وكالة الطاقة الذرية. وهو ما يفترض أن تخضع له إسرائيل أيضاً.

ثانياً: أن لا يضمن أي اتفاق نووي أو غير نووي حق إيران في الوصول إلى درجة تخصيب يمكن أن توصلها لصناعة قنبلة نووية. لأن ذلك يشكل خطراً علينا نحن وليس على أمريكا ولا على إسرائيل التي تعرف

(كما نحن نعرف) أن إيران لو امتلكتها فهي لن تطال أمريكا ولن توجه ضد إسرائيل. بل ضد الدول العربية القريبة منها، لأن هذه الدول على الأقل لا تمتلك قوة ردع يمكن أن تحول دون استخدامها ضدها. لذلك باتت دولنا وشعوبنا مكشوفة الظهر والبطن والرأس.

ثالثاً: أن يشير الاتفاق بشكل صريح على توقف إيران عن... والتزامها بالتوقف عن تطوير أسلحتها الصاروخية خاصة البالستية التي تبين أنها سوف تستهدفنا نحن كعرب كونها استهدفتنا في الماضي وما تزال تستهدفنا لخدمة أغراضها التوسعية ولخدمة كل من إسرائيل وأمريكا وأوروبا وروسيا. ولأننا نعرف أنها كما لم ولن تستهدف لا أمريكا ولا أوروبا ولا أفغانستان أو الباكستان. وإذا كان من حق إيران الحصول على ضمانات لعدم التراجع عن الاتفاق الذي تسعى لإبرامه مجددا، فمن حقنا نحن كعرب وخاصة دول الخليج والسعودية أن نطالب أمريكا وإيران بتقديم ضمانات تؤكد فيها إيران عدم استخدام تلك الأسلحة والصواريخ والمليشيات ضدنا كعرب.

رابعاً: أن يتضمن الاتفاق اعتبار أنشطة جميع ميلشيات إيران في البلدان العربية، أنشطة إرهابية توازي الإرهاب الداعشي يتوجب على الجميع التوحد لمجابهتها. كونها دمرت وما تزال تدمر شعوبنا وبلادنا أكثر. وهو ما لم يتضمنه الاتفاق السابق. وهو ما قامت به ميليشياتها في كل من العراق وسوريا ولبنان واليمن والخليج العربي. وحيث زادت بعد الاتفاق من تدخلها في البلدان العربية. بما يعني أنها كانت وما تزال تصر في ظل المفاوضات على اتفاق جديد تسعى من خلاله عدم التطرق لمشروعها التوسعي ونشاطاتها في الدول العربية. أو بما يترك لها المجال للتوسع وتطوير الأسلحة التقليدية لتهديد الدول العربية بما يعني أنها تعطي لنفسها الحق للتدخل في الوطن العربي والتوسع فيه والهيمنة عليه الأولوية على المشروع النووي.

وبما أن كل من أمريكا وأوروبا وإسرائيل وروسيا لم تقم في الماضي بأي عمل جدي أو حقيقي أو مؤثر لوقف عمليات التوسع لأنها لا تضيرها، بل تكسب منها اقتصادياً. لذلك ستظل تلك الدول تسكت وتغض الطرف عن أعمالها العدوانية. وسيظلون يكذبون على شعوبهم وعلينا وعلى شعوب العالم. لذلك يجب التنبيه لهذا.

والخطورة تنشأ من أنهم عمليا من خلال عمليات الكذب والتكاذب والمماطلة والمفاوضات شبه اليومية (بعلم أو بدونه) يتيحون لها المجال يوم بعد يوم وسنة. بعد. أو في ظل. الاتفاق أو عدمه والمفاوضات العبثية المتنقلة بين جنيف وفيينا وقطر.. إلخ) أو عدمها لتطور مشاريعها الحربية. وبخاصة البالستية والتوسع تحت غطاء العمل على توقيف ومنع زيادة تخصيب اليورانيوم فقط.

مما يعني أن المشروع النووي والاتفاق والمفاوضات حوله أو حول تغييره ليست سوى غطاء يتيح لكل من أمريكا وأوروبا وروسيا وإسرائيل استخدام إيران لابتزاز وتركيع حكومات وشعوب المنطقة وفرض هيمنتها على الدول العربية خاصة النفطية من خلال إما فرض اتفاقيات معها أو مع إسرائيل أو لبيعها أسلحة منتهية الصلاحية أو كي تقوم بمساومتها وابتزازها مالياً وسياسياً.

الفصل الثاني:
السياسة العملياتية (البراغماتية) لإيران

يؤكد المعهد الدولي للدراسات الإيرانية في بحثه عن الخلاف بين الحركتين الخمينية (الجذرية) والشيرازية (الطائفية) على أن الخلاف بينهما لم يكن على الفعل الذي قامت وتقوم به الحكومة الاسلامية في إيران، بل كان على الأولويات. بما يعني أن الوجه الظاهري للسياسة الإيرانية الذي يدعي وقوفه مع المستضعفين والشعوب المظلومة في وجه المستكبرين والظلمة يتناقض عمليا مع ممارسات النظام الفعلية ومع الواقع الحقيقي للسياسة الفعلية لإيران والتي تتمسك بها الحركة الشيرازية الشيعية والمتشددة، بما يعني أننا كي نصدر حكما نهائيا وقاطعا على هذه السياسة علينا أن نركز على الجانب العملي والفعلي (المذهبي والطائفي) الذي يطبق على أرض الواقع. وليس على ما تدعيه القيادة الإيرانية في الاعلام. حيث تبين أنها عمليا وعلى أرض الواقع تطبق ما يتوافق مع رؤية الشيرازيين أو لا يتعارض معها.

الرؤية العملياتية "البراغماتية" لحكام إيران:

بمجرد ما أن نسمع كلمة سياسة براغماتية يتبادر إلى أذهاننا فوراً السياسة الأمريكية التي استندت للفلسفة البراغماتية التي ابتدعها الفيلسوف تشارلز بيرس وطورها جون ديوي واتبعها كبار الساسة الأمريكيين مثل ولسون وترومان وروزفلت وهي السياسة التي جعلت أمريكا قوة مهيمنة على العالم. وهي السياسة التي تقوم على المنفعة الخاصة ولا تستند للمبادئ أو القيم أو الأخلاق. وهي السياسة التي تتكيف وتتغير على ضوء المنافع والمكاسب التي حققها هذه السياسة السابقة أو تلك. وهو ما نراه في عملية التغير والتناوب في حكم الحزبين الديمقراطي والجمهوري - حيث يقوم كل منهما بالتتابع بتصحيح ما اتبعه الآخر في السياسة والاقتصاد وبهذه الطريقة لا يتجاوزان الأخطاء والخسائر فحسب بل بما يعود على أمريكا بالفوائد فيكملان بعضهما البعض من خلال عملهما على ما جعل ويجعل مصلحة أمريكا فوق الجميع.

بناء على ما قامت به إيران خلال السنوات الأربعين الماضية نجد أنها مازالت تتبع ذات السياسة النفعية (البراغماتية). مما يفهم منه أن إيران الخمينية في كل ما قامت وتقوم به تضع مصلحة الطبقة الحاكمة في إيران فوق جميع المصالح الأخرى أولاً وقبل أي شيء آخر (وهو ما لفت النظر له كلا من عزمي بشارة وحسنين هيكل). وثانياً أن هذا التوجه يتناقض مع الإسلام وكل الفلسفات المنطلقة من المبادئ الدينية أو الرئوية أو الفلسفية السابقة الزرادشتية (الخير والشر والنور والظلام). وهي كما يتبين لنا أنها ثالثاً

منذ تسلم بني الصدر الحكم عام 1980 مروراً بأحمدي نجاد وانتهاء برئيسي اليوم مرورا بجميع ميليشياتها في كل من العراق وسوريا ولبنان واليمن وإي مكان في العالم تضع مصلحة إيران فوق مصلحة الجميع. وهو ما يتناقض جذرياً مع مبادئ الإسلام وما تسمى ثورة وإسلامية. ومع مطرحته وتطرحه وما تدعيه هي وأدواتها في وسائل الإعلام.

حيث نجد أنهم عملوا على الأرض على الحلول محل الدولة العثمانية (مثلهم مثل الصهاينة والغربيين) وعلى التوسع على حسابها في المناطق التي لا تخضع لهيمنة تلك الدول في الخليج العربي وشط العرب. مقابل تعاونها معهم في حلف بغداد. ومن ثم عدم التصادم مع الغرب وأمريكا وإسرائيل وتركيا.

وبما أن تلك السياسة البراغماتية عادت على جميع الأطراف بفوائد كثيرة خاصة بعد القضاء على القوى الوطنية والثورية في الوطن العربي. لذلك سنبين فيما يلي أخطار هذه السياسة على الشعوب العربية:

1: بما أن إيران لم تتصادم فعليا وبقوة منذ قيام ما تسمى ثورة وحتى اليوم فهذا يعني أن إيران كما كانت في الماضي بعلم أو بدونه لا تزال جزءاً أساسياً في هذه السياسة الكونية للإمبريالية والتي أضعفت العرب وأتاحت لإسرائيل الهيمنة على الشرق الأوسط. لذلك فمن غير المتوقع أن يقوم الطرفان بتغيير تلك الساسة. وستظل إيران وميلشياتها وأدواتها ومنظريها يلعبون الدور ذاته في المرحلة القادمة. كون الطرفين وخاصة الإيراني صرفوا في المرحلة السابقة الكثير من الجهود والأموال في سبيل نشر وتعميق تلك السياسة مما يجعل من الصعب عليهم التراجع عنها في المرحلة القادمة إلا إذا ووجهت برد قاسي من الطرف العربي.

2: من المفيد لحلفاء إيران أن يعرفوا أن إيران القوية ومهما قويت لن تحسب للعرب أي حساب. وأنها كما راعت ستظل تراعي مصالح الغرب وإسرائيل أكثر من مصالح العرب. وأنها لذلك لا يمكن أن تخرج عن هذه السياسة أو أن تتخذ سياسة مغايرة للسياسة الامبريالية والصهيونية الأعرق والأقوى. لأن من بديهيات السياسة أن استراتيجيات القوى الأعظم اقتصادياً وعسكرياً في العالم هي التي تستوعب استراتيجيات القوى والدول الأصغر وتُخضعها لها أو تسُيرها في اتجاه مغاير أو تحتويها. بما يعني أن الغرب وأمريكا والصهيونية كما احتوت روسيا السوفيتية والصين الشيوعية وكوريا وكوبا وغيرها من دول العالم الكبيرة مثل البرازيل والأرجنتين ومصر واندونيسيا. من خلال مراعاة مصالحها فإن من المؤكد أنها سوف تستوعب وتحتوى النزعة التوسعية لإيران. وتوجهها في الاتجاه الذي تريده.

ونذكر في هذا المجال كيف استطاعت الإمبريالية الأمريكية من خلال مراعاتها مصالح الدول القومية خلال القرن الماضي أن تستوعب النزعة التوسعية لألمانيا النازية القوية ومن ثم النزعة القيصرية لروسيا السوفيتية والصين الشيوعية ذات الأيديولوجية المتينة - فإن من الطبيعي والمنطقي أن تكون قادرة مستقبلاً على احتواء الأيديولوجيا الشيعية والنزعة التوسعية لإيران سوريا ولبنان واليمن.

3: لا يمكن النظر إلى الأحداث التي جرت في المنطقة بعد تقديم أمريكا العراق لإيران. إلا باعتبارها جزءا من السياسة الأنجلو صهيونية الجديدة في الشرق الأوسط. الرامية إلى تدمير العراق وشعبه - كخطوة أولى في عملية تدمير وانهاء أو تغييب المحور الوطني والقومي العربي، المعادي للإمبريالية من خلال إقامة محور جديد. سمي "محور المقاومة والممانعة" بقيادة إيرانية من خلال:

أولاً: المتاجرة بالقضية الفلسطينية:

وبما أن إيران (كما بينا سابقاً استغلت الوضع العربي الناشئ بعد توقيع اتفاقات السلام مع إسرائيل. وقامت بقطع علاقاتها مع إسرائيل واعترفت بمنظمة التحرير وراحت تدعو لتحرير فلسطين والقدس وإزالة إسرائيل.) ووجدت أن أغلب النخب والشعوب العربية صدقتها ووجدت فيها بديلاً مناسباً عن حكامها كي تقود حركة المقاومة العربية وهو ما أدى إلى انتقال التأييد الشعبي العربي للقضية الفلسطينية من يد الحكام العرب والمنظمات الفلسطينية إلى يد حكام إيران والمنظمات والأحزاب المؤيدة لها. حيث راحت تلك الأحزاب بما فيها وعلى رأسها التقدمية - في العراق وفلسطين ولبنان تكسب كثير من الجماهير العربية، التي راحت تلتف حول إيران بدلاً من أن تعمل هي على تغيير نهجها وتعمل هي على قيادة حركة التحرر والنهوض والمقاومة العربية، فركنت ثم نامت وتقبلت قيادتها للعرب وكل ما تنشره وتدعو له إيران حتى لو اقتضى قتال إخوانهم العرب وتشريدهم وذبحهم.

ومما لا شك فيه أن مثل هذا التغيير الجذري من إيران كان بسبب موقفها المزعوم والكاذب من القضية الفلسطينية حيث لم يكن لها في الماضي (خلال ال 500 سنة الأخيرة) حزباً أو طرفاً واحداً في العالم العربي يوالي إيران أو يحبها.

وبما أن هذا التغير شكل بداية تحول الموقف العربي الوطني والقومي والشعبي من إيران، وفي تغير موقف كثير من الأحزاب والحكومات العربية المعروفة سابقاً بنهجها الوطني والقومي والعروبي، فكان هذا سبباً في تقبل التوجه الإسلامي (حيث كان وما زال ذلك سبباً إضافيا) في تسهيل عملية توسع النفوذ الإيراني الفكري والسياسي. بالرغم من أنها وحلفائها لم يبيعونا سوى الكلام، حيث لم يحرروا شبراً واحداً من فلسطين والقدس ولم يقوموا بأي عمل مضاد لإسرائيل. مع التذكير بأن حزب الله المقاوم لم يحرر بعد أجزاء واسعة من جنوب لبنان ولم يقوم مع ذلك بأي عمل جدي لتحريرها او ضد إسرائيل حتى عندما كانت تقوم باعتداءات بشعة ضد الفلسطينيين.

وبما أن المتاجرة بالقضية الفلسطينية شكلت للأنظمة العربية الاستبدادية تجارة رابحة فلقد تبنت إيران ذات السياسة. وبما أن الحكام العرب انكفأوا وتوقفوا عن المتاجرة بالقضية الفلسطينية بعد أن باعوها (مقابل البقاء على كراسيهم) بأرخص الأثمان. (وعلناً)، فإن هذا سمح لإيران للاستمرار بالمتاجرة مع أنها لم تفعل شيئاً جدياً لها. خلال الأربعين عاماً الماضية ما يشير إلى أنها سوف تستمر في استغلال القضية الفلسطينية والمتاجرة بها دون أن تعمل شيئا.

ما يتطلب من النخب الثورية إعادة النظر في كل ما طرحته الثورة الإيرانية وتطرحه اليوم من شعارات إزاء القضية الفلسطينية ومراجعتها على ضوء الوقائع العملية التي جرت على الأرض منذ ذلك اليوم حتى الآن وليس استنادا للشعرات وما يقال في وسائل الاعلام (وهذا ما سعيت له في الفصول السابقة). وبما أن هذا التوسع أتاح لإيران التواجد داخل غزة. من خلال دعمها لحماس والجهاد. مما مكنها من أن تقيم مانعاً جدياً أمام قيام الحد الأدنى من الوحدة مع حكومة عباس في الضفة الغربية. وبين المنظمات والجماهير الموالية للسلطة والمنظمة والمنظمات والجماهير الفلسطينية المناوئة للسلطة واتفاق أو سلوا. وتكون بعلم أو بدونه قد فتت الوحدة الفلسطينية ومكنت إسرائيل أكثر.

ثانياً: تدمير التوجه الوطني والقومي والتقدمي في العراق:

مع أن التحالف الدولي الذي قادته الولايات المتحدة الأمريكية كان العامل الرئيس لتدمير الجيش

العراقي ومن ثم الدولة العراقية (البوابة الشرقية للوطن العربي وخط الدفاع الأول عنه)، صب في مصلحة إسرائيل (بالدرجة الأولى أكثر من مصلحة أمريكا والغرب كونها موجودة في المنطقة) ومن ثم في مصلحة إيران ومن ثم في مصلحة ميلشياتها ولهذا تركوا لهما بعد عام 2003 المجال لتعيث في العراق خراباً وفساداً ودماراً وسرقة ونهب وتخرب نسيجه الاجتماعي والثقافي. وهكذا بات العراق الوطني والثوري التقدمي بعد حوالي عشرين عاماً خربة. وبات من الصعب جداً، إن لم نقل من المستحيل على القوى الوطنية والقومية والثورية والديمقراطية العراقية إعادة العراق لما كان عليه قبل عام 2003. مع أن ذلك لم يكن الوضع الأمثل للعراق.

خاصة بعد أن قسم العراق طائفيا وبات الدستور الذي وضعه "برايمر " بناء على رؤية برنارد لويس الصهيوني دستوراً رسمياً للعراق. خاصة بعد أن باتت أغلب النخب والقوى الحاكمة في العراق تتمسك بع وتدافع عنه كما لو كان منزلا من السماء. لذلك بعد كل هذا أرى أنه من غير المتوقع أن يغير الغرب وأمريكا وإسرائيل موقفها من إيران وميلشياتها الحامية والمستفيدة من الدستور العراقي ولما يجري فيه من دمار وخراب وطالما أن ذلك الدستور هو الذي مكنها من التحكم بالعراق ونهب خيراته وسرقة فوائضه النقدية، لذلك من غير المتوقع أن تغير إيران وميلشياتها موقفها من العراق طالما انها كانت وما تزال هي المستفيدة. اللهم بقدرة قادر.

ثالثاً: تدمير التوجه الوطني والديمقراطي في الوطن العربي:

بما أن إيران باتت تشكل حجر زاوية في السياسة الأنكلوصهيونية الجديدة (التي طرحها لويس برنار وتبناها تشيني وناقضها ترامب بالكلام) باتت ركيزة أساسية في لعبة السياسة الدولية التي باتت الأطراف الثلاثة يتبادلون الأدوار في تحريك خيوطها من وراء ظهر شعوبهم وشعوبنا وشعوب العالم. قد نجحت في العراق وأعطت ثماراً جيدة لذلك كان لابد من توسيع هذه السياسة في كل الوطن العربي. وكان لابد من غض النظر عن عملية توسيع نفوذ إيران في لبنان وسوريا ودعم الاستبداد في كل من سوريا والعراق - ومن ترك المجال له ليمتد ويطال اليمن وتونس وليبيا والسودان والجزائر.

وبما أن المداخيل الناتجة عن رفع العقوبات عن إيران عام 2015 إضافة لما سرقته من العراق والمقدر بمئات المليارات قد مكنها من الصرف على عملائها بأريحية - في هذه الدول وتلك الأنظمة. ومكنها من تطوير أسلحتها البالستية (بعد الاتفاق النووي) ومن زيادة نفوذها في الدول العربية، وتقوية اساطيلها البحرية والجوية والأرضية، إلى الحد الذي بات فيه بإمكان إيران اجتياح دول الخليج العربي. وبما أن ذلك قد مكن الغرب وأمريكا من ابتزاز الدول العربية الغنية مالياً وعسكرياً لذلك من غير المتوقع أن تغير أمريكا والغرب موقفها من الاتفاق النووي وستعيد لإيران الأموال المجمدة في أي اتفاق جديد. مما سيتيح لها التوسع في المنطقة أكثر.

وبما أن شعوب المنطقة وحركاتها الوطنية والقومية إما مستوعبة أو مهمشة أو ممزقة أو مدمرة أو مهمشة أو لم يعد لها وجود. لذلك من غير المتوقع أن تتمكن هذه القوى من إزاحة هذا النفوذ الإيراني في هذه الدول مستقبلا. إلا إذا وعت نخبها وشعوبها ذلك وعملت على تغيير ما فرض عليها بالكذب والنفاق.

رابعاً: الموقف العملي لإيران من إسرائيل:

مع أن إيران اتخذت من قطع العلاقات مع إسرائيل ومن رفعها شعار إزالة إسرائيل. لكن مع ذلك لم يتخذ الأمريكان والأوروبيين والروس المدافعين عن حق إسرائيل في الوجود والبقاء أي موقف جدي من إيران لأنهم كانوا وما زالوا يعرفون أن تلك الشعارات ليست للتنفيذ بل للاستهلاك المحلي والضحك على الجماهير. لذلك فهي لم ولن تخشى على إسرائيل من توسع إيران وأدواتها وميليشياتها في سوريا ولبنان وفلسطين. لأنهم يعرفون جيداً أن الخطر الفعلي على إسرائيل يأتي من حركات التحرر القومي والوطني والاجتماعي والسياسي العربية والتي قامت وتقوم إيران بتدميرها.

وهي ذات الأهداف التي عملت عليها الدول الإمبريالية سابقاً لذلك كما لم تقف ضدها عمليا في المرحلة الماضية لن تقف ضدها في المستقبل على الأقل على المدى المنظور. ما يعني أن كل ما قالته هذه الدول وما تزال تقوله إيران وعملائها عن معاداتهم للغرب واإلصهيونية ، ليس إلا كلام. للتغطية على تلك السياسة البراغماتية والتوسعية التي قامت وما تزال تقوم بها إيران في إيران والمنطقة والعالم وللتغطية على الجرائم التي ارتكبتها هي وميليشياتها في الوطن العربي. وبما أن أي حديث عن انتصارات لإيران وأدواتها لا يضير الغرب عمليا - ولا يلحق به أي ضرر بل على العكس يجعل ويترك الناس تعيش في الوهم وتبتعد عن معالجة القضايا الملحة وفي مقدمتها مواجهة الإمبريالية. فلم تحاربها أو تفندها أو تقف ضدها. لذا لا يجب ان نتوقع أو أن نطلب من هذه الدول أن تقف ضد سياسة إيران في المنطقة والتي تزعم أنها تهدد إسرائيل.

فإذا دققنا فيما قامت وتقوم به إسرائيل بين حين وآخر ضد ميلشيات إيران - من ضربات محدودة هنا أو هناك داخل سوريا فسنجد أنها على كثرتها وتكرارها مئات المرات لم تكن مؤثرة مما يدل على أنها للتعمية على أهداف أخرى. أو فرقعات دخانية للتعمية على التعاون الخفي القائم بين هذه الدول وإيران لتركيع وتدمير العرب. وبما يجعل البسطاء والسذج يصدقون أن إيران هي عدوة فعلاً لإسرائيل، فيتقبلونها ويتقبلون أعمال أدواتها. حتى باتت العمليات الإسرائيلية عملا مطلوباً باستمرار لإعطاء إيران مصداقية كي تسيطر على المنطقة أكثر كلما اهتزت مواقعها. وبما يوهم عملائها أنها فعلاً عدوة لإسرائيل. ليقولوا بعد كل ضربة "لو لم تكن إيران عدو لإسرائيل ما قصفتها". وهو ضروري لتمكين أدواتها وعملائها من الاستمرار بكسب الجماهير ضد حكوماتها المتخاذلة أو التي تخلت عن المشروع العربي التحرري - ما يجعلنا نستبق الأمور لنؤكد على أن المشروع التدميري والتوسعي لإيران وعملائها في بلاد العرب سوف يستمر إلى أن تنهض فيها حركة جماهيرية وطنية وقومية ديمقراطية تعمل على تطوير وتقدم بلدانها وتملأ الفراغ الذي سببه غياب المشروع العربي النهضوي.

خامساً: السياسة العملية لإيران تجاه أمريكا والغرب:

منذ أن تم الإعلان عن قيام الجمهورية الإسلامية في إيران واحتجاز موظفي السفارة الأمريكية في طهران والعالم يتوقع أن تقوم الإدارة الأمريكية بضربة موجعة لإيران - وخلال الأربعين عاماً الماضية رغم أن إيران قامت باستفزازات كثيرة ضد أمريكا وكثير من الدول الأوروبية مثل حجز السفن في الخليج العربي وتفتيشها أو الاقتراب من المدمرات الأمريكية أو البريطانية أو باحتجاز سفن للنط أو بقصف مواقع لحلفائهما في المنطقة، ومع أن هذه الدول أعلنت أكثر من مرة بأنها ستقوم بالرد على إيران - لكن مع ذلك لم نر ولم نسمع أن هذه الدول قامت بأي عمل عسكري ضد إيران. باستثناء اغتيال قاسم سليماني في العراق ليسأل أي مواطن نفسه كم هو عدد المرات التي نام فيها وهو يتوقع شن أمريكا أو بريطانيا أو إسرائيل في اليوم التالي

حرباً على إيران لكن ذلك لم يحدث. وبالمقابل كم هي المرات التي هددت فيها إيران بضرب قواعد أمريكية أو سفن حربية أو سفارات لأمريكا لكن شيئاً من ذلك لم يحدث. حتى عندما اغتالت قاسم سليماني وهددت كل من إيران وميلشياتها وقالت أن ذلك العمل لن يمر دون رد مزلزل. لكن أحدا لم ير أو يسمع عن أي عمل حتى لافت للنظر. بل على العكس كانت نتائجه سلبية على إيران وحلفائها أكثر مما كانت على أمريكا. حيث قام حلفائها في العراق بقصف مطار.... تبين أن القذائف وقعت على المنطقة الخضراء وأصابت مواطنين عراقيين - وفي أشد حالات القصف نتج عنها قتل موظف أو عامل أمريكي.

وفي هذا المجال نذكر بأن الصواريخ الإيرانية التي أطلقت على ما زعم أنه هدف معادي فوق طهران أسقطت فيه طائرة اوكرانية راح ضحيتها عدد من الإيرانيين أكثر من أي عدد من الجنسيات الأخرى.

ونذكر من نسي أن عدد العرب الذين قتلوا في سوريا والعراق واليمن أو هجروا أو جرحوا أو نكل بهم على يد القوات الإيرانية أو القوات التابعة لها لوجدناه مرعبا . ويكفي أن نذكر بأن عدد ضحايا الحرب العراقية الإيرانية قد زاد عن مليون إنسان عربي بين قتيل وجريح ومعاق. وهذا ما يعكس حقيقة وجوهر السياسة الإيرانية الفعلي . ويشير إلى أن ما تقوله إيران وحلفائها في الشعارات والخطابات والكلام شيء، وفي العمل والفعل والواقع شيء آخر.

الفصل الثالث:

مناقشة هادئة لقضايا ساخنة:

1: الموقف من العدوان:

لنفترض جدلاً أن إسرائيل شنت هجوماً صاعقا على إيران ودمرت منشآتها النووية والعسكرية. أو أن أمريكا أو غيرها قامت بعمل عدواني. فكيف سيكون موقفنا وردنا؟

أو لنفترض جدلاً أن إيران هي التي قامت بتوجيه ضربة قاصمة لإسرائيل سواء كرد فعل على ضربة موجهة لها أو قامت هي بضربة استباقية. فما هو موقفنا ورد فعلنا.

إذا خلصتنا من خطر إسرائيل هل س نقدم لها بلداننا ونفتح لها قلوبنا وبيوتنا كما فعل العراقيين الموالين لها كون أمريكا خلصتهم من حكم صدام ومن ثم لتفعل بنا بأسوأ مما فعلت بالعراق؟

هل إذا اعتدت على قوافل تجارية أو على أي بلد غربي ستكون صديقة لنا أو حليفة لنا وأن علينا حينئذ أن نتجاهل تدخلاتها في شؤوننا الداخلية واعتداءاتها على بلداننا وشعوبنا وننسى كل ما قامت به ونضمها بالأحضان؟

هل سنتناسى كل ما فعلته بنا ونقول لها: اهلا وسهلا وعفا الله عما مضى وتفضلي؟ هل سنقول لها أهلا وسهلا بك، تمددي وأفعلي بنا ما تشائين كونك تصامت أو اختلفت مع أمريكا أو مع إسرائيل؟

هل سنقف مع إسرائيل أو مع أمريكا إذا ما وجهوا لها ضربة مدمرة كما فعلوا مع العراق. ونقول لهم أهلا وسهلا، تفضلوا لأنكم اوقفتم تمدد إيران؟

هل سوف يصبح أي من هؤلاء أصدقاء لنا وننسى احتلالهم لأراضينا وتعدياتهم علينا ونهب خيراتنا وسعيهم لتركيعنا؟

بالطبع لا، لأن هذا شيء وذاك شيء آخر.

فإذ كنا وما نزال نقف ضد العدوان على أية دولة أو على أي شعب في العالم فليس لأننا كنا ومازال ضحايا لاعتداءات وقعت علينا من إسرائيل وأمريكا والغرب وإيران فقط. بل لأننا أساسا ضد العدوان ضد أي كان في العالم. ولأننا كما كنا عبر التاريخ (كما قال غوستاف لوبون أرحم الفاتحين في التاريخ) ولأننا حسب دياناتنا السماوية كنا وما نزال ضد العدوان.

واستنادا لهذا الموقف المبدئي كما وقفنا سنقف ضد أي عدوان سنقف مع أية ضربة يمكن أن توجه

لإسرائيل من أي دولة جاءت. سواء من إيران أو من غيرها. لأن هذا لن يكون عدوانا على دولة لأن إسرائيل بالأساس دولة عدوانية وقامت على العدوان واغتصاب أرضنا فالعدوان على المحتل والغاصب ليس عدوانا. لهذا سنقف مع إيران إذا ما وقفت ضد إسرائيل سواء قامت بقصف إسرائيل أولاً. وسنقف معها إذا قامت أي دولة مثل إسرائيل أو أمريكا بقصف إيران أو ضربها دون مبرر أو لخلافات بينهما.

كون موقفنا يقوم ويستند على مبدأ عدم الاعتداء ومنع العدوان على أي كان. وعلى ضوء هذا الموقف العملي لهذه الدولة أو تلك وهذا الشعب أو ذاك من هذا المبدأ أو القانون الإنساني والدولي يتحدد موقفنا. وطالما أن إيران اعتدت وماتزال تعتدي علينا لذلك سنقف ضدها حتى توقف إي عدوان لها علينا أو على إي جزء من بلادنا حتى توقف ذلك العدوان والتدخل. حيث سنكون بعد ذلك أصدقاء كما هو موقفنا من شعوب وحكومات ماليزيا أو كوبا أو الصين أو الهند.

حيث لم ولا نعتبر أي منهم عدو لنا. لأن هذه الدول لم تعتدي على أحد ولأن هذه الدول لم ولا تتدخل في شؤوننا الداخلية أو شؤون غيرنا. لذلك كانت وماتزال حكومات تلك الدول مقبولة، بل صديقة خاصة من كان منها يسعى للتعاون معنا ومع غيرنا من الشعوب في شتى المجالات دون تدخل. وهو ما يفترض بحكام إيران واتباعها أن يعرفوه، ويعرفوا أسبابه؟ وعليهم أن يعرفوا أننا لسنا وحدنا كعرب نحذر منهم ونقف ضدهم فقط. بل كان هذا موقف كل من تعامل معها.

وعليهم أن يعرفوا أننا لا نحمل كرها غريزيا وقبليا لهم إلا بسبب أعمالهم ومواقفهم. فها قد فتحنا بيوتنا وقلوبنا لهم خلال الاربعين عاماً الماضية ولم نر منهم سوى الغبن والشر، لذلك لا يمكن أن ننسى ما قامت به هي وميلشياتها لكونها تزعم أنها تريد إزالة إسرائيل وتحرير القدس. فمن يريد تحرير القدس لا يمكن أن ينسينا (ولا يمكن له) أن يرتكب مجازر كتلك المجازر التي ارتكبتها مليشيات ابو الفضل العباس وزينبيون وفاطمويون ضد الفلسطينيين والسوريين العزل والمجموعين والمحاصرين في مخيمات اللجوء ومخيم اليرموك من مجازر. ثبت أنها أبشع من مجازر صبرا وشاتيلا ومن مجزرة التضامن التي ضج العالم بها. كما حصل في مجزرة" منطقة علي الوحش " عام 2013، أو في السبينة حيث توجه مئات الرجال والشباب المجموعين والمحاصرين في مخيم اليرموك إلى حي السبينة لاستلام سلل غذائية قدمتها "الأونروا" لهم. والنتيجة كانت غياب (تصفية) أكثر من أربعمائة شاب ورجل فلسطيني لا يعرف أحد حتى اليوم مصيرهم. وفيما إذا كانوا قد دفنوا أحياء أم تم ذبحهم أم استخدمت أعضائهم للبيع. فمن يقوم بهذه الأفعال لا يمكن له أن يحرر شبراً واحداً من فلسطين أو القدس.

2: الفرق بين العدوان والتقصير:

إذا كنا ندين حكام السعودية ودول الخليج لتهاونهم ولتقصيرهم معنا في طريقة التعاطي مع إسرائيل ونقف ضد سياستهم. وإذا كنا وما نزال ندين مواقف حكام الدول المؤيدة والمتحالفة مع أمريكا الداعمة لإسرائيل (وذلك بعيداً عن موقفهم المعادي للقوى الوطنية واليسارية) فإننا كقوى وطنية وقومية عربية لا يمكن أن نكون أعداء لهم كما تسعى أو تريد إيران وأدواتها. طالما أنهم لم يعتدوا علينا. فهناك فرق بين العدوان الذي قامت وتقوم به إيران وأدواتها ضد ست دول عربية وبين التقصير أو التخاذل أو الانحراف في التعاطي مع القضايا القومية. لذلك وقفنا وسنقف ضد أي اعتداء تعرضت له أو يمكن أن تتعرض له أي دولة أو شعب في العالم سواء في فيتنام أو أوكرانيا. فكيف إذا كان موجها ضد دولة عربية مثل العراق وسواء

من إيران أو من ميليشياتها حتى لو من حزب الله (الذي يدرب الحوثيين) للاعتداء على نجران ومكة المكرمة والرياض.

من هذه الزاوية فإننا اعتبرنا ونعتبر أيضاً كل من احتل أو مازال يحتل أو يعتدي على دولة عربية مثل السعودية وحتى لو على الأمارات المطبعة مع إسرائيل عدوا. حتى لو كان ينادي ليل نهار ويدعو بالموت لإسرائيل وأمريكا فكيف إذا كان لم يوجه صاروخا واحدا على إسرائيل. أو على السفن الإسرائيلية التي تعبر يومياً أمام نظر الحوثيين في باب المندب. بينا أطلق المئات منها على السعودية بما فيها مكة؟

3: قوة إيران المزعومة:

إذا كان حكام العرب أنذال (كما يقولون) وبأن الإيرانيين وميليشياتهم ثاروا وجاؤوا ليقوموا بما لم يقم به حكام العرب (الأنذال). فليردوا إذا كانوا شجعان على اعتداءات أمريكا وإسرائيل شبه اليومية على ميليشياتهم في سوريا أو على حلفائهم في فلسطين المحتلة؟ فإذا كانوا أعجز من رد العدوان على قواتهم فكيف سيكونون قادرين على رد العدوان عنا؟ وما يثبت ذلك أن إسرائيل اعتدت وتعتدي على غزة وتشن عليها الحروب وتقوم بمحاصرتها والبطش بشعبها ومع ذلك لم تقم إيران أو ميلشياتها بأي عمل جدي لوقف العدوان أو فك الحصار (بينما فعلت تركيا ذلك الأمر ولو للإعلام فقط). وليفعلوا شيئاً واحداً بما يجعلنا نصدقهم.

لذلك عليهم ألا يتوقعوا هم وأنصارهم. بناء على أفعالهم. أن يجدوا في بلادنا ولدى شعوبنا خاصة على المدى البعيد أي قبول لهم أو ترحيب بهم في أي مكان في العالم خاصة بيننا ولا مؤيدين لهم مهما فعلوا حتى لو دمروا إسرائيل. إن لم يتخلوا عن سياساتهم التوسعية وروح الانتقام والهيمنة والاستعلاء إزائنا. فلا يمكن أن نخرج من تحت دلف الغرب وإسرائيل لننام تحت مزراب إيران.

ولهذا نقول للإيرانيين وحلفائهم وأصدقائهم أن من السذاجة أن يتصوروا أو يصدقوا أن العرب الأحرار (حتى لو لم يكن لهم دور مباشر في رسم السياسة الراهنة لبلادهم) لا يمكن أن يصدقوا كلمة مما قاله ويقوله حكام إيران. ليس لمعرفتهم بتاريخها المعادي منذ بداية تاريخ ظهورهم حتى اليوم - بل لأننا بتنا نعلم اليوم أيضاً أنه ليس بإمكان دولة بحجم إيران - مهما فعلت (حتى لو خضعنا لها وقبلنا بهيمنتها علينا كما حصل في الماضي - أن تقيم إمبراطورية جديدة في هذه البقعة من العالم التي تتنافس عليها اليوم وتوجد حولها امبراطوريات أقوى وأعظم من إيران.

وأخيرا نذكر من لايذكر أن إيران أو غيرها من الدول الكبرى، مهما توسعت وتنفذت وتغطرست في الوطن العربي ستمنى في النهاية بالهزيمة والفشل كما حصل في التاريخ، أكثر من مرة معهم ومع البرتغاليين والفرنسيين والطليان والانكليز وكما سيحصل مع الأمريكان والصهاينة ومعهم. لذلك نلفت نظرهم ونظر أدواتهم، بأن كل ما يطمحون له ويفكرون فيه ليس سوى إضاعة للوقت وتدمير لهم ولشعوب المنطقة. وبأن العيش في هذه الأوهام لن يؤدي إلا إلى عزلهم ونبذهم معنوياً ورفضهم كبشر وسقوطهم بسرعة أسرع وأبشع من السرعة التي سقط فيها الاتحاد السوفييتي مع أنه يمتلك قنابل ذرية أكثر من أمريكا. وقوات عسكرية أكبر وأكثر عددا مما لدى إيران بعشر مرات وأيديولوجيا أمتن.

4: إعادة النظر في مفهوم ومحور المقاومة:

من المؤكد أن الوقوف ضد إيران بعد الانتصار الذي حققه حزب الله على إسرائيل عام 2000 ثم عام 2006 كان سيشكل في تلك الأوقات ظلماً كبيراً. لكن بما أن الوقائع على الأرض تغيرت وتبين أن تلك الانتصارات لا تساوي شيء امام الدمار الذي ألحقته إيران وميلشياتها العراقية والأفغانية واللبنانية في العراق وسوريا وبخاصة ضد الثورة السورية لابد من أن تدفعنا لإعادة النظر في كل هذه الانتصارات وهذا المحور.

المقاومة رد فعل طبيعي تقوم به جميع الأحياء وخاصة البشر كرد فعل على الاعتداءات التي تتعرض له هي وأوطانها. والممانعة هي رفض للشروط التي يسعى العدو والمحتل والمعتدي فرضها.

ومن الطبيعي أو من المفترض أو من الواجب أن تكون المقاومة والممانعة شاملة وعامة ومصاغة بطريقة تكون قادرة فيها على إشراك أغلب فئات الشعب. بغض النظر عن انتماءاتهم الفكرية أو الدينية أو المذهبية أو السياسية. حتى تكون مجدية وتتمكن من الانتصار على العدو والتغلب عليه ودحره. أما عندما يسعى البعض على حصر هذه المقاومة والممانعة بدين معين مثل الإسلام كما فعلت وتفعل المقاومة الإسلامية في فلسطين ولبنان باسم حماس والجهاد وحزب الله. فإن هذه المقاومة دون أن يدري القائمين عليها. قد استبعدت على الأقل نصف أبناء المجتمع. أما عندما تربط المقاومة والممانعة بمذهب إسلامي معين كالمذهب الجعفري فتكون قد استبعدت (دون عام او بعلم نتيجة لتعصبها) ثلاثة أرباع أبناء المجتمع العربي من المشاركة في المقاومة والممانعة. أما عندما تربطها بدولة خارجية مثل تركيا أو روسيا أو إيران أو نظام معروف بالفساد والاستبداد كانظام السوري ، أو بنظرية مثل نظرية الولي الفقيه -فلا شك أنها بذلك- بدراية أو بدونها- تكون قد خفضت المشاركة الشعبية الوطنية إلى العُشر. وبعلم تكون قد استبعدت أطراف كثيرة من المشاركة في مقاومة العدو. وبدون علم تكون قد قدمت للعدو خدمة كبيرة ومكنته بالتالي من السيطرة والتمدد والبقاء وهذا ما حدث في الوطن العربي عندما تم استبعاد منظمات المقاومة الشعبية الوطنية واليسارية خاصة في كل من سوريا والعراق ولبنان وفلسطين.

لذلك نقول لدعاة محور المقاومة والممانعة بأنه حتى لو امتد هذا المحور من طهران لبغداد ودمشق والضاحية وغزة ومن ثم التف ودار ليصل موسكو. فإنه سيكون محوراً رفيعاً جداً وضئيلاً جداً لأن من سينخرطون به سيكونون قلة. وسيكون مقارنة بما يمكن أو يجب أن تكون عليه المقاومة والممانعة فيما لو تمت على أسس شعبية وديمقراطية ووطنية. ضعيفاً جداً ولن تكون مجدية. لأن المقاومة والممانعة لا تقاس بطول محورها بل ببرنامجها وحجم المشاركة الشعبية التي يخلقها واتساع نطاق ففعاليته.

5: الموقف المهين لبعض المفكرين العرب:

بعد أن مدح الرئيس الإيراني "محمود أحمدي نجاد" ملك الفرس قورش. (الذي أعاد اليهود لفلسطين ووصفه برجل العدل والحق) غير كثير من المفكرين العرب والمسلمين والفلسطينيين موقفهم من إيران ومن ثورتها. ومما زاد الطين بلة هو ان البعض بعد اطلاعهم على ما كتبه الخميني حول مدحه للفرس وقورش وقوله "إن لأئمتنا مكاناً لا يبلغه ملك ولا نبي مرسل" وهو ما نقله "وجيه كوثراني" عن حديث قاله الخميني في معرض حديثه عن الفرس. الأمر الذي صدم كثير من المفكرين الإسلاميين مثل "راشد الغنوشي" رئيس حزب النهضة في تونس وجعله يغير موقفه من إيران وثورتها -وهو ما حصل مع كل من محمد عمارة وفهمي هويدي والشيخ القرضاوي وعزمي بشارة وغيرهم- من إيران ومما يسمى محور الممانعة.

لكن للأسف الشديد فإن رجالاً قوميين ويساريين أجلاء مثل "حمدين صباحي" (رئيس المؤتمر القومي العربي، والذي كان مرشحاً لرئاسة مصر ومنافساً للسيسي) ظل على موقفه المؤيد لإيران والنظام السوري وروسيا. وكذلك فعل "خير الدين حسيب" رئيس المؤتمر القومي الإسلامي وأغلب المنضوين في مؤتمره. وكذلك فعلت شخصيات يسارية وماركسية مثل ناصر قنديل وكثير من قادة الحزبين الشيوعي السوري واللبناني والفلسطيني حيث ظلوا على موقفهم المؤيد لإيران والنظام السوري المستبد والفاسد ومع روسيا رغم كل المجازر التي ارتكبوها بحق الشعب السوري.

ومما يؤسف له أكثر أن يغير قادة حماس موقفهم من الرفض والشجب إلى التأييد والانحياز إلى جانب القتلة والمجرمين الذين لم يفتكوا بشعوبهم بل بشعبهم الفلسطيني في سوريا. مع أنهم لم يقوموا بأي عمل ضد إسرائيل. وهو ما يفترض أن يدفع الشرفاء والثوريين إلى تغيير مواقفهم من قوى وشخصيات كنا نعتبرها قومية ويسارية ومقاومة وممانعة بالكلام والخطابات.

خاتمة:

أكد كثير من المؤرخين الكبار مثل ابن خلدون وشبنجلر وتوينبي وديورانت وكنيدي أن ثمة عوامل موضوعية تجعل من بعض الجماعات في مناطق معينة وفي مراحل معينة من التاريخ قادرة على تكوين حضارات وإمبراطوريات تمر بمراحل نشأة وصعود ومن ثم هبوط وزوال. بما يعني أن هذه الحقيقة تنطبق على جميع الحضارات والامبراطوريات بما فيها أمريكا وإيران. بما يفهم منه أن إيران لعوامل موضوعية داخلية وخارجية لابد من أن تعاني من عمليات ضعف وتآكل وبالتالي انهيار.

وأنا أعتقد بناء على ما بيناه في الفصل الأول من الباب الثالث أن إيران نتيجة للتناقض بين إمكاناتها الذاتية العسكرية والاقتصادية وبين طموحاتها السياسية. ونتيجة للصرف على التسلح والعدوان أكثر من الصرف على البناء والعمران قد تراجعت اقتصاديا وكان لابد لهذا من أن تؤثر على موقف شعبها من هذا التوجه الإمبراطوري ويضعف إمكاناتها في التوسع . ومن أن ينعكس ذلك سلبا على القيادات المتشددة فتنهار. وهو ما اتضح من خلال المظاهرات التي نددت بهم . خاصة بعد مقتل "مهسا أميني" والذي بتقديري مؤشراً قوياً على انتقال إيران الخمينية إلى مرحلة الأفول.

أحمق من يتوهم أن التاريخ لا يعيد نفسه وإن بشكل مشوه ومخزي. وأحمق كل من يتوهم أن الفرس لا يسعون اليوم باسم الإسلام والثورة ومعاداة الصهيونية والغرب إلى استعادة بناء امبراطوريتهم القديمة. وأنه كما سقطت تلك الإمبراطوريات سوف تسقط إمبراطورية الولي الفقيه.وكما نهض العرب عام 636 من الممكن أن ينهضوا من جديد .

فأي قارئ موضوعي للتاريخ لابد أن يرى تطابقاً شبه كامل بين ما عمل عليه الأخمينيين والساسانيين وما عمل ويعمل عليه اليوم الإيرانيين (الخمينيين) باسم الدين والثورة والإسلام وتحرير القدس وفلسطين، كما فعل المماليك والترك وحكموا العرب سبعمائة سنة باسم الإسلام وبدعوى العمل على تحريرنا من المغول والصليبيين وهو ذاته ما يفعله اليوم الفرس باسم الإسلام. وبأنهم سوف يسقطون كما سقط غيرهم.

وعمليات التوسع الإيراني في الوطن العربي بدءاً من العراق مروراً بسوريا ولبنان وانتهاءً بمصر واليمن (والتي تتطابق مع تمدد الإمبراطوريات السابقة) لا يمكن أن تكون من أجل تحرير فلسطين. ونهب العراق وتدميره وتهجير وتدمير سوريا وشعبها، لا يمكن أن يكون موجهاً ضد إسرائيل كما تزعم قيادتهم. وهذا لابد من أن ينعكس سلبا على شعوب المنطقة وعلى شعبها.

وبعيداً عن الإيديولوجيا والمواقف المسبقة. نجد أن ما يحصل اليوم من الناحية التاريخية فيه تكرار للصراع القديم بين الفرس من جهة وبين كل من المقدونيين والرومان والبيزنطيين (الغرب والصهاينة) على

الوطن العربي. من خلال التفاهم لتقاسم مناطق النفوذ والهيمنة عليه.مما يتطلب منا أن نضع الإيديولوجيا التي قامت عليها ما تسمى الثورة الاسلامية خارج قوس السياسة القوية للغرب . وهو ما يظهر من خلال تراجع وتضاؤل إيران على المستويات كافة المحلية والإقليمية والدولية عدا وجودها في الوطن العربي.

وبما أن الوقائع تؤكد أن لا شيء ينهار من تلقاء ذاته بل لابد من عوامل داخلية وخارجية. وبناء على ما بيَّنا فإن الخارج (الغرب وأمريكا وإسرائيل وروسيا والصين.. إلخ) لن يساهموا في عملية الاسقاط أو في تسريعها كونهم ما زالوا يستفيدون منها.

وبما أن هذا النظام خلق في الداخل قوة عسكرية أشرس من القوة العسكرية التي صنعها الشاه. وبما أنه مسلح بأيديولوجيا دينية انتقامية وتدميرية. وتمكن من القضاء وسحق جميع أو أغلب القوى الثورية في إيران فإن إمكانية الشعب الإيراني على إسقاط أو التسريع في عملية إسقاط هذا النظام ستكون ضعيفة جداً. لذلك فإن التعويل سيكون فقط على الدور الذي يمكن أن يلعبه العرب كونهم ضحايا هذا النظام. وكما كان العدوان على العرب حافزا قويا للعرب . نأمل أن يلعب الدور نفسه الذي لعبه سابقاً أيام ذي قار والقادسية .

ولابد لمن يقرأ التاريخ جيدا من أن يرى تشابها كبيراً بين استخدام الفرس والبيزنطيين للمناذرة والغساسنة. وبين احتلال أمريكا للعراق وسوريا و استخدام إيران للحشد الشعبي وميلشيات الأسد والحوثي وحزب الله منذ أربعين سنة حتى اليوم.ضد الشعوب العربية . حيث نجد قوات الطرفين متجاورة ولاتفعل شيئا ضد بعضها البعض .

وبما أن عملاء ومؤيدي إيران من العرب هم من ساهوا في تقوية النظام الإيراني وفي تغلغله في الوطن العربي لذا فإن كف يدهم عن السلطة سيكون مهمة أولى لكل من يسعى لتحرر بلده ونهضتها. لذلك سيتوقف على صحوة الشرفاء من العرب دور حاسم في عملية إبعاد هؤاء ووضعهم خارج قوس وبالتالي لإسقاط وإبعاد الخطر الإيراني الذي لم يعد كما بينا خطرا خارجيا بل داخليا .مطلوب منا التحرر منه للنهوض والتقدم.

لذلك نذكر من نسي..

أن تغييب القيادات والوعي القومي والوطني والثوري العربي هم من مكّنوا القوى الخارجية بما فيها إيران من السيطرة على بعضنا وبالتالي على بلداننا. لذلك سوف تستمر في عملية تغييبه من خلال التشكيك بهذا الوعي القومي ورموزه وأسسه مستقبلاً أيضاً. وستظل تنشر الوعي الظلامي وتحارب الوعي العلمي والتقدمي والديمقراطي . لذلك فمن المرجح أنها لن تتخلى عن تلك السياسة والنهج مستقبلاً طالما أن ذلك حقق لها في الماضي وسوف يحقق لها القدرة على التوسع. وهذا ما يجعلنا نعتقد أن هذا كما كان في الماضي سيكون في المستقبل سبباً في تصعيب عملية خلق البديل الفكري والسياسي الوطني والقومي والديمقراطي العربي. والذي بدونه لا يمكن للعرب أن ينهضوا ويتحرروا. إلا بالاعتماد على أنفسهم والثقة بقدراتهم . ومن ثم العمل على إحياء المشروع التحرري والنهضوي للعرب. الذي يفترض أن يصبح أولوية لكل عربي حر وشريف ونظيف. وهو الهدف الرئيس غير المباشر للكتاب.

قد يكون من المفيد أخيرا تذكير حكام إيران وأدواتها أن الإدارة الأمريكية وإسرائيل قد تقوم بتوجيه ضربة قاصمة لإيران بما قد يرضي العرب. كما فعلتا مع ألمانيا النازية عام 1944 أو عند اللزوم - أو قبل أن تهزم ذاتيا . أو كي تكسب مودة العرب والغرب وشعوبها لأن مصالحها مع العرب اقوى وأهم من مصالحها

مع إيران . وتفعل معها ما فعلتع مع ألمانيا في الحرب العالمية الثانية. لذلك نلفت نظر ملالي طهران وأنصارهم. إذا أرادوا تجنب ضربة محتملة عليهم أن يعملوا على كسب ود العرب وهذا ما يتطلب منهم:

1: الكف عن التدخل بالشؤون العربية سواء الداخلية أو الخارجية. سواء الفكرية أو السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية.

2: العمل على سحب كل ميليشياتهم من الدول العربية.

3: التوقف عن دعم أية قوى محلية عربية ضد أي جهة أو حكومة سواء بالمال أو بالسلاح.

أما إذا أرادت القيادات المتنفذة في إيران أن تفتح صفحة جديدة مع العرب شعوبا وحكومات فعليها:

1: أن تتوقف عن استخدام مصطلح الخليج الفارسي على خليج تعرف أنه خليج مشترك بيننا وبينهم (حيث يمكن التوافق على تسمية جديدة مثل خليج السلام).

2: أن تعيد للعرب كل الأراضي التي حصلت عليها أيام الاستعمار الإنجليزي أو التي استولت عليها بالقوة في الخليج أو في شط العرب والعراق. أو أن تعطي للعرب في الأهواز أو في أي مكان تواجدوا فيه في إيران الحقوق ذاتها التي تعطيها للفرس وغيرهم.

وبما أننا بناء على ما بيناه، وبناء على المعطيات الراهنة والاتفاقات المبرمة مع أمريكا والغرب (حيث غض الجميع الطرف عن عمليات التدمير والتوسع التي قامت به هي وميليشياتها في الدول العربية) ما يشير إلى أن التوجهات المستقبلية لأمريكا والغرب أنها على الأرجح سوف تستمر في استخدام حكام إيران كقوة تدمير وتخريب وتفتيت وهدم كل ما بنيناه وبناه أجدادنا. لذلك أعتقد أن حكام إيران وأدواتها على الأغلب سوف يستمرون بلعب هذا الدور إن لم نقف منهم موقفاً حازماً سوف يستمر فترة طويلة.

وفي الختام أرى أن إيران وادواتها في ظل غياب البديل الوطني والقومي العربي المُوَحد، والذي على ما يبدوا أن ظهوره سيتأخر كثيراً. فإن إيران وميليشياتها ستظل على ذات السياسة التوسعية والعدوانية المدمرة إن لم قوة رادعة وحازمة .

وبما أن المواقع التي احتلتها إيران وميليشياتها فعلياً على الأرض بات من غير الممكن تغييرها بالتفاهم والحوار والإقناع. إذن لابد للشعب العربي من تبني سياسة النبذ والعزل والاستنكار لكل الموالين والمؤدين والداعمين والكمدافعين عن إيران واعتبارهم والتعامل معهم باعتبارهم عملاء وجواسيس لدولة أجنبية. وقطع كل العلاقات حتى الاقتصادية مع إيران . وهذا ما فعلته الحكومة الالبانية لمجرد أن بعض العملاء الألبان سعوا لإقامة مركز لتدريس ونشر مذهب الولي الفقيه.

فلا يفل الحديد القاسي إلا الفولاذ الأقسى منه.

حيث يمكن أن يكون هذا الكتاب وإن جاء متأخراً جداً مقدمة أو مكملاً لتغير في الوعي العام أو فاتحة لأبحاث أخرى تهيئ لهذا العمل الشامل والقاسي والرد الحازم والقاطع . اتقم بما قامت به النخب والشعوب العربية ضد الساسانيين والصفويين وما فعلته أحزاب الدول العربية الوطنية الحديثة في خمسينات القرن الماضي، حيث قطعت علاقاتها معها، أو لم يكن هناك أساساً علاقات معها. وهذا ما يفترض أن يتم اليوم قبل الغد. وهو ما يتطلب بداية التحرر من وهمٍ أن إيران يمكن أن تكون أو أن تصبح صديقة للعرب، أو أنها ستعمل لمصلحتهم، ومعرفة أنها طالما لم تعمل لمصلحة شعبها لن تعمل لمصلحتنا.

لذا يفترض بالقوى الوطنية والثورية العربية الشريفة والحرة والواعية إذا كانت تسعى لأن تلعب دوراً

في تاريخ شعوبها. العودة لوعيها القومي والوطني والثقة بذاتها وكرامتها. والتعامل مع إيران وميليشياتها كقوى غريبة وعدوة. او كما ستكون عليه فعلاً، وبصفتها؛ قوى ظلامية عنصرية عدوانية توسعية مدمرة ومخربة وهدامة يتوجب نبذها. حتى تكف عن تلك الممارسات والأفعال فعلاً لا قولاً.

فتحي رشيد

موتالا / السويد

1 شباط 2023

المراجع:

1. السبكي؛ آمال، إيران بين ثورتين، المجلس الوطني للثقافة والفكر، الكويت، 2013.
2. ابراهيميان؛ آروند، المجلس الوطني للعلوم والفنون، عالم المعرفة، الكويت، 2004.
3. السيد؛ د. رضوان، ثبات العرب وإيران، الشرق الأوسط، 2006.
4. القمني؛ سيد محمود، دولة الرسول، دار البيان العربي، بيروت، 2017.
5. القمني؛ سيد محمود، حروب دولة الرسول، مؤسسة هنداوي، القاهرة، 1993.
6. الشنقيطي؛ د. محمد المختار، أثر الحروب الصليبية في العلاقات السنية الشيعية، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، الدار البيضاء، 2017.
7. الصمادي؛ فاطمة، التيارات السياسية في إيران، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، 2012.
8. انجدال؛ وليام، مئة عام من الحرب، دار طلاس للدراسات والنشر، دمشق، 1994.
9. إبراهيم؛ باقر، مذكراتي، دمشق، 2009.
10. البديري؛ خضر، إيران في السياسة البريطانية، مؤسسة العارف للمطبوعات، القاهرة، 2013.
11. البديري؛ خضر، إيران وعلاقاتها الخارجية في العصر الصفوي، دار الريس، 2011.
12. الخميني؛ آية الله، الحكومة الإسلامية، ترجمة محمد تقي اليزدي، 2015.
13. برنارد؛ لويس، العرب في التاريخ، دار العلم للملايين، بيروت، 1954.
14. برنارد؛ لويس، تنبؤات في مستقبل الشرق الأوسط، وكالة عمون، عمان، 1982.
15. بني؛ الصدر أبو الحسن، إيران والصفقات السرية - مقابلات الذاكرة السياسية، العربية سكاي نيوز تويتر.
16. بول؛ جان رو، إيران والايرانيون - عرض عام، دار فاير، باريس، 2006.
17. بوربيرار؛ ناصر، الإمبراطوريات الفارسية، ترجمة من التويتر.
18. شاكر؛ محمود، تاريخ إيران وعلاقاتها الخارجية، المكتبة الإسلامية، 2017.
19. كوبلان؛ مايلز، لعبة الأمم" لندن 1969، دار الكتاب العربي، القاهرة.
20. كندي؛ بول، صعود وسقوط القوى العظمى، الاهلية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2002.

21. شحرور؛ محمد، الدين والسلطة، دار الساقية، بيروت، 2014.

22. شحرور محمد، قراءة معاصرة للتنزيل الحكيم، دار الساقية، بيروت، 2009.

23. صالح؛ احمد عباس، اليمين واليسار في الإسلام، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1996.

24. عمارة؛ د. محمد، العرب والتحدي، عالم المعرفة، الكويت، 1998.

25. ديورانت؛ وول، الكتاب الثاني، الجزء 13، القاهرة، 1992.

26. ساتون؛ أنتوني وول، ستريت وصعود هتلر - عرض مهنا محمد تويتر.

27. محسن؛ حازم، الشيعة العلوية والسنية، دار ترجمان، باكستان، 2008.

28. ماركس؛ كارل، البيان الشيوعي، دمشق، 1958.

29. مكيافيلي؛ نيكولا، الأمير، مكتبة بربيسيا، القاهرة، 2004.

30. وول جان؛ حسن كريم، موسوعة تاريخ إيران السياسي، ج4 مكتبة المتنبي، القاهرة، 2008.

31. نهاونديذ؛ هوشنك، الخميني في فرنسا، مركز الخليج العربي للدراسات الإيرانية، 2017.

32. هنجنتتون؛ صموئيل، صراع الحضارات، دار العلم للملايين، بيروت.

33. هيكل؛ محمد حسنين، مدافع آية الله، القاهرة، 1994.

فهرس الكتاب:

كتب للمؤلف:

1: التجاوز، رواية وثائقية عن حرب تشرين، دار الشجرة، دمشق، مخيم اليرموك، 1999.

2: حدث ويحدث في العراق والمنطقة، دار البشائر، دمشق، 2004.

3: من يجرؤ على قول الحقيقة (بحث في جريمة اغتيال الحريري)، دار البشائر، دمشق، 2005.

4: غزة في عين العاصفة، إصدار مكتبة الرشيد، دمشق، مخيم اليرموك، 2006.

5: مساهمة نظرية في حل المسألة اللبنانية، موتالا، 2021. نشر في موقع مصير وموقع قضايا الوطن العربي السياسية وموقع النور.

البعض منا هان عليه تدخل إيران وميليشياتها الفظة في شؤون بلاده الداخلية فهوّنوا من شأن هذا التدخل ومن تأثيره عليهم ومن الأذيَّة التي ألحقتها بهم وببلدانهم وشعوبهم وحكامهم، فهُمشّوا وأُذلوا وأُهينوا حتى باتوا يتقبلون تدخلها وأعوانها في أصغر شؤونهم. فساءت أحوالهم حتى وصلت إلى الدرجة التي تجعل تقبله أمرا عادياً وطبيعياً ينطبق عليهم قول المتنبي: "ومن يهن يسهل الهوان عليه -ما لجرح ميت إيلام".

فتحي رشيد

منتدى الحوار الوطني الديمقراطي الفلسطيني

